
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٨ ● ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ● فبراير ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

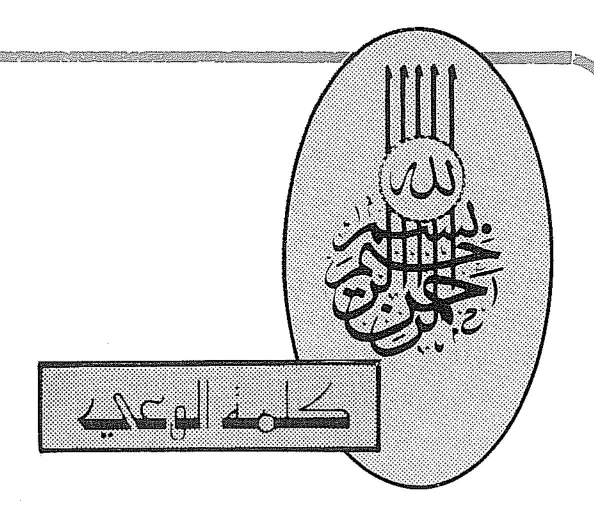
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



العظمة الفريدة في تاريخ الانسانية

الناس امام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختم الله به الرسالات ، وجعله رسولا الى الناس كافة (مؤمنون وكافرون) . فالمؤمنون برسالته يرفعون مقامه عن المقارنة والمقايسة بينه وبين غيره ، لأن الميزان الذي يحمل في احدى كفتيه النبوة والرسالة العامة تبقى كفته الأخرى طائشة ، ومكانة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة على سمو القدر ، ومعالي الامور ، وبلوغ المنزلة الكبرى في خصال المجد والشرف . ولا يوجد في الناس منذ ان خلقهم الله الى ان تنتهي الحياة من يساويه او يقرب منه في هذه المكانة ، بل هو اوسع الناس فيها مجالا ، وابعدهم اثرا ، وارسخهم قدما .

ولم تكن عظمته صلى الله عليه وسلم عظمة الملوك المتجبرين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون . فعظمة هؤلاء عظمة ارضية موقوتة مهما ملكوا من ثمرات الارض وخيراتها ، ومهما كان لهم من سلطان وجبروت .

لقد حكى الله تعالى عن « فرعون » غروره بالملك في قوله : (اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون)، وادعاءه الالوهية في قوله : (أنا ربكم الأعلى). فماذا كان ؟ كان أن اخذه الله نكال الآخرة والاولى ، واغرقه وقومه الذين اطاعوه : (فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين).. اما محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعثه الله بالدين القيم ، والشريعة المحكمة ، وجعله القائم على تلك الشريعة يبلغها للناس مبشرا ونذيرا . وبعد ان تناسق عقدها ، وتكاملت نجوم هدايتها ، وانزل الله تعالى قوله : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى مخلفا للمسلمين شريعة خالدة ، وسياسة حكيمة ، فكانت دولتهم ذات بأس شديد على الباطل واهله ، ورحمة حانية على الحق وذويه .

ولم تكن مكانة محمد صلى الله عليه وسلم مكانة الاغنياء المختالين الطاغين بغناهم . فعظمة هؤلاء عظمة كاذبة ، لأن المال لا يعد - في نظر اولى العقل - من مظاهر العظمة ، وانما هو وسيلة الى خير او الى شر . وقديما كان « قارون » - وقد اتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة - باغيا على قومه ، زاعما انه اوتي المال على علم عنده ، واصم اذنيه عن سماع النصيحة ، فكانت النتيجة ان خسف الله به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . ولا عجب فان صاحب المال الذي يركض به الى المحرمات ، وينفقه بعيدا عن الطاعات وينكر فضل الله عليه ، وحقه في ان يشكر على نعمائه وان يحمد على عطائه ، اعظم منه البائس الفقير الذي يزيد عليه

بمثقال من علم او فضل .

وقد كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في حالتي كفافه ويساره ، يمثل الصبر والسكينة والزهد والسخاء . اذ لا يخدش الفقر والاقلال مكانة الانسان اذا نهضت به الحكمة والعزم والاخلاص ، وارغم انوف الطغاة الذين يمشون في الارض مرحا .

ولا يمكن ان يوازن المؤمنون بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القواد الفاتحين في عدد ما فتحوا من المدن او الممالك . واذا عددنا فتح مكة من مظاهر عظمته السامية ، فلأنه نتيجة جهاد وصبر وثبات ، ولأنه الفتح الذي اخذ به الاسلام مظهرا مهيبا ، وقطعت به الدعوة الى الحق شوطا واسعا ، والذي يفتح مدينة فيملؤها ايمانا بعد شرك ، واصلاحا بعد فساد ، تكون عظمته في قلوب عقلاء الناس وحكمائهم فوق عظمة من يفتح المشرق او المغرب ، وهو يحمل في نفسه غطرسة وكبرا ، وفي يده اذلالا وارهاقا !!

ولا تصح المقارنة بين رسول الاسلام فيما اسدى للانسانية ، وبين كبار الفلاسفة والمخترعين والمكتشفين فيما قدموا من نظريات ومكتشفات ومخترعات ، فان الاختراع والاكتشاف مما يناله الناس بالذكاء والمثابرة على البحث ، وقد جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة وقفت دونها انظار الاذكياء ، وتخبطت في البحث عنها عقول الفلاسفة ، وهي الحقائق والاداب والنظم التي هي قوام الحياة السامية .. هذه هي الحكمة التي اختار الله لها محمدا صلى الله عليه وسلم فالقاها على الناس دروسا نافعة ، وترجمها سلوكا مستقيما ، ولبس من زينتها سيرة كريمة ، ولا يضيره بعد هذا العلم وهذا السلوك وهذه السيرة الا يخترع من الحديد غواصة ، والا يكتشف اثرا كان تحت الارض غائبا .. واذا اعترف الناس بالعظمة لفيلسوف كشف عن شيء من غوامض الطبائع المادية ، فان عظمة من يكشف عن الحقائق العقلية والفضائل النفسية والصلات الادبية والقواعد العمرانية اسنى مطلباً واجلى مظهرا .

اما الكافرون الذين لم يهتدوا بالاسلام ، فمن دخل منهم دائرة

البحث النزيه لم ينصرف عنه الا وقد شهد من سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عظمة فائقة ، قال الفيلسوف « تومس كارليل » : « اتبين في محمد عقلا راجحا ، وعينا بصيرة ، وفؤادا صادقا ، ورجلا قويا عبقريا » . والدكتور « مايكل هارث » مؤلف كتاب « المائة » في هذا العصر الذي عنى فيه بالبحث عن اهم مائة رجل في التاريخ الانساني كله ، قد اختار « الاول » في الاهمية في التاريخ الانساني كله نبي الاسلام محمدا صلى الله عليه وسلم . اختاره المؤلف وهو رجل مسيحي يعيش وسط العالم الامريكي المسيحي اليهودي .

يقول الدكتور « مايكل هارث » « ان اختياري محمدا ليكون الاول في قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح اعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي . انه الوحيد الذي اتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكامها ، وآمنت به شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه اقام الى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي ايضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في امة ، ووضع لهذه الامة كل اسس حياتها الدينية والدنيوية .

ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب احد المراكز الحضارية في العالم ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم . ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس .

وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ، ولكن في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودينا وقومية من العراق وسوريا الى اخر الشاطئ الافريقي غربا ، الى السودان جنوبا ، وبقيت امة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الان . وهو معيار في قياس اثر الرسالة واستمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

كذلك لا يوجد نص في تاريخ

الرسالات نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد . الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا او الانجيل .

ومن اجل هذا كله فاني وجدت ان محمدا هو صاحب الحق الوحيد في ان اعتبره صاحب اعظم تأثير اصلاحي على الاطلاق في التاريخ الانساني ».

فهذه هي العظمة الفريدة في تاريخ الانسانية اعطاها الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدق الله تعالى في قوله لرسوله : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما).

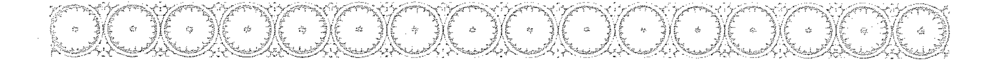
فهل للعالم المعاصر ان يدرك مغزى تلك العظمة فيفيء الى رحاب الاسلام ليهتدي الى الصواب ؟: (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم).

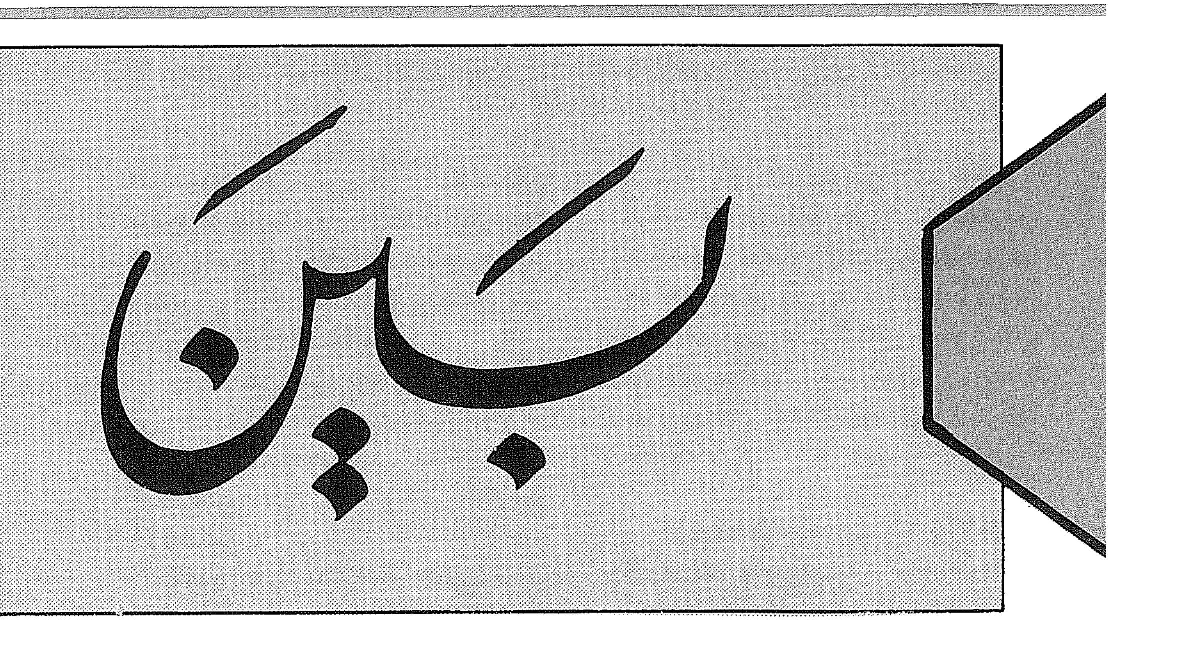
وهل للمسلمين ان يثوبوا الى رشدهم ويتبعوا ما انزل اليهم من ربهم ، ويعملوا صادقين لاستعادة مجدهم بالاقتداء برسول الله العظيم ؟ ممتثلين لقول الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وذاكرين لقوله جل شأنه : (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما).

الرجاء في الله عظيم ، والامل في توفيقه لا ينقطع ، وليس بعد الغفلة المطبقة التي رانت على قلوب المسلمين ، فأفقدتهم عزتهم وحقوقهم إلا صحوة ايمانية مشرقة تبدد الظلمات ، وتنير الطريق وتنال بها العزة المفقودة ، والحقوق المغتصبة ، والمجد الضائع . ولينصرن الله من ينصره : (ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون).

رئيس التحرير

محمد الاباصيري

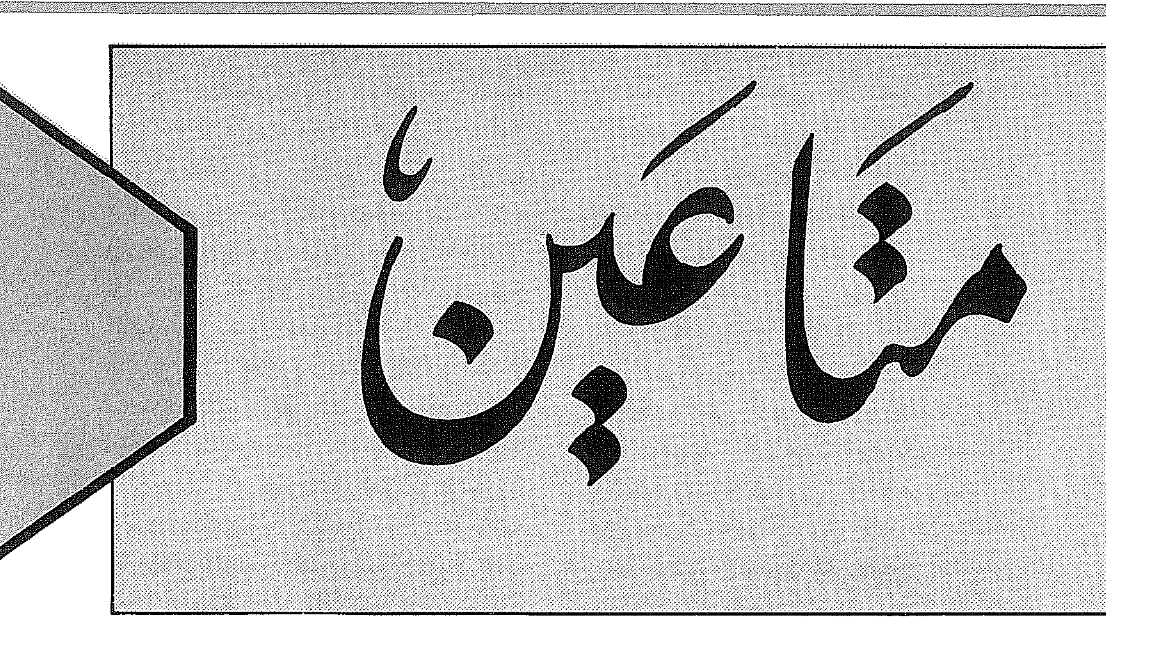




يقول المولى تبارك وتعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) .

آل عمران / ١٤ ـ ١٧ .

للدكتور
احمد
حسنين
القفل



الانسان صنعة الله ، وقد خلقت النفس الانسانية مجبولة على بواعث فطرية ، وعلى رغائب وميول غريزية ، اتاحها الله لخليفته في الأرض حتى يمكنه بها ان يواصل حياته عليها سعيدا موفقا مرزوقا ، اذا هو احسن الاداء واخذ بالاسباب . ولم تغره الاهواء لكن الانسان قد يجرفه الانحراف . وتبطش به الاهواء فيغرق في لذائذه الدنيوية بلا حساب ، وينقاد الى شهواته البهيمية بلا حدود ، ويستمتع استمتاعا ممقوتا ، لا يلتزم بحلال او حرام ، ولا بتكاليف شرع او دين ، فتستهويه دنياه بما حوت من زخارف تتراءى له ، وينساق الانسان وراء خطوات شيطانه ، فينسى أن له آخرة ، وانه سيحاسب على ما قدمت يداه ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . لا يدري ان كل امرىء بما كسب رهين ، وان ليس للانسان الا ما سعى . وان الله سوف يجزيه الجزاء الاوفى .

والاسلام بتكاليفه وتعاليمه لا يكبت الغرائز ، ولا يهمل البواعث الفطرية فقد وهبها الله للنفس البشرية كما اسلفنا لانها ضرورة لازمة في الحياة ، لكن الاسلام لا يطلق للغرائز العنان ، ولا يجعل البواعث الفطرية تندفع بلا حساب ، ولكن الاسلام يضبطها وينظمها ، ويرسم لها الحدود والمقاييس التي تخفف من حدتها ، وتحول دون اندفاعاتها بحيث يكون الانسان سيد نفسه لا عبد شهواته وغرائزه . والله العليم الخبير ، الذي يعلم سر صنعته البشرية ، يصف متاع الحياة الدنيا بأنه قليل مهما كثر ، وان الباقيات الصالحات خير وابقى . وان الدنيا لو كانت تساوي

عند الله جناح بعوضة ، ما سقى الكافر منها جرعة ماء . ولهوان الدنيا على الله ، يقول سبحانه في قرآنه ، انه لولا مخافة ان يفتتن المؤمن بغنى الكافر ، لجعل الكافر يتقلب في النعم ويرفل في زخارف من الفضة كمتاع له في حياته الدنيا ليأتي مفلسا يوم القيامة . يقول سبحانه :

(ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) الزخرف / ٣٣ ـ ٣٥ .

والآيات الكريمة التي صدرنا بها هذا المقال ، تشير الى نوعين من المتاع ، احدهما متاع الحياة الدنيا ، والثاني متاع الآخرة ، كما تشير الى سلوك الانسان ـ تبعا لشهواته ـ ازاء كل من المتاعين . فمن الناس من يستهويه متاع الحياة الدنيا فيعب منه بلا حدود ولا ضوابط ، ليكون مفلسا يوم القيامة ، ومن الناس من يستمتع بدنياه بالقدر المطلوب والميزان المحسوب ، مدخرا متاعا اجزل واوفى يجزيه الله به في الآخرة . والفئة الاخيرة المؤمنة لها اوصافها ومعاييرها التي وضحتها الآيات الكريمة . وفيما يلي توضيح ما اجملناه .

١ ـ الله الذي خلق الانسان ، يأمره صريحا في القرآن الكريم فيقول له : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض)** القصص / ٧٧ .

ومن ثم ، يكون الانسان مخلوقا . مهيئا للاستمتاع بالدارين (الدنيا والآخرة) وترتيبا على ذلك ، تكون البواعث الفطرية ، والرغائب والميول الغريزية موجودة في كل انسان ، اذ هي من مستلزمات مواصلة حياته على الارض التي أمر الله أن يعمرها ولا يفسد فيها ، لكن هناك فرق بين انسان رغائبه وميوله في توازن وتبصر وتدبر ، وفي حدود مأمونة ، وفي اطار ما رسمه الله العليم الحكيم له وقيده الشرع بتكاليفه . وبين انسان آخر يطلق لنفسه العنان في لذائذه الحسية ونزعاته الشيطانية يتعدى الحدود في ارضاء شهواته . مثل هذا الانسان هو الذي « زينت له نفسه او حسن له شيطانه » حب شهواته ، فأرخى لها العنان ، يستمتع بما لذ وطاب في اعتقاده ، لا يحاسب نفسه على حله وحرمه . انه يعيش دنياه ، ويغتنم الساعة التي هو فيها ، انه لا يعترف بمتاع الآخرة أو لا يأبه له ان كان في ذهنه وميض من الاعتراف .

والاسلام بتكاليفه انما يهذب هذه الشهوات الفطرية ولا يكبتها ، وانما يضبط هذه الرغائب والبواعث الغريزية ولا يحرمها ، يضبطها الى الحد الامثل المفيد ، حتى لا تطغى ولا تستشرى ، وعندئذ لا يقتصر ضررها على صاحبها كفرد ، وانما يمتد اثرها الى المجتمع الذي يعيش فيه اذا لم يضرب على يديه ، او يحول بينه وبين

المنكر الذي يأتيه . .

٢ ـ واذا كان « **النساء** » اولى الشهوات التي اشارت اليها الآية الكريمة ، فان تزيين حبهن كشهوة عارمة بدون حدود او قيود هو الامر المنهي عنه في الاسلام . فالله سبحانه وتعالى قد اباح للرجل ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع في اطار (**فان خفتم الا تعدلوا فواحدة**) كالنص في سورة النساء (٣) . والله تبارك وتعالى يمتن على الانسان ان خلق له من مثله زوجة يبدأ بها تكوين اسرة من افراد جعل بينهم جميعا مودة ورحمة . يقول سبحانه .

(**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم / ٢١ .

(**والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ..**) النحل / ٧٢ .

وتشير الاحاديث النبوية الكثيرة الى فضل الزوجة الصالحة ، والى ان خير ما يرزق به الزوج هو الزوجة الصالحة التي ان نظر اليها اسرته ، وان غاب عنها حفظته في ماله وعرضه وبيته .

ومن ثم ، فان الاستمتاع بالنساء في الحدود وبالقيود التي رسمها الدين ليست مطلوبة فحسب لعمار هذا الكون وانما يثاب عليها اذا صلحت التصرفات حيالها . لكن الشهوة الى النساء المنهي عنها ، والتي هي من تزيين الشيطان ، انما تكمن في تخطي الحدود الشرعية في الاستمتاع بالنساء . فاتخاذهن خليلات شهوة دنيئة ، واستخدامهن في عروض تلفازية او سينمائية ونحوها للاثارة الجنسية ودون احتشام شهوة دنيئة ، والاتجار بالاعراض شهوة دنيئة ، ومعاكستهن والنظر الى محارمهن شهوة دنيئة ، وقس على ذلك الكثير والكثير مما لا يتسع لذكره المقام .

٣ ـ اما « **البنون** » فهم مع المال زينة الحياة الدنيا كما يقرر القرآن الكريم « الكهف : ٤٦ » بل ان الله سبحانه وتعالى يمتن على الانسان بأنه يمده بانعام وبنين (الشعراء : ١٣٣) والبنون نعمة كثمرة لزواج مشروع ، فما من زيجة مشروعة الا ووراءها الرغبة في الانجاب . والوالدان يسعدان في العادة باولادهما فالاولاد في العادة سند الآباء في الحياة ، واستمرار وذكرى لهم بعد الموت .

ولكن متى يكون البنون شهوة ممقوتة ؟ يكون الامر كذلك ، اذا اتخذ البنون موضوعا للتفاخر والتكاثر . وقهر الآخرين بالكثرة والقوة ، كما كان الحال في عهد الجاهلية وحين نزول القرآن ، ويكون الامر كذلك اذا كانت الرغبة هي كثرة الانجاب دون اقتدار على التربية الحسنة والتوجيه السليم . ويكون الامر كذلك حين يتزوج الرجل المعدم (الفقير) لا بواحدة مثله بل بأكثر من واحدة بغية المتعة الجنسية في المقام الاول ثم الانجاب الكثير الذي به يخرج اولادا عديدين الى الدنيا من اضيق ابوابها فينحرفون ويعتادون الاجرام ، وقد يتساءل البعض : هل مثل هؤلاء الاولاد يكونون شهوة مطلوبة بالنسبة

للآباء او الامهات ؟ .. ربما فكثير من الاشرار يستمتعون بالاجرام يصيب مجتمعهم ، ولو كان ضحاياه من ابنائهم ، لانهم بما اقدموا عليه من زيجات تفتقر الى القدرة على الانفاق ، لا يكترثون بابوة ولا بنوة . انهم يمارسون متعتهم الجنسية وليكن بعدها ما يكون .

والقرآن الكريم الذي يقرر ان الزوجة سكن للرجل وان الاولاد زينة ، وان بين افراد الاسرة مودة ورحمة يلفت النظر الى حقيقة يجب ان يتنبه اليها كل انسان يقول سبحانه . **(يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم)** . التغابن / ١٤ .

الا ترى معي - ايها القارىء الكريم - ان شهوة الحب الزائد للزوجة والاولاد ، والمبالغة في ارضائهم ، وتلبية جميع رغباتهم التي قد لا يتحملها الزوج ولا يطيقها ، قد تجعله ينحرف في سبيل تلبية هذه الرغبات ، كم سجلت الصحف اليومية حوادث اختلاسات وسرقات - الخ قام بها اناس لم يعتادوا الاجرام اصلا . وانما ضاقت بهم سبل الحياة فانحرفوا مرضاة لرغبات بدت من ازواجهم او اولادهم . انهم يركبون الصعاب في سبيل مرضاة الازواج والاولاد وان كان هذا ليس الطريق السليم . فالله لا يكلف نفسا الا وسعها .

٤ - واكتساب المال من الاوجه المشروعة امر مطلوب ، فالمال سلاح يعين صاحبه على نوائب الدهر . وقضاء الحاجات ، والانفاق على الأهل والعيال ، ومن لا مال له لا سند له . وكأنه يسعى الى الهيجا (الحرب) بدون سلاح . لكن شهوة حب المال تكمن في تكديسه دون استخدامه . وفي الاستحواذ عليه دون استثماره ، وفي كنزه دون التصرف فيه بالطرق المشروعة . ولهذا كانت العبارة في الآية الكريمة بألفاظ **(القناطير المقنطرة من الذهب والفضة)** وفي هذه العبارة اشارة الى كل انواع المال وان اقتصر الامر على ذكر المعدنين النفيسين ، واشارة الى مضمون شهوة حب المال المقوتة في الاستحواذ عليه وكنزه دون تصرف فيه . ويبشر القرآن الكريم الذين يكنزون الذهب والفضة دون اخراج زكاتها ودون الانفاق منها في سبيل الله يبشرهم بعذاب اليم يوم القيامة على النحو الذي يصوره قول الحق تبارك وتعالى :

(... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) التوبة / ٣٤ - ٣٥ .

ومن الناس من تستبد به شهوة المال فيجمعه من اي طريق تمتد يده اليه ، لا يتحرى في هذا الصدد حلالا او حراما ، انما يأكل اموال الناس بالاثم وهو يعلم ذلك ، ومنهم من يمنعه حب ماله من تأدية زكاته ، « فيسرق »

بذلك الحق المعلوم الواجب تأديته للسائل والمحروم ، ومنهم من يجمع المال لتنفيذ مآرب شريرة ، وشهوات آثمة ، يقول سبحانه :

(ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) البقرة / ١٨٨ .

(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا . وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) . النساء / ٣٧ ـ ٣٩

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) النساء / ١٦٠ ـ ١٦١ .

(والذين في اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج / ٢٤ ـ ٢٥ .

وشهوة المال الممقوتة قد تدفع بالقيم على مال اليتيم ان يتلاعب فيه او يحجزه عنه بعضه اوكله . والله يتوعد مثل هؤلاء فيقول سبحانه :

(وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا) النساء / ٢ .

٥ ـ اما (**الخيل المسومة**) فهي عند بعض الناس زينة مشتهاة ، ورياضة محبوبة ، وتجارة رابحة . والخيل معقود بنواصيها الخير كما يقول الرسول الأعظم ، وقد امر القرآن الكريم باعدادها قدر المستطاع كقوة مرهوبة في الحرب . فقال سبحانه :

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) الانفال / ٦٠ .

وقد يقول قائل : وما دور الخيل الان بجانب وسائل الحرب الحديثة من صواريخ وطيارات وقنابل نووية .. الخ ؟ ونجيب بان القرآن الكريم نزل والخيل لها شأن اي شأن في الحروب . وظلت كذلك حتى اخترعت الوسائل الحديثة هذه فقل دورها ، ولكن الى حين . ذلك لان مخزون البترول في العالم مهما طال امد استخدامه فسينفد حتما ، وعندئذ تصبح كل هذه الوسائل الحديثة المشار اليها آنفا عاطلة لا فائدة من ورائها . ويعود الامر الى ما كان عليه اصلا قبل اكتشاف البترول كطاقة . ومن يرى الخيل او يقتنيها يفعل ذلك لجمالها ، وذكائها واستخدامها في اغراض مشروعة شتى كالحمل والحرب ـ لا للقهر ـ والفروسية والرياضة .. الخ . اما تربية الخيل

لشهوة غير مشروعة كالقرصنة والاعتداء على الآخرين وترويع الآمنين . والاغارة للسلب والنهب كما كان الحال عليه في الجاهلية وقبل ظهور الاسلام ، فهو ما لا يرغب فيه اذ يكون عندئذ شهوة ممقوتة .

٦ ـ اما (**الانعام والحرث**) وكل ما يتصل بالشئون الزراعية فامتلاكها وحيازتها من الطريق الحلال امر مطلوب ومرغوب فيه ومحبوب ، ذلك لان خيراتها لا تقتصر على فرد دون فرد ، ولا على بيئة يعيش فيها انسان دون اخرى ، فالانعام تشمل الضأن والماعز والبقر والجاموس والابل (الجمال) وخيراتها من لحم ولبن وسمن وجبن واشعار واصواف واوبار وجلود ـ الخ ... لا يستغنى عن كلها او بعضها انسان ، كما ان خيرات الارض الزراعية من محاصيل مختلفة للحبوب والزيوت والبقول ومن فواكه وخضراوات متعددة الاصناف والاشكال والالوان ... الخ .. كل ذلك مشهور فائدته ملحوظ شموليته للناس جميعا . وقد جاء ذكر كل ذلك في آيات متناثرة كثيرة في القرآن الكريم يضيق المقام عن تعدادها بله تسجيلها .

ولهذا كانت الانعام والحرث من نعم الله المبسوطة في كل حين ، والتي تستحق الشكران في كل آن ، لكن متى تكون الانعام والحرث شهوة يتحرز منها المؤمن ؟ اذا كان امتلاكها عن طريق الجور والظلم من طرق غير مشروعة ، او كانت للتكاثر والتفاخر على الآخرين . وللانعام والزروع زكاتها التي يلزم الا يحجبها حبها عن ان تصل الى الفقراء والمحتاجين .

وحين نزل القرآن الكريم ، بدأ في الجزيرة العربية حيث كانت الانعام وتجارتها وحيازتها هي شغل البدو الشاغل في مثل هذه البيئة ، وحيث كان امتلاكها من اي طريق شهوة الفرد والقبيلة .

وفي عصرنا الحالي قد تتحكم الشهوة العارمة في رفع الاسعار الخاصة بالانعام ومنتجاتها ، وبالارض وانتاجها حتى ليموت الناس جوعا في بعض المناطق ، بينما يغرق الآخرون محاصيلهم في قاع المحيط بغية تقليل عرضه لرفع سعره ، او الامتناع عن زراعته اصلا ليقل عرضه فيزيد طلبه .

والشهوات التي اشير اليها فيما سبق ، هي اكثر الشهوات ذيوعا وشيوعا والصقها بالانسان ، وهي التي يزينها الشيطان للانسان فتدعوه الى الانحراف عن الجادة . والقرآن الكريم يشير اليها بعبارة (**ذلك متاع الحياة الدنيا**) والمعنى ان هذه الشهوات متاحة للكافر والمؤمن على سواء اثناء حياتهما في الدنيا . اما الكافر فيعتقد او يتصور الا آخرة له . فهو يستغرق استغراقا ممقوتا في شهوات نفسه ، ورغبات حسه ، فيكرع كأسه حتى الثمالة . فحياته هي الدنيا ولا شيء بعدها . اما المؤمن التقى العاقل فيستمتع هو الآخر بهذه المتع الدنيوية ولكن في اطار الحدود والتكاليف التي رسمها الله له ، وهو العليم بحاله ، ذلك لان المؤمن يعتقد اعتقادا لا شك فيه ان وراء هذه الحياة

الدنيا اخرى ، وان الدنيا فانية والاخرى باقية ، وانه يجب عليه ان يجعل الفانية مزرعة للباقية ، لان الله وحده يمتع اكثر من متع الدنيا في آخرته حيث تكون له خاصة لا يشاركه فيها كافر مصداقا لقوله تعالى :

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) الاعراف / ٣٢ .

والآية الكريمة السابقة تقرر ان المتقين الذين يلتزمون الحدود الشرعية المسموح بها في حياتهم الدنيوية سوف يستمتعون في آخرتهم وحدهم .. ودون الكافرين - بمتع اوفر واحسن ، كما سيتضح ذلك بعد ، اذ يتبين ذلك جليا من الصورة التي يسجلها القرآن الكريم للمناداة بين اهل النار وأهل الجنة . يقول سبحانه .

(ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) الاعراف / ٤٤

(ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) الأعراف / ٥٠ - ٥١

ويزين الشيطان للكافر شهوات الدنيا فتستغرق كل نشاطه ، ويستمرىء مرعاها فيغالي فيها ويشتط ، ويصل امره الى ان يسخر من المؤمن الذي لا يجعل الدنيا اكثر همه ولا مبلغ علمه ، وقد يأخذ منها بالكفاف مقتصرا على ضرورات الحياة . ومن ثم يكون حظه من المتع الدنيوية - التي اشرنا اليها سابقا - اقل في العادة من حظ الكافر منها ، لان المؤمن يعتمد على رصيد اخير وابقى له في آخرته حيث يكون الكافر فيها مفلسا بلا رصيد ، ويصور الله هذه الحقيقة فيقول سبحانه :

(زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) البقرة / ٢١٢ .

(والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) النور / ٣٩ .

وبناء على كل ما سبق ، يلفت المولى سبحانه وتعالى نظر عبده الى إعمال فكره ، والى استخدام لبه بصدد المقارنة بين متاعين احدهما في الدنيا متاح لمن آمن ولمن لم يؤمن وثانيهما اجل واخير وهو متاع الآخرة مقصور على الذين اتقوا ربهم ، فيقول المولى **(قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير**

بالعباد) آل عمران / ١٥ .
ولو فكر الكافر مليا ، لايقن ان الله قد سخر الكون بما فيه من جماد وحيوان ونبات للانسان كافرا كان او مؤمنا ، ولا حرج على الانسان اذن في الانتفاع والتمتع بما سخر الله له . لكن الواجب كان يقتضي ان يدرك الانسان ذلك المنة من خالقه فيؤدي نعمة الشكر له ، ويلتزم بما امره ، وينزجر عما نهاه عنه ، وهذا ما ادركه المؤمن ، وما اهمله الكافر فالمؤمن موقن بكلام الله في قرآنه عن متاع مؤجل له في الآخرة نظير التزام بمتاع محدود في الدنيا وهو في قرارة نفسه يعقد مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الاخرة فيرى :

● - ان متاع الدنيا قليل مهما كثر بجانب متاع الآخرة .

● - ان متاع الدنيا زائل وقد يتم زواله في حياة صاحبه او قد يزول صاحبه عنه فيتركه ميراثا بعد وفاته لكن متاع الآخرة خالد لا يزول .

● - ان متاع الدنيا يكون على قدر امكانات صاحبه اما متاع الآخرة فعلى قدر امكانات الله وشتان بين امكانيتين .

● - ان رضوان الله في الآخرة والنظر اليه سبحانه - كما وعد - اقصى درجات المتاع لذة ومتعة .

ومن هنا ، نرى الآية الكريمة السابقة تشير الى متاع ينتظر المؤمن الذي التزم حدوده في الدنيا ، واتقى المحارم ، وهو متاع كريم يعوضه عما فاته في دنياه فما فاته من شهوة الانعام والحرث في الدنيا يجد بدلا منه جنات تجري من تحتها الانهار في الآخرة ، وما فاته من استمتاع بالنساء على اوسع نطاق في دنياه يجد بدلا منه ازواجا مطهرة وحور عين لم يطمثهن من قبله انس ولا جان ، كأنهن الياقوت والمرجان . اما الخيل المسومة والانعام والاموال .. الخ . فقد بطل مفعولها في الآخرة ، واصبح ساكن الجنة يجد فيها ما يشاؤه بمجرد التشوق اليه ودون بذل الاسباب .. وفوق هذا كله يجد ابلغ متاع وهو رضوان من الله ، ولا اجد كلمات عندي استطيع بها وصف هذا المتاع ، لانه فوق كل وصف ، وابلغ من اي تصور ، (**وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة**) القيامة / ٢٢ - ٢٣ .

وتنتهي الآية السابقة بعبارة (**والله بصير بالعباد**) ثم تمضي الآية التي بعدها ، فتعدد صفات هؤلاء العباد الذين ادخلهم الله جناته ، وتجلى عليهم برضوانه . ومن صفاتهم :

١ - (**انهم يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**) .

اليس ذلك اعلاناً ما بعده اعلان ، واقرارا ما بعده اقرار ، واذعاناً ما بعده اذعان ، بالايمان باله واحد هو الذي يغفر الذنوب ، ويتجاوز عن الخطايا ، انهم يدعونه ويستغفرونه ويتوبون اليه عله يقيهم من عذاب النار . والقلب الذي ينبض بهذا النبض ويحس بهذا الاحساس ، في الدنيا ، لا بد ان يكون ملتزما ، مؤمنا حق الايمان .

٢ - وهم (**الصابرون**) في دنياهم على

كل ما نالهم من آلام ومشقات ومصائب فقد اسلموا وجههم لله خالقهم ، وقبلوا حكمه وارتضوه ، هم واثقون ثقة بلا حدود في قوله تعالى :

(ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) الحديد / ٢٢ ـ ٢٣ .

(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) البقرة / ١٥٥ ـ ١٥٧ .

وعلى هذا فسلاح المؤمن الصبر ، يجتاز به كل بلاء ، وينجح به في كل اختيار .

٣ ـ وهم (**الصادقون**) بينهم وبين ربهم فلا مراءاة ، وبينهم وبين انفسهم ، فلا تقول السنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولا يقولون ما لا يفعلون . وبينهم وبين اخوانهم وعشيرتهم من الابناء والازواج ، فلا تضليل ولا مخاتلة ، وبينهم وبين مجتمعهم فلا مؤامرات ، ولا مناجاة بالاثم والعدوان ومعصية الله . وهم فوق ذلك ، وقبل ذلك صادقون في ايمانهم بربهم ورسولهم ، يصدقون بيوم الدين ، وما يكذب به الاكل معتد اثيم .

٤ ـ وهم (**قانتون**) اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . هم يعرفون حق الالوهية عليهم فتطمئن قلوبهم بذكر الله وتلين ، وواجب العبودية لله لا لغيره ومن ثم فهم احرار .

٥ ـ وهم (**المنفقون**) اموالهم في مصارف الانفاق المشروعة ، فهم :

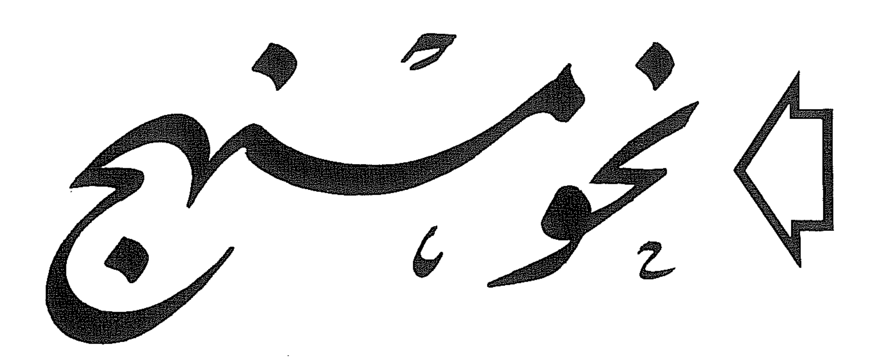
- ينفقون من اموالهم واثقين انهم يقرضون الله قرضا حسنا وسيضاعفه لهم .
- ينفقون من اقواتهم وزروعهم فيقتحمون بذلك العقبة التي وضحها لهم القرآن بانها اطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة .
- ينفقون من قوتهم وامكاناتهم مساعدة للضعفاء وتيسيرا للعاجزين .

ومقام المنفقين وجزاء الانفاق الحسن يسجله القرآن الكريم في آيات كثيرة ليس هنا مقام سردها .

٦ ـ وهم (**المستغفرون بالاسحار**) في هدأة الليل وقبيل الفجر حين ينام الغافلون ، ويسكن الدنيويون ، حين لا رياء ولا مراءاة ، بل صفاء ومناجاة ، والاستغفار والتوبة جزاؤهما المتاع الحسن (هود : ٣) والرزق الواسع ، والامداد بالاموال والاولاد (نوح : ١٠ ـ ١٢)

اليس من يتصف بكل هذه الصفات جديرا برضوان الله ؟ قمينا بدخول جناته ؟ انهم المؤمنون المتقون الذين جمعوا بين متاعي الحياة الدنيا والآخرة ، فطوبى لمن دخل في زمرتهم يوم يساقون الى الجنة زمرا .





يمتاز المنهج الاسلامي بشمول قواعده وانسحابها على كل شيء في هذا الكون ، وهذه إحدى خصائصه الفريدة ، فلا يدرس الباحث موضوعا واحدا بعينه ، محدد الأجزاء ، له مقدمات مفترضة يصل منها إلى نتائج .. كما تفعل المناهج الوضعية ، دون أن تربط هذا الموضوع ربطا محكما بالناموس الكوني والقانون الالهي .

وليس للمنهج الاسلامي تبويب متعسف لموضوعاته ، ولا تقسيم متعسف لمباحثه ، إنما نجد الآيات البينات هي الموضوع الرئيسي الذي يستخلص منه قوام مادته وحكمته وحججه وأصوله ..

ومنهج القرآن الكريم يربط التعاليم الخلقية بالنظام الكوني ، فيدعو إلى الاستقامة واتباع الخير في الوقت الذي تشير فيه الآيات القرآنية إلى بديع خلق السموات والأرض وما سخر للانسان من أنهار وبحار ودواب وجبال وشمس وقمر وسحب ، بالنصيحة والعبرة .

كما نجد آيات التخويف للكافرين ، والتأنيب للغافلين ، تتبعها آيات التبشير للصادقين والتثبيت للمخلصين ، مع تقرير الثواب والعقاب لكل فريق .

القرآن الكريم إذن يعالج أكثر من موضوع في آن واحد دون أن تختلط فيه المعاني وتتفرق السبل ، إنما يتم الترابط بين الموضوعات في إبداع

علمي إسلامي

للدكتور / حسن الشرقاوي

محكم ، وأسلوب معجز في إطار شمولي عام :

(كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فصلت/ ٣ .

فالقرآن لا يدرس التاريخ كما يدرسه المؤرخون ، ولا يدرس الطبيعة كما يدرسها الطبيعيون ، ولا يغمض الألفاظ بحيث تحمل أكثر من معنى ، كما يفعل بعض العلماء والأدباء لتأييد وجهة نظرهم فيما يقنعون به من نظريات ومذاهب وآراء ، ولا تتناقض المعاني بعضها مع بعض كما يظهر في الدراسات النظرية والتجريبية ، والقرآن لا يحلل الأحداث ويفصلها عن حقائقها كما يفعل المؤرخون عندما يجعلون واقعة معينة سببا لثورة من الثورات ، أو بداية لنظام من النظم الاجتماعية ، إنما القصص القرآني يراد منه التأمل والتعقل والاستنارة بما فعل ويفعل السابقون واللاحقون في كل زمان ومكان ..

القرآن الكريم هداية ورحمة ، لذلك فهو يقصد أن يعتبر السامع بما يسمع ، والقارىء بما يقرأ حتى يجعل آيات الله القدوة الرشيدة في سلوكه ، والسراج المنير الذي يبين له الطريق الواجب الاتباع ، بما يلقيه إليه من الموعظة الحسنة ، ويشرح صدره بالحكمة البالغة ..

القرآن لا يستخدم أسلوب علماء التاريخ عندما يعرض للقصص القرآني ، أو يستخدم ألفاظ الفلاسفة أو مصطلحات العلماء الطبيعيين عندما يتعرض لموضوعات الكون

والطبيعة ، إذ القرآن يخاطب الناس جميعا مع اختلاف مستوياتهم وأحوالهم وأزمانهم ، لذلك يمتاز بالشمولية والعمومية والوضوح لأنه خطاب موجه للناس جميعا وليس لأصحاب تخصص معين أو مشرب محدد ..

ولكن المتخصصين مع ذلك يستفيدون ، كل في دائرة تخصصه بآيات الكون والقصص القرآني ، والمعارف المبسوطة في كلام الله ، كما يستفيد ايضا الطالب والعامي من الناس ..

إن ما يستهدفه تعالى من الدين معرفة الله ، وتوحيده ، والتوحيد يحتاج إلى العلم ، كما يحتاج العلم إلى الصدق واليقين ، ومن هنا يهتم المنهج الاسلامي بمخاطبة الناس جميعا ، مؤمنهم وكافرهم ، أبيضهم وأسودهم ، مخلصهم ومنافقهم تائبهم وظالمهم ، عالمهم وجاهلهم ..

وخطاب الله للناس معجز في اسلوبه وبلاغته ومعانيه ، حتى إنه يشعر القارىء أو السامع أنه موجه إليه وحده ، رغم اختلاف الناس في الثقافة والتقاليد والطبائع ، والمؤمن يشعر حقا أن آياته البينات إنما تواكب دقائق حياته اليومية ، وواقعه الحي ، وكأنها البلسم الشافي لجميع أسقامه ، والطبيب الذي يحل له كل قضاياه ومشاكله ، فحجج الله الدامغة تساعد الانسان على الصبر في الفاجعات ، والرحمة مع الضعفاء ، والاحسان إلى الفقراء ، والعمل والجهاد في سبيل الله ، وبذلك يمتلىء قلبه نورا وسكينة وأمنا وأملا :

(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) فصلت/ ٤٤ .

والشمول في المنهج الاسلامي ، آية من آيات الله البينات ، تتحدى من يجاهر بغير علم ولا هدى ، ومن يحاول أن يناطح حكمة الله البالغة ، يستعصى عليه ذلك حيث أنها تشهد بالصدق والحق والشمول :

(وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) الطلاق/ ١٢ .

إن جميع المناهج الوضعية والقوانين البشرية يعوزها الثبات ، سواء كانت هذه المذاهب عقلانية أو روحية أو حسية أو تجريبية ، إذ ما يلبث أن تظهر بين الحين والحين نظريات جديدة تدحض حججها ، وتبين ضآلة صدقها ، ويعرض بعض العلماء وجهات نظر جديدة تهدم المناهج القديمة وتلغي قواعدها وقوانينها ونظرياتها ..

ويحتار الانسان أمام هذا الخضم العجيب من المعاني المتناقضة والأفكار المختلفة وتسد أمامه السبل ، فلا يعرف إلى أي من هذه المذاهب عليه أن ينتمي ، وأيا منها الصادق ، وأيا منها الباطل ، حتى ينتهي آخر الأمر بعد البحث والتدقيق إلى موقف الرفض لها ، فيتشكك فيها جميعا ، وربما يهوي على أم رأسه فيكفر بكل شيء ، ويقع في الضياع فيجرفه تيار الالحاد إلى الضلال المبين .

وإذا كان الباحث قد هداه الله إلى تأمل منهج الله ، وحظى بنعمة الايمان به وجعل إمامه وقدوته الرسول ـ صلى

الله عليه وسلم - نجا بنفسه وثبت قلبه على الحق وأمن من شر الانحراف عن الصراط المستقيم :

(للذين استجابوا لربهم الحسنى) الرعد/ ١٨ .

وإذا تيقن الانسان بفطرته السليمة أن طريق الله هو الحق ، فان الله يربط على قلبه ، ويثبت قدمه ، فلا يشك في أمر الله ، ولا يتردد في طريقه ، إذ تفتح أمامه السبل كما وعد الله :

(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد/ ٧ .

فالذي يتمسك بالمنهج الاسلامي يرشد إلى العلم الصحيح ويثبت بالقول الثابت ، ويمده الله بالأمن الداخلي ، وبالالهام الملائكي ، فلا يفقد أبدا طريق السلامة والأمن :

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ابراهيم/ ٢٧ .

والمنهج الاسلامي ثابت في حقائقه ، يحظى فيه المؤمن بدرجات تزداد يوما بعد يوم من العلم والمعرفة واليقين ، فلا يخذله الله تعالى أو يتركه ، ما دام سائرا في طريق التوحيد والايمان :

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة/ ١١

وهذه هي سنة الله للناس ، وحتى إذا تبدل الناس جميعا وتحولوا ، فان سنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير ، إذ هي ثابتة أبدا :

(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فاطر/ ٤٣ .

(سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) الاسراء/ ٧٧ .

منهج الله ثابت في الزمان والمكان ، والله لا يستحي أن يقول الحق :

(وآتيناك بالحق وإنا لصادقون) الحجر/ ٦٤ .

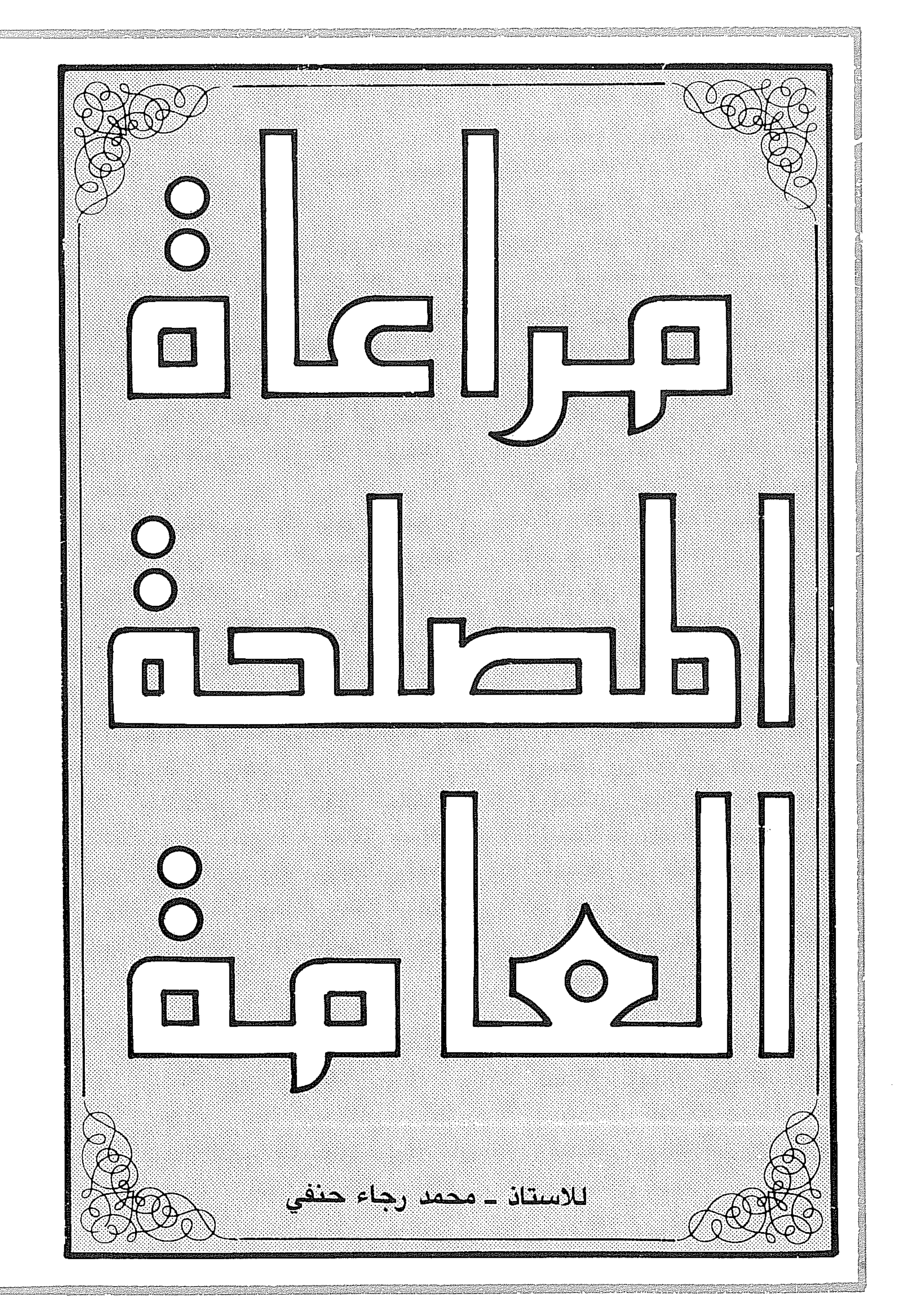
ويمكن أن يدعى بعض الحاقدين أن أمة الاسلام رغم أنها تسير على هذا المنهج وتؤمن به ، فان أصحابها يحيون حياة المذلة والضعف والوهن في وقتنا هذا ، ويستهدف هؤلاء من ذلك الادعاء وصف الشريعة بالجمود وعدم انسحابها على إنسان القرن العشرين .

لقد نسى هؤلاء أن منهج الله الثابت شيء ، والمتمسحون به كذبا وبهتانا ونفاقا شيء آخر ، والله تعالى لا يثبت إلا الذين آمنوا ، أما الذين يستظهرون الايمان ويتخفون رياء ويتسترون على شركهم وبعدهم عن الاستقامة والحق ، فان الله تعالى لا ينصرهم ولا يناصرهم ولا يساعدهم ولا يثبتهم ولا يمكن لهم في الارض :

(ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الأنفال/ ٥٣ .

فالمنهج الاسلامي ثابت إلى الأبد ، كما أن المؤمنين يرونه ثابتا أبدا ، أما أصحاب الضلالات من الملحدين والظالمين والكافرين والمنافقين والفاسقين فانهم :

(صم بكم عمي فهم لا يرجعون) البقرة/ ١٨ .


مراعاة المصلحة العامة
للاستاذ ـ محمد رجاء حنفي

إن جميع الأحكام الشرعية في الشريعة الاسلامية تقوم على المصلحة الانسانية ، فما من امر شرعه الاسلام بالكتاب او بالسنة النبوية إلا وكانت المصلحة ثابتة فيه ، لدرجة أن البعض من الباحثين المحققين من كتاب الفقه الاسلامي في الماضي يقررون أن الأحكام التكليفية في الشريعة ترتبط بالمصلحة ارتباطا وثيقا .

ومراتب التكليف تختلف باختلاف ما فيها من مصالح ، فالأمر المطلوب طلبا حتميا يكون كذلك لتيقن المصلحة فيه ، ويختلف اللزوم الحتمي باختلاف قوة المصلحة ، فما تكون فيه المصلحة أقوى يكون مقدما على ما قوته أقل فيها ، وما لا تكون المصلحة فيه مؤكدة يكون الطلب فيه ثابتا من غير لزوم ، وما يكون الضرر فيه مؤكدا يكون محرما ، ويختلف التحريم قوة وضعفا باختلاف قوة الضرر ، فما يكون أقوى ضررا يكون أشد تحريما ، وما لا يكون الضرر فيه مؤكدا يكون مكروها من غير الحكم بالتحريم ، وما لا يثبت رجحان الضرر على النفع فيه يكون المكلف مخيرا . إن كل حكم تصدى القرآن الكريم لبيانه ، أو السنة النبوية لتوضيحه مشتمل على مصالح العباد ، وإن خفيت على بعض الناس ، فإن ذلك لا يمنع وجودها ، فخفاء الأمر لا يستلزم عدم وجوده .

يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « لا ضرر ولا ضرار » رواه النسائي فهذا الحديث يعتبر قاعدة كلية في المعاملات ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « من ضار ضر الله به ، ومن شاق شق الله عليه » رواه البخاري .

وفي القرآن الكريم نجد النهي عن الضرر في المعاملات ، كالوصية ، والرجعة بعد الطلاق ، والرضاع ، والبيوع ، وغير ذلك في آيات كثيرة .

فمن مراعاة المصلحة العامة ما روى من أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سمع ذات ليلة بكاء صبي فتوجه نحوه ، فقال لأمه ، « اتقي الله تعالى واحسني الى صبيك » ، فلما كان بعد قليل سمع بكاء الصبي مرة ثانية ، فعاد الى أمه يقول لها مثل قوله الأول ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي ، فأتى إلى أمه وقد أخذ منه الغضب كل مأخذ وقال لها : « ويحك أم سوء !.. مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ » .. فقالت الأم :

« إني أسكته عن الطعام فيأبى ذلك » فسألها عمر : ولم ؟ : « فقالت : « لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم » فقال عمر : « وكم عمر ابنك هذا ؟» فقالت : « كذا وكذا شهرا » فقال لها عمر ويحك !.. لا تعجليه عن الفطام » . وعندما صلى الصبح التفت إلى الناس وقال لهم والدموع تكاد تملأ عينيه : « بؤسا لعمر !.. كم قتل من أولاد المسلمين » ثم أمر مناديه بأن ينادي في الناس : « لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود في

الاسلام » وكتب بذلك إلى عماله في جميع الأمصار .

مراعاة المصلحة في الطلاق

وتتجلى مراعاة المصلحة العامة في الطلاق حيث يقول المولى تبارك وتعالى : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**) ـ ٢٢٩ البقرة ـ ثم قال : (**فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) ـ ٢٣٠ البقرة ـ فالمقصود من هذا النص الكريم ان الطلاق يقع مرة فمرة ، وللزوج بعد كل من المرتين ان يراجع زوجته ، فاذا وقع منه الطلاق الثالث صارت لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا ، وذلك لما روى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا ، فتزوجت بعده رجلا فطلقها من قبل أن يدخل بها ، أتحل لزوجها الأول ؟ .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته » رواه النسائي وابن ماجه .

والحكمة من هذا النص واضحة بينة ، فالطلاق وهو أبغض الحلال الى الله عز وجل فيه تقويض لحياة الاسرة وهدم لها وتترتب عليه نتائج خطيرة لكل من الزوجين ، وتتعداهما لابنائهما ، وفي أغلب الأحيان تترك أثرا سيئا في هؤلاء الأبناء يستمر معهم طيلة حياتهم ، من أجل ذلك أباح المولى تبارك وتعالى للزوج ان يراجع زوجته بعد الطلقة الأولى ، وبعد الطلقة الثانية حتى تعود المياه الى مجاريها بين الزوجين ويستمر بناء الاسرة قائما وتستقيم الأمور بينهما من جديد .

السعي بالتوفيق بين الزوجين

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن الطلاق يجب ان يسبقه سعي بالتوفيق بين الزوجين ، والعمل على حل جميع المشاكل القائمة بينهما ، وتصفية الجو حتى تعود الحياة إلى طبيعتها الأولى ، يقول الحق جل وعلا : (**وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**) ٣٥ النساء ـ فإذا باءت المساعي بالفشل ، وتعذر التوفيق بين الزوجين ، ولم يكن بد من الطلاق على الرغم من الجهود المبذولة للتوفيق بين الزوجين ، واقر المحكمون من أهله ومن أهلها ان المصلحة في الطلاق ، فان شريعة الله عز وجل لا تجعل الطلاق مرة واحدة قاطعة ، ينهدم بها كل أمل في المراجعة بين الزوجين إذا بدا لهما بعد تجربة الفراق ان عوامل الألفة أو المصلحة أكبر وأقوى من عوامل النفور والكراهية بل مرتين ليستطيع الزوج ان يراجع زوجته إذا كان هناك بقية من مودة ، او مصلحة او خشية على الأبناء .

بيد انه لا تجوز المراجعة بعد الطلاق الثالث حتى تتزوج من غيره زواجا

صحيحا ، وذلك كيلا يستخف اي من الزوجين بالحياة الزوجية ويقدم على فصمها .

الطلاق الثلاث في لفظ واحد

وقد كان الطلاق الثلاث في لفظ واحد - كأن يقول الرجل لزوجته : أنت طالق ثلاثا - يعتبر طلقة واحدة ، وكان ذلك الشأن على عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي عهد ابي بكر الصديق - رضي الله عنه - وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم امضى الثلاث طلقات في كلمة واحدة ثلاث طلقات متفرقات ، وقال : « ان الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه اناة ، فلو امضيناه عليهم » ، فأمضاه عليهم .

وقد كان الرجل في الجاهلية يطلق زوجته الثلاث والعشر وأكثر من ذلك ثم يراجعها ما دامت في عدتها ، فجعل المولى تبارك وتعالى حد الطلاق ثلاث تطليقات .

وفي تحديد حق الرجل في مراجعة زوجته ما دامت في عدتها بمرتين إنما أريد به ألا يضر الرجل المرأة ، وألا يتركها كالمعلقة حياتها ، والمعلقة هي التي أساء زوجها عشرتها وتركها لا هي متزوجة ولا هي مطلقة .

وفي هذا رفق بالمرأة يتفق مع روح الاسلام ، ولقد ذهب القرآن الكريم في هذا الرفق بالنساء كل مذهب ، فأمر بأن تبقى المطلقات في المرة الأولى والثانية في بيت الزوجية طوال مدة عدتهن ، وان تحسن معاملتهن ، فقال : (**لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**) الطلاق ٢ - وقال : (**فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف**) وقال (**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف**) ٢٣٢ البقرة - وقال : (**وللمطلقات متاع بالمعروف**) ٢٤١ البقرة - فهذه الآيات وغيرها تحرم على الزوج ان يلحق اي ضرر بزوجته ، وترى في إلحاق الضرر بالزوجة إثما عظيما .

إن المولى تبارك وتعالى قد فرض المراجعة للاصلاح ، فاذا اتضح أن الاصلاح غير ممكن وظهر من مراجعة الزوج لزوجته أنه لم يقصد منها إلا إلحاق الضرر بها فإن حكمة المراجعة في ذلك الوقت لا تكون قائمة .

وأكبر الظن ان الذين كانوا يطلقون نساءهم على عهد عمر بن الخطاب لم يكونوا رحماء بهن ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السبايا من بلاد « العراق » و« الشام » قد كثرن وافتتن بهن أهل « المدينة » وأهل « شبه الجزيرة » فكانوا يسارعون إلى طلاق زوجاتهم رغبة في إرضاء من شغلت قلوبهم بهن ، وكانوا يذكرون الطلاق الثلاث في كلمة واحدة حتى ترضى من وقع هواها في قلب الواحد منهم ، وتطمئن إلى أنها هي الوحيدة الأثيرة لديه ولا يشاركها أحد فيه .

ولعل من بين الأسباب أسبابا كانت هناك ، جعلت البعض في ذلك الوقت يعبث بالطلاق الثلاث استهتارا

وضرارا ، كأن يتزوج الرجل بامرأة غير زوجته فتشترط عليه أن يطلق زوجته أولا ، وان يكون طلاقه لها ثلاثا حتى لا تحل له إلا بعد أن تنكح زوجا غيره ، فيجيبها الرجل بطلاق زوجته ثلاثا في كلمة واحدة ، فإذا راجعها بعد ذلك انقلبت حياة البيت الى جحيم لا يطاق ، ونزاع مستمر وعدم استقرار .

لمثل هذه الأسباب أمضى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاث تطليقات متفرقات مراعاة للمصلحة العامة وليتحمل كل من يستهين بشيء نتيجة استهانته واستهتاره .

معالجة تقلب النفوس البشرية

ان الاسلام لم يقف في حفظ الحياة الزوجية ورعايتها عند حد الامر بالاحسان وابراز مقتضياته وآثاره في الأسرة ، بل قدر ان النفوس البشرية عرضة للتقلب ، وان لمظاهر الحياة او انحرافات القلوب نزعات تحاول ان تغير من عاطفة الحب والمودة والرحمة التي تجمع شمل الاسرة برباط قوي متين وتقطع ما يكون من صلات وتترك في النفوس النفرة بدل الألفة ، والشقاق بدل الوفاق ، والفراق بعد التلاق .

ومن هنا نجد الاسلام يحرص اشد الحرص على علاج مثل هذه الأمور قبل ان يستفحل امرها ، ويتسع نطاقها ، ويتفاقم خطرها ، وتكون سببا في انهاء الحياة الزوجية ، وتقويض اركان الأسرة .

ولقد حذر القرآن الكريم من مسايرة هذه النزعة الشيطانية التي قد تطرأ على الحياة الزوجية ، وأرشد الى محاربتها وعدم التأثر بها وبين للرجل ان هذه الزوجة التي يزيّن له الشيطان ان قلبه قد كرهها ربما جعل المولى تبارك وتعالى له فيها خيرا كثيرا ، يقول جل شأنه : **(فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** ١٩ النساء -.

وبين المصطفى صلوات الله وسلامه عليه للرجل انه وان كان قد كره في زوجته جانبا فهناك جوانب اخرى كثيرة ترضيه وتهدىء من نفسيته ، يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يكره مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضي منها آخر » رواه احمد فهذه نصائح يجب ان يتذكرها كل زوج ويعيها عندما يتعكر الجو بينه وبين زوجته حتى تهدأ نفسه ، وتخمد ثورته ، وتمر العاصفة بسلام .

ولم يقف القرآن الكريم في علاج نزعات الكراهية بين الزوجين عند هذا الحد الذي وجه اليه أنظار الأزواج ، بل قدر - أيضا - أن تمتد هذه النزعات الى قلب المرأة ، فتحملها على النشوز والخروج على حقوق الزوجية ، والترفع عن مركز الرئاسة البيتية ، فأرشد القرآن الكريم الرجل الى معالجة هذا الأمر بنفسه بدون تدخل من أي انسان آخر ، حفظا للأسرار العائلية من الذيوع والانتشار ، وحدد للرجل مراحل ثلاثة ، لا ينتقل من احدها الى الأخرى الا اذا لم تجد المرحلة التي هو فيها ، يقول المولى

تبارك وتعالى : (**والاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**) ٣٤ : النساء ـ ، فالتي يكفيها الوعظ بالقول لا يجوز للرجل أن يتخذ سواه ، فان لم ينفع الوعظ انتقل الى المرحلة الثانية وهي مرحلة الهجر ، وما أقسى هذا العلاج على المرأة الحرة ، فان لم يجد الهجر انتقل الى المرحلة الثالثة وهي العلاج بالقليل من الايذاء البدني ، وقد جعله القرآن الكريم آخر الوسائل الاصلاحية التي هي من حق الرجل ، ويملك استخدامها كحق من حقوقه ، وهي بمثابة الدواء الأخير الذي لا يلجأ اليه الا عند الضرورة ، والواقع أن هذا التأديب لأرباب الشذوذ والانحراف من النساء اللواتي لا ينفع معهن وعظ ولا هجر أمر تدعو اليه الفطرة ، ويقضي به نظام المجتمع .

وكما قدر القرآن الكريم أن المرأة قد تكون مثار النشوز قدر ذلك ـ أيضا ـ من الرجل ، فأرشد المرأة في هذه الحالة الى محاولة علاج زوجها من هذا النشوز ، حفظا للحياة الزوجية واستمرارا لقيامها ، فتعمل أقصى ما في وسعها على كسب قلبه بما تستطيعه من وسائل الترضية وأن تتنازل في سبيل ذلك عما جرت به عادة البعض من الزوجات من الاحتفاظ والتمسك ببعض الرغبات التي تكون سببا في غضب الرجل ، وعليها أن تتقي تفاقم الشر بينهما .

وكم من كلمة طيبة ، أو اشراقة وجه ، أو ابتسامة حلوة في وجه الزوج يكون لها أثر كبير في عودة المياه الى مجاريها بين الزوجين ، والنفوس الى صفائها ، والقلوب الى تلاقيها ، يقول المولى تبارك وتعالى : (**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**) ـ ١٢٨ : النساء ـ ، فما دام الخلاف لم يتجاوز مرحلة الخطر فالزوجان هما المكلفان بتسوية شؤونهما ، وعلاج حالهما دون افشاء سرهما أمام الناس .

بيد أن الاسلام قدر أن الزوجين قد يفشلان ويعجزان عن غسل ما في نفوسهما من نفرة ، فهل سمح لهما ـ والحالة هذه ـ بالطلاق ؟ .

كلا ، لأن الطلاق أبغض الحلال الى المولى تبارك وتعالى ، فماذا فعل الاسلام إذن ؟ ... لقد لجأ الى علاج أقوى للمحافظة على الحياة الزوجية ، وأشار بضرورة عقد مجلس عائلي تكون مهمته محاولة اصلاح ما بين الزوجين ، وإزالة ما في نفوسهما ، يقول الحق جل وعلا : (**وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا**) ـ ٣٥ : النساء ـ .

وقد ذكر القرآن الكريم أن يكون المجلس من الأهل لأنهم أشد الناس حرصا على استمرار الحياة الزوجية بينهما وسعادة الأسرة ، بمقتضى صلات القرابة التي تربط وتوحد بين

الجميع ، ولأنهم ـ أيضا ـ أشد الناس حرصا على حفظ ما قد يكون في الشقاق من شؤون يجب أن تكتم وتخفي ولا تشيع بين الناس ، وهذه حكمة عالية وسامية في التشريع الاسلامي .

هذه هي السبل التي رسمها المولى تبارك وتعالى للاصلاح بين الزوجين تبين لنا أن الاسلام حريص كل الحرص على انقاذ الحياة الزوجية وعدم تعرضها للانهيار .

الطلاق علاج للإبقاء

إن الاسلام عندما أباح الطلاق جعله علاجا ـ أيضا ـ للابقاء على الحياة الزوجية ، وجعله على وضع يمكن الزوجين من مراجعة أنفسهما ، وتدبر عاقبتهما من أمرهما وأمر ما قد يكون بينهما من أبناء .

والاسلام لم يجعل من الطلاق كلمة يلقيها الزوج في وجه زوجته فتحرم أحدهما على الآخر تحريما أبديا لا رجعة فيه ، وانما سلك به طريق العلاج ، وجعله على مراحل ثلاثة ، حتى يمتد أمد النظر والتبصر ، فشرعه مفرقا مرة بعد مرة ، ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى وبعد المرة الثانية ، ويروضها على الصبر والاحتمال ، وهذا هو ما يسمى بـ « **الطلاق الرجعي** » ، فالطلاق رجعي في المرة الأولى والثانية ، لأنه يعد في الحقيقة وقف للحياة الزوجية لا حسم لحبالها وقطع لأوصالها ، ويجوز للزوج أن يراجع زوجته في خلال ثلاث دورات شهرية بدون عقد ولا مهر ، وكل ما على الزوج هو أن يراجع زوجته فتعود الى عصمته ، أما اذا سمح لنفسه أن يتركها لأكثر من ثلاث دورات شهرية فلا يجوز له أن يراجعها الا بعقد ومهر جديدين ، تغليظا عليه ، وحثا للأزواج على أن يراجعوا زوجاتهم قبل مضي هذه المدة حتى لا يلحقوا الضرر بزوجاتهم .

ومن هنا يجب أن نعلم أن الاسلام ليس شغوفا بالطلاق ، وانما شرعه علاجا للحياة الزوجية نفسها ، وجعله على ثلاث مراحل ليمكن للزوج أن يراجع زوجته مرتين ويراجع كل منهما نفسه ، ويتذكر كل منهما ما كان بينهما من الود والحب والتعاطف ، فاذا لم تفد التجارب وأوقع الزوج الطلقة الثالثة وضع الاسلام بينهما حاجزا وسدا منيعا ، وهو أنه لا يباح لهما ارجاع الحياة الزوجية بينهما الى سيرتها الأولى الا بعد شرط قاس يمنع الرجل المتمتع بالعقل الراجح والتفكير السليم من أن يوقع الطلقة الثالثة ، وذلك الشرط هو المشار اليه في قول المولى تبارك وتعالى : (**فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) ٢٣٠ : البقرة .

وهذا هو ما يسمى بـ « **الطلاق البائن** » ، أي : الطلاق الذي فيه ابعاد شديد بين الزوجين ، بحيث لا يمكن أن يجتمعا مرة ثانية الا بعد أن تتزوج رجلا غيره زواجا صحيحا ، ثم يطلقها هذا الرجل ؛ وربما لا يطلقها فلا يجتمعان ابدا ، لان المفروض في الزوج الثاني ان يكون قاصدا دوام

معاشرتها .
فهل التفريق بينهما بعد ما تبين ان الحياة الزوجية بينهما اصبحت متعذرة ومستحيلة وبعدما اجريت عليها التجارب المتعددة ، والتي اتضح منها انهما لا يلتقيان ، فيفرق بينهما بالمعروف ، ويبحث كل طرف منهما عن طرف آخر يألفه ويعيش معه في سعادة وهناء وسرور هل هذا التشريع افضل ام نحكم عليهما بالبقاء معا ؟.. ويعيش كل واحد منهما مع الآخر عيشة صورية ، وربما يميل قلب الزوج الى أخرى ويميل قلب الزوجة الى آخر وفي هذا الحرام كل الحرام .
ان التشريع الاسلامي الحكيم والذي يضع كل شيء في نصابه والذي قام على المصلحة العامة لكل فرد يأبى مثل هذا الوضع اشد الاباء .

كف الضرر عن الناس

ومن مراعاة المصلحة العامة في التشريع الاسلامي كف الضرر عن الناس ، ومن ذلك ما يروي بأنه كان لرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى ابا لبابة نخلة في بستان رجل فقال له الرجل : « انك تطأ حائطي الى عزقك ، فانا اعطيك مثله في حائطك وأخرجه عني » فلم يرض ابو لبابة بذلك ، فشكاه الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أبا لبابة أن يكف عن صاحبه مايكره ، وينفذ ما طلبه منه ، فامتثل ابو لبابة لامر الرسول عليه الصلاة والسلام .
وفي فتح « خيبر » اوقد جماعة من المسلمين النار تحت قدر فيها لحوم الحمر الاهلية فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر امرهم بان يريقوا الماء واللحوم ثم يقوموا بكسر القدور فقال واحد من المسلمين : « بل نريق ما فيها ونغسلها » فقال عليه الصلاة والسلام : « أو ذاك » رواه احمد ولقد اجابه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الى طلبه نظرا للمصلحة العامة ، لأنه من الممكن غسل القدور وتنظيفها تنظيفا جيدا بدلا من كسرها لانهم ينتفعون بها في شئون معيشتهم .

اباحة المحرمات

وتتجلى مراعاة المصلحة العامة في الشريعة الاسلامية في إباحة المحرمات من أجل الضرورة كإباحة أكل الطعام المحرم اذا خاف الانسان الهلاك ، وتحقق من الموت جوعا لعدم وجود ما يأكله سواه ، وكإباحة الفطر في شهر رمضان المعظم لمن كان مريضا او على سفر وتعذر عليه الصيام وما الى غير ذلك من الأمثلة التي يحرص فيها الاسلام على مصلحة الانسان وحياته .
ان مراعاة المصلحة العامة من الاسس التي قامت عليها الشريعة الاسلامية ، ومزية من مزاياها التي انفردت بها عن بقية الاديان الاخرى السابقة عليها .

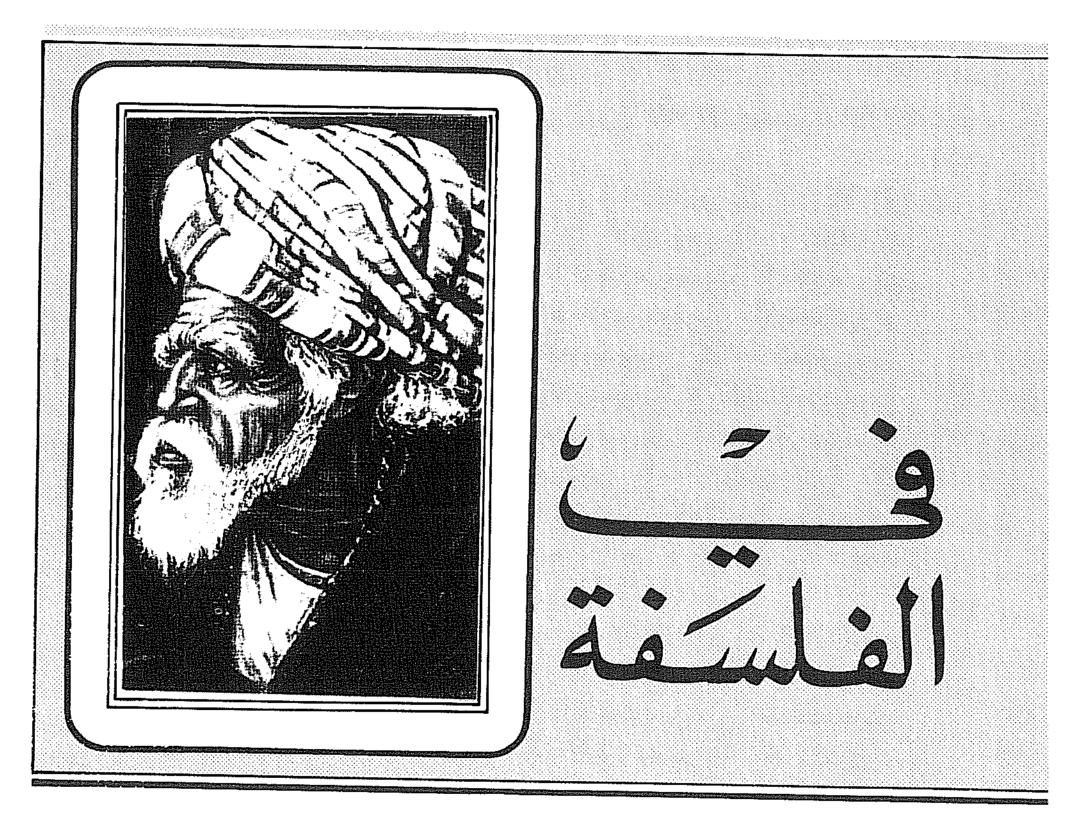


نظرات ابن سينا

للاستاذ محمد لبيب البوهي

تناول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في دراسة شاملة نظرات الرئيس ابن سينا في الفلسفة الاسلامية خاصة والفلسفة بصفة عامة ، مقارنا فلسفته بمن سبقه من بعض فلاسفة الاغريق والعرب ، ولقد يكون من المفيد ان نحاول إبراز بعض ذلك في تيسير ملخص مع شيء من التحليل ، فالبحث ضخم كبير وهذه بعض نظرات منه في محاولة للاحاطة باطاره العام بما يقرب المعنى للأذهان وتجلية بعض ما هو من طبيعة الفلسفة في عمق رموزها ، فمن البحث ندرك ان الرئيس ابن سينا كان يتخذ الرمز لتقريب المعنى ، فهو يجعل الطير مثلا رمزا للنفس ، وحين يقع الطير في شباك الصياد ويحاول الخلاص منها ، فقد يكون ذلك شأن المرء حين يقع في قبضة شهواته ، حين يحاول الخلاص منها ، بعد ان يذوق وبال أمرها ، وقد نرى في محاولة الطير الخلاص من الشباك ما يشبه محاولة المرء في مجاهدة نفسه بالرياضة .

ويرى الاستاذ العقاد أنه وإن كان ابن سينا قد تأثر ببعض ما جاء في فلسفة أفلاطون وأفلوطين والفارابي ، إلا أنه له مذهبه الخاص ، الذي كثيرا ما يخالف هؤلاء ، ذلك انه كان لا يخرج في فلسفته عن إطار العقيدة الدينية ، وبذلك يخالف بعض من سبقوه في



بعض أو كثير من القضايا العقلية .

كيف يرى ابن سينا بداية خلق العالم ؟

يذهب ابن سينا الى ما ذهب اليه أرسطو من أن العالم تكون في بداية خلقه من العدم الذي برزت فيه مادة كي يتكون منها ، وأن كيفية الوصول الى نشأة هذه المادة امر فوق القدرة العقلية ، وأن هذه المادة انما جاءت بفعل وتقدير وتدبير من واجب الوجود ، وهو الله سبحانه الذي أقام من هذه المادة صور العالم ، فان صور العالم لا يمكن ان تفرض نفسها على الوجود .. وأن الذي أوجدها واجب وجوده .. وأنه لا بد ان يكون أزليا لم يسبقه احد ، ولم يسبقه شيء ، لأنه لو كان مسبوقا لكان الذي سبقه هو واجب الوجود .. كما أن واجب الوجود سبحانه لا يمكن أن يكون مادة ، لان المادة تتكون من اجزاء ، والاجزاء تحتاج الى مكون لتكوينها فتكوينها لنفسها أمر محال .

مدى الاختلاف بين ابن سينا ومن سبقوه

ومع ان كثيرا من السابقين لابن سينا قد ذهبوا الى مثل هذا التأويل الذهني فهناك بعض الخلاف بينهم وبينه في إدراكهم لواجب الوجود وهو الله

سبحانه وممكن الوجود وهو الكون ، فهو يرى أن الكون قبل تكوينه كان في علم الله وإرادته ، وهي إرادة سرمدية لا يحدها زمان . فالله سبحانه قديم سرمدي لا يحيط به زمن ولا محل ، ولما خلق الكون جعل لهذا الكون حركة فنشأ الزمان ، فالعالم كما كان في إرادة الله قديم ، وإن الزمان نشأ من حركة الكون .. ويلتقي معه أرسطو في أن الحركة الأولى هي علة الزمان .

الحركة الطبيعية والحركة النفسانية

ويشترك ابن سينا مع أرسطو في تقسيم الحركة الى طبيعية ونفسانية ، فالحركة الاولى هي تجاذب مفردات الكون الى مركز العالم ، وأن من لوازم هذه الحركة استمرارها على نسق ونظام ، ولذلك تكون الحركات الفلكية حركات عقول ولذلك كان مذهب ابن سينا في الكائنات العلوية أنها ذات عقول على صورة ما ، وأن ذلك كامن فيها ذاتيا لتحافظ على أوضاعها بتدبير وقوانين اودعها فيها ذاتيا محركها الأول وهو الله ..

ونحب ان نفسر ما جاء في مذهبه عن تلك العقول بأنها القوانين التي اقام الكون عليها واجب الوجود حين خلق الكون من العدم وبدأت منه الحركة الأولى .. فأودع كل شيء قوانين استمراره ، واعطى كل شيء خلقه ثم هدى ..

وقد يرى البعض ان هذه العقول المحركة هي الملائكة .

شوق الكون كله الى مصدره الأول

وهكذا يتضح شوق كل حركة الى مصدرها الأول وهو الله سبحانه .. وهو ما تفسره بتسبيح كل شيء . ثم يفسر صفات الله تعالى بأنها ذاتية له سبحانه بدرجة الكمال المطلق وان صفاته سبحانه كلها مجتمعة فالانسان قد يكون قديرا بأن له قدرة تنفصل عن علمه ، ولكن قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وكل ما اتصف به سبحانه فهي مجتمعة ذاتية بدرجة الكمال المطلق .

ويقول ابن سينا : ان الله تعالى يعلم كل ما وقع او يقع في ملكه ، وليس علمه بها لانها حصلت بل هي حصلت بعلمه السابق قبل حصولها منذ الأزل ، فكان علمه بها سببا لحصولها ، ولكنه علم يخالف علم الانسان كما يختلف المحدود عن غير المحدود .

كيف يرى ابن سينا النفس ؟

والنفس عنده تصدر عن العقل وانها تكون في اسمى درجاتها حين تكون مطمئنة ، ومعنى ذلك أنها حققت كمال ذاتها المحدد لها بصفاتها التي منحت لها ، وكمال النفس ينقسم الى قسمين : الكمال المؤثر .. والكمال المتأثر وعلى العموم فان النفس عند ابن سينا كما عند أرسطو هي (قوى) تبدأ من القوة النباتية التي تقوم بالتغذية والنمو .. الى النفس الحيوانية التي تسيطر على القوة النباتية وتحركها .. الى النفس العليا

التي هي الناطقة العاقلة ولها صفات مختلفة كالبصر .. والسمع والشم وما الى ذلك ، وهي المقومات التي تتعامل بها مع الحياة .. والنفوس الاخرى ، والاشياء .

مقومات النفس وملكاتها

النفس لها مدارج تصعد بها الى كمالها ، اذا استعملت مقوماتها استعمالا سليما .. ومنها ملكات او مقومات باطنية كالتفكير ، والذاكرة .. والحفظ ، وملكات منفذة تجمع الى ماسبق القدرة على تحويل هذه المعنويات المجردة ، إلى تصرفات قائمة على تجميع ما يصدر إليها من الباطن من المعاني وتنقسم الى جزئيات ، وكليات ، فالجزئيات قد يشترك فيها الانسان مع الحيوان في ادراكها بالحواس .. أما الانسان فهو وحده الذي يدرك الكليات وارتباطها بالجزئيات .

وأول مراتب النفس العاقلة استعدادها من تركيبها الجوهري (الهيولائي) على استقبال التصورات وترتيبها والاحتفاظ بها والقياس الفكري .. والاستنباط ، فاذا استطاعت ترتيب الصور وربطها بأسبابها انتقلت الى مرتبة تدبير الامور وما تزال بعد ذلك هذه النفس في صعود .. بعد صعود حتى تصل الى ما يسمى بالنفس القدسية التي تؤهل صاحبها لمراتب العارفين والصديقين ، وتخاطب بقول الله سبحانه : (**يا أيتها النفس المطمئنة**) الفجر / ٢٧ .

النفس ليست تجسيدا عضويا ولا حيز لها

ويرى ابن سينا ان النفس ليس لها حيز ولا مكان في الجسد ، لأنها جوهر لا ينقسم ، وهي منتشرة في عموم الجسد كله ، سواء في حالة صحة أعضائه او مرضها ، فالانسان حين يقول : أنا فانه لا يقولها ويعني بها جسده اوأعضاءه بل يقولها وهو غافل تماما عن التعبير عن جسده وأعضائه ، ويرى أن هذه النفس تدخل الجنين عندما يتهيأ الجسد لقبولها .. ثم ترتقي بعد ذلك وتنمو بالعمل الشرعي والعلم الالهي ، وإذا اصابها انحراف في مسيرها الذي هيئت له بالقوانين المودعة فيها لصلاحها ، فان هناك قوانين ذاتية لتطهيرها من أدرانها كما يتطهر الجسد من النجاسة بالماء او التراب .

وقد تحدث شعرا عن هذه النفس وارتباطها بالجسد بالقصيدة العينية التي جاء فيها :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

ومن ذلك ندرك انه يرى بقاء النفس بعد فراق الجسد ، وهو الرأي

الاسلامي العام ، وقد سبقه إليه الفارابي معارضا أتباع ارسطو الذين كانوا يقولون بأنهم لا يعرفون وجودا للنفس الانسانية ، ولا بعثا بعد الموت ألا للنفوس التي استطاعت ترقية ذاتها في حياتها دون أن تجرفها الشهوات ، اما النفوس التي استهلكتها شهواتها فان حكمها حكم الحيوان لا بعث له .

في الخير .. والشر

ويرى ابن سينا أننا لا نستطيع تصور استمرارية الحياة إذا كانت خيرا محضا او كمالا مطلقا لانها تظل عندئذ صورا ثابتة بغير حركة الصراع الذي به تتحدد فوارق الأشياء ، كما انه ليس في وسعنا تصور الوجود شرا محضا ولكن الشر يأتي عرضا ليتحدد به الخير ، ويظهر وينمو ، فبعض الشر لازم ليتميز الخير ويتحرك .
فالنار لا يمكن الانتفاع بها إلا إذا كانت ذات لهب حارق .. وقد يكون الشر نقصا كالجهل .. فيكون خيرا من حيث إنه يحفزنا الى التعلم .. والمرض كذلك من حيث إنه يدعونا الى التماس أسباب العافية .. وكل هذا لا يستطاع اجتنابه في عالم يتسع للممكنات ، وفيه كل شيء ممكن وجوده ، اي حدوثه ، فهو ناقص لا محالة ، إذ لا وجود للكمال المطلق لغير الله سبحانه . وكل ماهو حادث فهو عرضة للعدم .. أي في طريق العدم .. فالخير أصيل في العالم والشر عارض في لوازم تحقيق الخير المتاح للممكنات .

الشر دائما اقل من الخير

ويشير ابن سينا الى ان ذلك واضح في جملة الامور .. وإلا لما كان لاستمرار الحياة والعالم قوام ، ولو ان كل واحد منا نظر في امور حياته وظروفها لتبين له صدق ذلك فالشر قد يصيبنا في أوقات ، ولكن مقومات الخلاص منه كائنة ، فالخير المحض هو الواجب الوجود لذاته ، ولكن ظروف الحياة كلها تدخل تحت باب ممكن الوجود ، اي كل التغيرات ممكن حدوثها ، ولذلك لا يكون الخير المحض دائما مستمرا لان ذاته ـ اي ذات الخير ـ في الدنيا تحتمل العدم والتغيير ، وما دام يحتمل العدم والتغيير فلن يكون بريئا من التعرض للنقص الذي نسميه شرا لذلك يرى ابن سينا ان ظروف الحياة في جملتها تدور في فلك الحكمة ولا يمكن ان يكون عالمنا خيرا مما اعد له وهيئت له احواله مع كونه حادث خاضع للممكنات .. فحدوث الشر الذي هو عارض انما هو ضروري لاستكمال الخير .

خط مسار النفس في حياتها الارضية

وينتهي ابن سينا في خط مسار النفس في حياتها الأرضية الى انها في الفترة ما بين حلولها في الجسد ، الى خروجها منه مكرهة إنما تكتسب تجارب في محاولتها التي يجب ان تكون ترقيا في مدارج الكمال مجاهدة في سبيل ذلك للعوائق التي تعترضها .. وتكون في احسن حالاتها حين تكتسب بالارادة

والبصيرة ، ومتابعة القوانين العلوية الخط الصحيح لمسارها ، ومن هنا فللانسان حريته في سبيل تحقيق الصعود بنفسه او الانحراف والهبوط بها فهو بذلك يحدد مدى استحقاقه للثواب او العقاب باختياره ، وهذا هو العدل الالهي في نظام الوجود ، وقد هيأ له كل أساليب الخير ، وجعلها ميسرة للانسان بالجهاد - او العلاج - او الممارسة ، فلا يقع في الدنيا ظلم الا كان له وجه مقابل من العدل ، ولا يجري الشر الا ليوقظ النفس عسى ان تنهض من جديد في الطريق السليم .. فانتهاء الأمور إلى أفضل النهايات امر ممكن .

خلاصة عقيدة ابن سينا

والمتأمل في آراء ونظريات ابن سينا الفلسفية ، يجد أنه لم يخرج عن نطاق العقيدة الدينية السليمة التي يؤيدها ويدعو إليها في حماس تحليلي ، وهو يرى في شأن النبوة انه ما دام الهدف في الحياة هو الاتجاه الى الله وأن ذلك لمصلحة الانسان نفسه وسعادته ، فان وجود المرشد أو النبي ضرورة حتمية ، ويوضح في تفصيل مسهب ، لماذا يجب ان يكون النبي انسانا من بني البشر ، له طبيعتهم ويتميز عليهم خلقيا ، حتى يكون لهم مثلا أعلى يحتذي به ، وان تكون له خصائص ينظرها الناس فيوقنون بحق أنه لن يكون له هذا التميز الا اذا كان مؤيدا بقوى عليا ، وأنه إذا لزم الأمر لتأييد ذلك التميز فهي المعجزات التي تؤيد صدق دعواه .. وأن النبي متى وجد فسيكون ليسن للناس القوانين التي تتنزل عليه ، ومن هنا يؤكد ابن سينا لزوم الوحي وإنزال روح القدس على النبي ، ثم إن مهمة النبي هي ان يربط للناس امور دنياهم بأمور أخراهم . آخذا بأيديهم على جسر الهداية الى الحياة الحقيقية ولذلك فهو يرى الجنة حقيقة ، ويدعو الناس الى ان سعادتهم في التطلع اليها والعمل من اجلها .. وقد جاء تفصيل ذلك كله في كتابه المسمى بـ « النجاة » .

صلة ابن سينا بالله ورأيه في الكرامات

ولم تبعد حياة التجرد والفكر الفلسفي لابن سينا قيد أنملة عن أداء الشعائر واستلهام العنصر الديني في خط مسار أفكاره فقد عرف عنه انه كان كلما أهمه الفكر وذهب به مذاهب شتى في البحث عن الحقيقة الفلسفية ، استغرق في الصلاة مبتهلا الى ربه كي يلهمه الهداية ويكشف له عن وجه الحق ، فقد كان شديد الحرص في الدعوة الى تقوية صلة الانسان بربه ، وكذلك صلة الروح بالجسد وقدرتها على التأثير فيه حتى لقد كان يرى ان صاحب النفس القوية إن كان خيرا رزق القدرة على ان تكون له كرامة يؤتاها من الله للتأثير فيما حوله حتى في الماديات ، وتزداد هذه القدرة بزيادة التقوى والصفاء ، وإن كان صاحب النفس الشريرة فهو الساحر

الخبيث .

من نصائح ابن سينا لأتباعه

وعلى ضوء ما سبق فانه كان يدعو الى عدم الوقوف موقف الانكار والمعارضة ، لما قد يبلغنا عن بعض العارفين ، من أنه مثلا كان لبعضهم دعوات مستجابة كأن يشفى بها المريض ، او يصيب بها قوما ضالين ، وهو يرى عدم اخضاع هذه المواهب للفكر العادي ، لان هذه الكرامات استمدت اسمها من تكريم الله لرجاله من اصحاب الصفات ، وهناك أمور لا يصح الوقوف منها موقف التكذيب .
ولقد كان يرى انه ما دام الكون المادي قابلا للتغيير والتبديل ، فقد اوتي العقل القدرة على التأثير فيه ، ان خيرا أو شرا فيما يظهر او فيما يخفى من الاسرار .. ذلك لانه ترى ان العقل المستفاد عند الانسان ليس منبت الصلة بالعقل الكلي الفعال .. وربما يعني بذلك الملائكة ـ ولذلك يرى ان النفوس لها تأثيرها في الأجساد .. وما دام لها تأثيرها في اجسادها ، فقد لا يكون هناك مانع من تأثيرها في الاجساد الاخرى ، ذلك لان النفوس غير متحيزة بحيز محدود اذ ليست مادة بل صلتها بالنفوس الاخرى قائمة .. ومن هنا يرى صحة حدوث الكرامة .

من بعض ما يؤخذ على ابن سينا

ولقد نرى مغالاته في شأن ما ذهب اليه آنفا .. كما يؤخذ عليه شدة اعتقاده في تأثير الكواكب وولعه بالحروف الأبجدية وتأثيرها الرياضي او تعبيراتها عن موجودات علوية او سفلية .. وان كان لم يذهب في هذه الآراء الى الكشف عن الغيب عن هذا الطريق .. وإن كان يمكن الوقوف عند بعض آرائه في رمزية بعض الحروف ، حين كان يرى مثلا ان الالف ترمز الى الواحد الباري جل وعلا .. وأن بعض الحروف الاخرى ترمز الى العقل .. او النفس .

قدرة الانسان على الوصول الى مراتب عليا في الكمال

وذلك بالتأمل الصادق ـ الصوفي ، وهو طريق الحكماء والصالحين ، ولابن سينا نفسه محاولات في هذا السبيل فقد حاول الكشف عن بعض حقائق الكون بالصلاة والزكاة ، والكف عن الشهوات ، وكانت له صلات ببعض المتصوفة في زمانه من امثال ابي سعيد بن ابي الخير .. غير انه يبدو انه لم يسر كثيرا في هذا السبيل ، اذ كان يميل الى تغليب جانب العقل على الجانب الروحي ، مما كان منشأ خلاف له مع بعض رجال التصوف .

ومع اختلاف لأهل الرأي في شأن ابن سينا ، فان أمثاله لا يخلو من اختلاف الناس في شأنه ..
ولا يمكن الانكار أنه كان قطبا لامعا ، سيظل مضيئا في سماء العروبة تفخر به الى آخر الزمان .



يعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة في مجال دراسة أسس ومبادىء وتطبيق البنوك الاسلامية فهو يتعرض لكيفية حساب التكاليف وتقدير السيولة النقدية في البنك الاسلامي ، ويشير أيضا الى بعض النماذج من الواقع العملي للبنوك الاسلامية ، وذلك بجانب استهلال الكتاب ببيان الاطار الشرعي للبنوك الاسلامية وبيان مصادر الاموال واستخدامها في البنك الاسلامي مع توضيح للخدمات التي يمكن للبنك الاسلامي تقديمها .

وهكذا يمكن بيان النقاط التي تعرض الكاتب لها في الآتي : –

- الاطار الشرعي للبنوك الاسلامية .
- مصادر الاموال وأوجه الاستثمار والخدمات في البنوك الاسلامية .
- حسابات التكاليف في البنوك الاسلامية .
- السيولة النقدية في البنوك الاسلامية .
- نماذج لبعض البنوك الاسلامية .

ففي الباب الاول : الاطار الاسلامي الشرعي للبنوك الاسلامية : تعرض الكاتب لبيان عدة نقاط أساسية تدور حول بيان كنه العمل في تلك البنوك والمبادىء والأسس التي تحكم عملها وكيفية تحديد الارباح .. وذلك في ضوء ما تقتضيه الشريعة الاسلامية ، ولذا فقد بين الكاتب هذه النقاط كما يلي : -

(١) التمويل في ظل نظام الفائدة الحالي لا يختلف عن الربا ، ولذا ناقش الكاتب قضية تنظيم الفائدة في البنوك الربوية وبيان موقف الشريعة الاسلامية منه وهل هو محرم أو يحل للناس التعامل على نهجه . وعرض لآراء البعض في هذا الشأن منهم : -

- المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، وقد قال ان الفائدة الحالية التي تتقاضاها البنوك على القروض لا تختلف عن الربا الذي حرمه القرآن للاسباب التالية : -

* انه لا كسب من غير تعرض لخسارة لأن الغنم بالغرم والعطاء بالأخذ والكسب بالخسارة .

* نصوص القرآن في تحريم الربا عامة ولم يقم دليل على تخصيصها .

* كلمة رأس المال في القرآن تعني أصل المال ولذا فكل ما عداه يعد زيادة عن الاصل فهو ربا .

* الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات والربا حرام لا شك فيه وقد أجمع المسلمون من أقدم العصور الى اليوم على تحريمه ولم يقل أحد قط أنه حلال .

- الدكتور محمد عبد الله العربي ، وقد بين ان الفائدة الحالية المدينة والدائنة للبنوك لا تختلف عن الربا الذي حرمه الاسلام . الا انه يرى في المجال الدولي رأيا ، وذلك باباحة التعامل بالفائدة ، حيث لا نملك فرض هذا الحكم على البلاد غير الاسلامية المتعامل معها ، ونحن في حاجة ماسة لاستيراد سلع لم نصل بعد الى انتاجها ، فلا مناص من التغاضي عن وزر الربا الذي يشوب معاملاتنا .

- أما الدكتور محمد عبد الله دراز ، فيرى أننا اذا أصررنا على اشراك المقرض في الربح الناشيء وجب علينا في الوقت نفسه ان نشركه في الخسارة النازلة ، ومتى قبلنا اشراك رب المال في الربح والخسر معا انتقلت المسألة من موضوع القرض الى صورة أخرى وهي المضاربة الشرعية أو القراض .

- فتوى الامام محمد عبده ، وذلك حيث افتى بامكان جعل الربح الناتج للمدخرين في صندوق التوفير حلالا ، وذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة .

وفي نهاية هذا الفصل قدم الكاتب ملخصا لتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة في صفر ١٣٨٥ هـ ، يوليو ١٩٦٥ م ، وذلك بالنسبة لما يتعلق بالمعاملات المصرفية : -

(٢) خصم الاوراق التجارية ربا

فما بدائله الاسلامية : - أوضح الكاتب هنا ما يتصل بخصم الكمبيالة حيث تعتبر عملية الخصم هذه عقد ربوي لا يختلف تماما عن الربا الذي حرمه القرآن وأنه عينه وذاته ، ولذا يجب عدم تضمينه الاطار الاقتصادي لنشاط البنوك الاسلامية .

وفي المجال الدولي لنا ان نقبل ولكنا مكرهين لا مختارين جواز الاستمرار في المعاملات المصرفية الخارجية على الوضع الربوي القائم ، حيث انه في الكمبيالات بالذات لا مناص من التغاضي عن وصمة التعامل بالربا في تداولنا السوقي للكمبيالات سواء كانت مسحوبة منا لصالح مصدرين أجانب أم مسحوبة من أجانب لصالحنا .

وقد يقدم البعض تخاريج فقهية لجواز خصم الكمبيالة بفائدة ، ولكن الكاتب يرد عليهم هنا بأن هذه التخاريج أكثرها فاسد لا أساس له من الصحة ولا دليل ولا برهان يثبته ، وقدم الكاتب بعض الاقتراحات الاسلامية كبدائل لخصم الكمبيالة بفائدة .

(٣) المضاربة الشرعية ، وهنا عرض الكاتب لماهية الشركة في الفكر الاسلامي ، ثم بين ما هي شركة المضاربة الشرعية واعادة المضاربة .

- الشركة في الفكر الاسلامي ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم والناس يباشرون الشركات فأقرهم عليها وباجماع الامة والعقول ، ولذا فهي طريق مشروع لابتغاء الفضل اي الربح والزيادة على رأس المال .

والشركة على وجوه ثلاثة شركة بالاموال وشركة بالاعمال وشركة بالوجوه وبيان ذلك كالتالي : -

أ) شركة المفاوضة : وتبنى على أساس اشتراط المساواة فيها من جميع الوجوه حيث يشترك فيها متساويان أو أكثر تصرفا ودينا ومالا وربحا . وتتضمن الوكالة فيصير كل واحد وكيلا عن صاحبه .

ب) شركة العنان ، وتتضمن أساسا الوكالة فالمقصود من الشركة هنا هو التصرف في مال الغير ولا يكون الا بها دون الكفالة ، لانها انما تثبت المفاوضة لضرورة المساواة وتصح مع التفاضل في رأس المال والربح .

جـ) شركة الاعمال والصنايع ، وفيها يشترك اثنان على تقبل الاعمال ويكون الكسب بينهما ، ولا تجوز هذه الشركة عند الشافعي لأن الشركة في الربح تبنى على الشركة في رأس المال على أصلهما وهنا لا مال لهما .

د) شركة الوجوه ، وتبنى على وجاهة الشريكين بين الناس وشهرتهما بحسن المعاملة اذ لا بد منه في الشراء نسيئة ، وفيها يشترك اثنان او اكثر ولا مال لهما بل بوجوههما ليشتريا بلا نقد الثمن - حاليا - بسبب وجاهتهما وأمانتهما عند الناس ثم يبيعان ويسددان ما

عليهما وهكذا ..

- شركة المضاربة الشرعية واعادة المضاربة ، بين الكاتب في هذا المقام ما هي المضاربة أساسا فقال « المضاربة شرعا هي : شركة في الربح بمال من جانب رب المال ولو متعددا وعمل من جانب آخر وهو جانب المضارب » .

ثم تعرض الكاتب لبيان أنواع المضاربة الشرعية في سبعة أنواع وانتقل بعد ذلك لبيان شروط المضاربة وذلك من ناحية رأس المال والربح وبيان العلاقة بين الطرفين ، وانتقل ايضا الى بيان نشاط المضاربة ، اعادة المضاربة ، لزومية عقد المضاربة ، الاطار الشرعي للبنك كمضارب ، الاطار الشرعي للبنك كرب مال .

(٤) عائد الاستثمار في البنوك الاسلامية ، عرض الكاتب هنا لمفهوم الربح ثم لمفهوم الخسارة وكيفية توزيع الربح بين رب المال والمضارب ، وفي النقطة الاخيرة قال الكاتب : -

- يشترط ان يكون الربح بينهما بحصة شائعة معلومة بينهما من الربح .

- كل شرط يوجب جهالة الربح يفسد عقد المضاربة .

- في حالة اعادة المضاربة يوجد ثلاثة اطراف : رب المال ، والمضارب الاول ، والمضارب الثاني ويتحدد ربح المضارب الثاني على نهج سليم كالاول .

- نفقة المضاربة مصروفة الى الربح لا الى رأس المال .

- عند الخسارة لا شيء للمضارب ويتحمل رب المال وحده الخسارة .

- توزع الزكاة الخاصة بالربح ورأس المال .

(٥) الخدمات المصرفية في البنوك الاسلامية ، وتطرق الكاتب الى الحديث هنا عن الخدمات التي يمكن ان يقوم البنك الاسلامي بتأديتها ، وذلك مثل : -

- الايداع بأجر
- الوكالة بأجر أو عمولة
- الاجارة والاجر المشترك
- الاجير المشترك
- عقد الكفالة
- الصرف .

(٦) مفاهيم ومبادىء اقتصادية ومحاسبية في البنوك الاسلامية ، قدم الكاتب في سياق حديثه لبعض المبادىء والاسس والقواعد الرئيسية التي يجب ان يتمسك بها البنك الاسلامي اثناء ممارسته لعمله ومن أمثلة ذلك : -

أ) في مجال الاستثمار :

- الغرم بالغنم
- جواز دفع الحصص في رأس المال بعملات مختلفة .
- الربح وقاية لرأس المال بالدرجة الاولى .
- جواز قيام البنك بتأسيس الشركات او الاسهام فيها .

ب) في مجال القروض :

- كل قرض جر نفعا فهو ربا
- خصم الكمبيالات التجارية بفائدة ربا .
- جواز استرداد البنك للمصاريف الفعلية .

- الحوالة جائزة شرعا .
جـ) في مجال الخدمات المصرفية :
- الايداع مشروع بأجر أو عمولة .
- جواز شراء وبيع العملات لحساب العملاء .
- جواز شراء وبيع الاسهم وتحصيل كوبوناتها .
د) في مجال الخدمات غير التقليدية :
- جواز أعمال الوساطة والسمسرة .
- القيام بأعمال الاستشارات والخبرة المالية والاقتصادية .
- ادارة الصناديق الخاصة بأجر وعمولة .
هـ) في مجال الضمانات
- شرعية المطالبة بتقديم كفيل او ضمان .
- جواز فرض غرامة مالية على المكفول في حالة تقصيره
- مشروعية الرهن ضمانا لاستيفاء حق كالدين .

وفي الباب الثاني :
مصادر الاستثمارات والخدمات في البنوك الاسلامية : تعرض الكاتب بالشرح والتوضيح لبيان مصادر الاموال وأوجه الاستثمار وأخيرا الخدمات المصرفية التي يقدمها البنك الاسلامي لعملائه :

(١) مصادر الاموال في البنك الاسلامي : تتكون من مصادر داخلية وخارجية اما المصادر الداخلية فهي :
- رأس المال ويشير الى أصل المال الذي خصص لاقامة البنك .
- الاحتياطيات وتشير الى الارباح المحتجزة لدعم المركز المالي .

أما المصادر الخارجية فهي :
- الودائع تحت الطلب والتي تسمى حسابات جارية .
- ودائع بالمشاركة (المضاربة) وتتنوع الى : -
- ودائع ثابتة وقد تكون مطلقة او مقيدة .
- ودائع باخطار وقد تكون مطلقة او مقيدة .
- ودائع ادخار وقد تكون مطلقة او مقيدة .

(٢) أوجه الاستثمار في البنك الاسلامي بعد ان بين الكاتب في هذا المقام بصورة سريعة أوجه الاستثمار في البنوك التجارية في اطار نظام الفائدة تطرق الحديث الى بيان أشكال الاستثمار بالمشاركة في البنك الاسلامي وذلك ببيان الوضع عندما يشارك البنك كرب مال أو كمضارب ، او عندما تكون هناك عملية اعادة مضاربة ، وعندما يكون البنك في دور رب المال والمضارب معا .

وانتقل الكاتب الى عرض لكيفية تحديد حصة أصحاب الودائع بالمشاركة المقيدة او المطلقة ، ثم انتهى في هذا المقام الى توضيح لمفهوم وقياس الربح القابل للتوزيع في شركة المضاربة الشرعية .

(٣) الخدمات المصرفية التي يقدمها البنك الاسلامي لعملائه ، وبيانها كالتالي :

- الحسابات الجارية
- الاوراق المالية وما يتصل بها .
- خزائن الامانات .
- الاوراق التجارية من ناحية تحصيلها فقط .
- القروض .
- الكمبيو .
- الاعتمادات المستندية .
- خطابات الضمان .
- الصناديق الخاصة وادارتها .
- الاستشارات المالية والاقتصادية .

وفي الباب الثالث : محاسبة التكاليف في البنوك الاسلامية : تناول الكاتب ما يتعلق بكيفية حساب التكاليف في البنك الاسلامي مبينا مراكز التكلفة وذلك بتقسيمها الى مراكز انتاج ومراكز خدمات ، وبيان أنواع التكاليف المباشرة وغير المباشرة وكيفية تخصيصها على مراكز التكاليف ، ثم انتقل الكاتب الى تحديد الربحية النوعية على مستوى الانشطة الاقتصادية الرئيسية وذلك حسب الخطوات التالية : -

- تحليل الايرادات وتحديد ايرادات كل ادارة .
- توزيع ايرادات الادارات الاقتصادية على الانشطة الاقتصادية الرئيسية .
- مقابلة الايرادات بالتكاليف .

ثم عرض الكاتب لنقطة التعادل في البنك الاسلامي من ناحية بيان ماهيتها ودورها ومزايا استخدامها ثم كيفية حسابها رياضيا وبيانيا .

وفي الباب الرابع : السيولة النقدية في البنوك الاسلامية : تكلم الكاتب عن : -

(١) زكاة النقود والسيولة النقدية : وهنا تطرق الكاتب الى الحديث عن الاكتناز في الفقه الاسلامي والفرق بينه وبين الادخار ، وما هي الصعوبات التي تكتنف محاربة الاكتناز وتعبئة المدخرات في الدول النامية ، وبين رأي ابن خلدون في الاكتناز وانكماش التيار النقدي على المستوى الحكومي ، مع عرض للوظيفة الاقتصادية لمصارف الزكاة في دعم الدورة النقدية وتوسيع التيار النقدي .

(٢) السيولة ومعادلة الالتزامات النقدية ، تعني السيولة قابلية الاصل للتحويل الى نقود بسهولة ودون تحمل خسائر وتتكون السيولة لدى البنك الاسلامي من : -

بالنسبة للاصول :
- النقدية بالخزينة .
- الارصدة لدى البنك المركزي او مؤسسة النقد .
- الاوراق المالية وكوبوناتها تحت التحصيل .

وبالنسبة للخصوم :
- ارصدة مستحقة على البنوك .
- الذهب والعملات الاجنبية .
- الشيكات والحوالات تحت التحصيل والمستحقة الدفع .
- ارصدة مستحقة للبنوك .
- الودائع .

وتناول الكاتب كيفية حساب نسبة السيولة التي تشير الى النسبة بين الاصول التي تعتبر سائلة والخصوم المقابلة لها .

(٣) أثر عامل السيولة في سياسة الاستثمار ، لا خلاف في ان اثر عامل السيولة في سياسة الاستثمار لا تقل اهمية في البنوك الاسلامية عنها في البنوك التجارية وهو من اهم العوامل المؤثرة في سياسة الاستثمار في البنوك ، وتحتل الودائع بالمشاركة والمضاربة الشرعية المكانة الاولى ، وهي اما ودائع ثابتة او ودائع باخطار او ودائع ادخار ـ صناديق توفير ـ هذا وتستهدف المحافظة على السيولة في البنوك الاسلامية تحقيق اهداف كثيرة ومتعددة ، أهمها المحافظة على الاستخدام الامثل للارصدة النقدية ، والمرونة في التخطيط النقدي لمواجهة مواسم التمويل والاستخدامات النقدية المتوقعة ، وتجديد الموارد المالية عن طريق بيع استثمارات البنك كلما وجد ذلك مناسبا له .

وفي الباب الخامس : نماذج للبنوك الاسلامية : عرض الكاتب لبعض النماذج من الواقع العملي للبنوك الاسلامية التالية : البنك الاسلامي للتنمية ، بنك دبي الاسلامي ، بنك فيصل الاسلامي المصري ، بنك ناصر الاجتماعي .

وتهدف هذه البنوك أساسا الى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للبلاد والمجتمعات الاسلامية وذلك وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية .

ولكي تؤدي هذه البنوك أهدافها ، لها ان تقوم باداء الخدمات المختلفة ما دامت توافق الشريعة الاسلامية ومن امثلة الخدمات التي يمكن ان تقدمها ما يلي : ـ

- الاستثمار في مشروعات البنيان الاقتصادي والاجتماعي .
- المشاركة في رؤوس أموال المشروعات والمؤسسات الانتاجية .
- منح قروض لتمويل المشروعات والبرامج الانتاجية في القطاعين العام والخاص .
- النظارة على صناديق الاموال الخاصة .
- اجراء الابحاث اللازمة لممارسة النشاطات الاقتصادية والمالية والمصرفية .
- قبول الودائع النقدية على اختلاف صورها للحفظ أو للاستثمار .
- شراء وبيع السبائك والعملات الاجنبية .
- فتح الاعتمادات وتقديم سائر التسهيلات المصرفية .
- القيام باعمال بنوك وصناديق التوفير .
- تقديم خطابات الضمان .
- اصدار الاسهم لحساب المؤسسات والشركات ومعاونتها في عملياتها .
- الاستثمارات المختلفة في كل ما تجيزه الشريعة الاسلامية من معاملات .

أبغض الحلال الى الله

للدكتور/محمود محمد عمارة

(فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) البقرة/ ٢٣٠ .

* تظل الحياة رخية ناعمة ما بقيت علاقة المرء بزوجه وطيدة الدعائم .. ثابتة الاركان .. وكل وليد يترعرع في هذه الدوحة ، يستوي مع الايام على سوقه في ظل من حنان امه .. ورعاية ابيه . ومتى احس الطفل بالحب والامن معا .. حسنت صلته بالحياة .. فحسن ظنه بها .. ثم اقبل عليها جذلان راضيا . بل ان تصوره للحياة ليأخذ معنى ارحب من بيئته .. ولسوف يطير به خياله في كل اتجاه .. وراء مباهج اعطته الحياة عناصرها .. حين اشبعت حاجته للحب والامن معا ..

ولأن استقرار الحياة الزوجية بهذه المثابة .. كان الطلاق ابغض الحلال الى الله تعالى .. لأنه يحول بين الاسرة وحاجتها الى القرار .. حين يضطرب المجداف بين يدي ملاح تائه فوق محيط ثائر الموج .. فلا تستقر على حال من القلق ..

* واذا كان الاسلام يمسك علاقة



الزوجية ان تذوب في غمرة المشاكل المتجددة .. واذا كان قد خط السبيل القاصد لتحقيق السعادة .. بما اوجب على كلا الزوجين .. ولهما .. فانه حتى اذا تجاهل الزوج ذلك ـ لا يتخلى عنهما في ساعة العسرة ابدا .

* انــه يمسـك بتـلابيب الـزوج الغاضب .. قبل ان يحرك لسانه بكلمة تهدم الصرح القائم ..

* واذا كان هو قد طلق قبل ذلك مرتين .. ثم وجد طريق العودة مع ذلك ممهدا .. فان عليه اليوم معرفة سوء حاله لو خاض التجربة الثالثة .. ونطق بالكلمة الاخيرة .

ان الطريق الى زوجته يصير حينئذ وعر المسالك .. وسوف يزاحمه فيه شخص غـريب .. يسبقه اليهـا .. فيخلفه في مملكة كان فيها السيد المطاع .

وذلك بعض ما يفهم من قـوله تعالى :

(فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .

* والاية الكريمة ترسم صورة حية لايامه المقبلة .. من شأنها ان تمسك لسانه فلا ينطق بكلمة الفراق . واذا حدث ونطق بها .. فلا ينبغي لاحد من بعده ان يقف موقفه حتى لا يواجه مثل مصيره ..

فماذا في الآية الكريمة من معان تضبط في قلب الزوج الغاضب دوافع الانتقام ؟

* ان الحق سبحانه وتعالى لا يستدعي فردا معينا يتجه اليه بالخطاب .. وانما تتحدث عنه الآية الكريمة بضمير الغيبة : (**فان طلقها**) .

واستبعاده من الساحة ـ.. وعدم تشريفه بالخطاب .. صورة من صور التجاهل لانسان يفقد ـ في مثل هذه اللحظة ـ وجوده الادبي .. وان كنا نسمع صوته ـ ونرى جثته فهو يقطع ما امر الله به ان يوصل .. ويستغل سلطته في طرد مخلوق ضعيف .. من ظله وحمايته .. ليعيش في وهج الشمس .. ووحشة الضياع . فهو نشاز في نغم متناسق :

* فالدنيا ضاحكة مستبشرة .. تفتح ذراعيها لكل مقبل عليها .. راغب فيها ..

* ثم هي في جوهرها .. حلاوة .. ومرارة .. نقص وكمال .. صحة ومرض .. وانه لم يتقبلها على هذا النحو .. لانه يريدها صفاء مطلقا .. ولن تكون كذلك ..

انه رجل يحكم مزاجه الخاص .. وبه يريد ان يسير دفة الكون .. ولن يوجد مثل ذلك الرجل ، واذا وجد ـ فهو شبح لا وزن له .. يعبر آفاق الوهم .. خاطرا في « ضمير الغيب » .

****

ولكنه مع ذلك موجود في دنيا الناس .. وظاهرة اجتماعية ينبغي ان تلاحق بالتأديب والتهذيب .. وهو ما تتكفل به الآية الكريمة في صدرها .. بما رسمه من مستقبل مثل ذلك الزوج .. حتى اذا رأى نفسه على « شاشة » ذلك المستقبل على هذا النحو الذي يرفضه كرام الناس .. ربما اعاد حساب ربحه وخسارته قبل ان يتخذ موقفه الاخير .

* فعلى اي نحو ستكون ايامه المقبلة ـ لو طلق الثالثة ـ التي يوشك الآن ان يتخذ اليها سبيلا ؟

* ان الزوجة التي يملك معاشرتها الآن .. لن تحل له بعد ذلك .. فكلمة الطلاق التي يمكن ان ينطق بها .. سوف تحفر بينهما برزخا عميق الاغوار .

(**فلا تحل له من بعد**) .

* وعليه اذا اراد العبور اليها ان يتخطى جسرا من التعب : فربما تصور الزوج ان الزوجة المطلقة .. ستنتقل الى بيت امها .. ثم تمكث هناك بقية عمرها في احضانها .. تجتر ذكرياتها معك .

* بيد ان الاية الكريمة تطالعه بما يقض مضجعه .. حين تبين له زوجته وهي في عصمة رجل اخر غيره .. وهو الامر الذي يتجاهله ولا يكاد يذكره :

(**فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) .

فهلا طامن من غضبه ازاء هذه الصورة التي تطل عليه من شرفات مستقبل متجهم ؟

هل تحسس نبض قلبه .. وصلابة اعصابه ليعرف مدى تحمله لصدمة من هذا النوع ؟ .

* واذا لم يكن قد فعل .. فليعد النظر تارة اخرى .. ليرى بقية النذر التي اغمض عينيه فلم يفطن لها : ان زوجته ـ السابقة طبعا ـ لن تستمر مستسلمة في بيتها ضحية لهواه المتقلب ففي كيانها رغبة في الزواج .. ككل انثى تحس بوحشة الفراغ .. وكل امرأة تقلقها الوحدة متطلعة الى حياة ذاقت طعمها من قبل : ثم انها لن تضمر هذه الرغبة في صدرها الى ان يطرق بابها الخاطبون ..

* بل سوف تعلنها صريحة واضحة :

* سوف تبحث عن ذلك الزوج المرتقب .. بلسان الحال او المقال .. لتنكحه هي ؟!

(**حتى تنكح زوجا غيره**).

اي انه سيخرج من حياتها .. وتقتلع من ارضها جذوره .. .. متطلعة الى رجل آخر .. ترث مملكته ويستمتع بما لم يكن مباحا له من قبل .

ومن شأن الكبرياء المزيف ان يعود مثخنا بالجراح امام هذا التصور الرهيب .

التصور الذي يوشك ان يكون حقيقة يراها بعينه .. كل يوم : ان الرجل ـ في غيبة ايمانه بربه ـ قد يسمح لزوجته أن تسير معه في الطريق شبه عارية .. بل ربما كانت نظرات الشباب اليها بعض مأربه لكنه سيثور ـ ان بقيت في دمائه ثورة ـ اذا انقلب الوضع .. فكانت هي الناظرة اليهم .. المحملقة في وجوههم .. حيث كان ذلك اعراضا عنه .. وزهدا فيه .. الى غيره .. وهو المعنى الدقيق الذي تملأ به الآية الكريمة وعي الزوج هنا حين اضافت النكاح اليها هي .. والعهد بالقرآن ان يضيفه الى الرجل .

ولعل بصيرته تستيقظ على واقع جديد .. تتحول به زوجته من تابع امين مسالم .. الى ارادة تبحث لنفسها عن الخلاص .. وتعلن التمرد على قائد .. لم يحسن تدبير الاسرة .. فاستغل سلطته في نقض غزلها من بعد قوة انكاثا .. ان عليه ان يدفع الثمن من اعصابه غاليا .. ثم .. ان هذا الزوج الذي ترتقبه .. لن يكون مجرد انسان او زميل في مكتب ومصنع ...

انه « زوج » له كل حقوق الزوجية ....

زوج تدول به دولته .. وتطوى رايته ..

****

* ولا تقول الآية الكريمة (زوجا آخر).. ولكنها تقول (**زوجا .. غيره**) وابراز معنى الغيرية مضافة الى ضميره الصريح .. له مغزى عميق الدلالة :

فكثير من الزوجات يعشن في ظلال ازواج « آخرين » وهو امر يتصوره الانسان فلا يحرك في رأسه شعرة لأنه شيء عادي .. وصورة مكرورة في بيئة كل انسان .. ولكن « الزوج » المأمول هنا .. خلاف هؤلاء جميعا فهو غيرك .. انت .. بالذات ..

يخلفك من دون الناس جميعا في دولة كنت فيها الآمر الناهي ويا لحرمة الاسرار التي تطل الآن من مكامنها .. لتكون في متناول غريم يقف اليوم على

اطلال حياتك .. والازواج نيام .. فاذا طلقوا انتبهوا ..

* وهكذا تتصدى الآية الكريمة في نصفها الاول لكل راغب في الطلاق حتى يتريث وكانما هي في كلماتها الموجزة الموحية .. مانعة صواعق .. تحول بين الاسرة وبين الانهيار ولو احسن الناس فهمها لوفروا على انفسهم متاعب لا قبل لهم بها ..

ولو احسن الكاتبون السطحيون فهم مراميها لوفروا ايضا على انفسهم ما يبذلون من جهد في البحث عن قيود الطلاق .. بعد ان وضعت الآية الكريمة من الضوابط ما يمسك الاسرة ان تزول .. وبعد هذا كله .. تقف اداة الشرط « **إن** »» (على رأس الآية الكريمة لتزعزع ارادة الرجل فلا يقدم على الطلاق .. حيث كان مدخولها بعيد الوقوع ..

اي ان الطلاق حينئذ تجربة غير مضمونة النجاح .. وعلى كل عاقل ان يراجع نفسه قبل الدخول فيها .. واذا حدث وفعل .. فتحت ظروف قاهرة .. تجعل من الطلاق ذاته مخرجا وحيدا .. وفي هذا المعنى يقول المرحوم العقاد : « فاذا احل - اي الطلاق - بعد استنفاد الوسائل المستطاعة .. فما من حل آخر يغني عنه ، وما من تحريم له الا وهو اشد قسوة .. واقل نفعا من التحليل »..

(فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون)

* ولأن الطلاق ضربة موجعة في كيان الاسرة .. وهي من المجتمع قلبه النابض .. فان الشيطان المريد يتخذ منه سلاحا يفرق به بين المرء وزوجه .. بل ان اقرب جنوده اليه .. هو ذلك الذي ينجح في قطع هذه العروة الوثقى ..

ولن يتصدى الشيطان للانسان وهو معتدل المزاج .. موفور السعادة .. فتلك لحظة قوة ترتفع بالانسان فوق مكايد الشيطان ..

لكنه يدور حوله في مثل هذه اللحظة من لحظات الضعف الانساني .. والتي يحس فيها الزوج بانه يملك .. وبارخص الاثمان .. ان يحطم هذا البناء العالي بكلمة واحدة .. لا سيما والبديل ميسور .. والمهر مقدور عليه ..

* ومن هنا يشدد القرآن النكير على الزوج الغاضب .. قبل ان يتخذ موقفا ربما ظنه بطولة .. او مغامرة .. كما تملي عليه وساوسه ..

* لكن الانسان هو الانسان .

* فقد يتجاهل نداء السماء كأن في اذنيه وقرا .. فلا يضبط نوازعه .. ثم يطلق امرأته للمرة الثالثة .. اجل .. قد يتجاهل الزوج هذه النذر المتلاحقة والتي تلسعه بها الآية الكريمة .. بما تضمنته من امور ترميه بهموم ثقال .. لو اتخذ قراره ..

ولعله .. وبعد فوات الاوان .. يحس بمرارة تجربة خاضها .. حين يصل منها الى مرحلة تحرق دمه في عروقه .. وبعد ان يرى ما انذرت به الآية الكريمة واقعا ملموسا .. وها هي ذي زوجته في عصمة رجل آخر .؟

* وقبل ان تأكل الهموم ما بقى من اعصابه .. فان الآية الكريمة تقف الى جانبه .. بل الى جانب الاسرة كلها .. في محاولة لرأب الصدع .. وعودة المياه الى مجاريها ..

ان الآية الكريمة تتحدث عن الزوج الثاني حديثا عابرا .. فلا يطول ذكرها له حتى تقف بنا موقف المتوقع لتجربة تنذر بفشلها المرتقب .. اي انها تولد .. لتموت .. (**فان طلقها**) اي الزوج الثاني .. ثم يعود الباقي الى الزوج القديم .. وزوجته التي طوحت بها الاقدار الى بيت غريب .. وطبع غريب (**فلا جناح عليهما ان يتراجعا**) .

* ومعنى ذلك ان الزواج الثاني يجيء نشازا في لحن متناسق .. ونسبة نجاحه لا تغري بتحمل مسئوليته ..

فالرباط المقدس الذي جعله الله مودة ورحمة مازال ضارب الجذور في اعماق النفوس رغم كل ما حدث وكأنما كان الامر امتحانا صعبا لكلا الزوجين .. يمحص العلاقة .. ويمهد لظروف ما كان يهجس بها خيال .. من شأنها ان تهز النفس لتفيق من سباتها .. وهي لمحة مضيئة تلفت انتباه الناس الى التأمل .. والفهم .. والموازنة .. ليلتقوا بالحق والوضوح في موضوع طال حوله الجدل .. ولم يصل فيه الى قرار يحسن السكوت عليه .. لأن القضية اذا بحثت بعيدا عن منهج الله .. تظل غائمة عائمة ..

* وحين يتجهون الى القرآن الكريم بتوجيهاته الرشيدة في مثل هذه الآية .. فسوف يتريث الغاضبون .. قبل ان يصل بهم الغضب الى موقف لا يحسدون عليه ..

* ولو اننا ساءلنا الواقع الماثل لاجاب الاجابة الكافية الشافية لصدور قوم يبحثون عن بر الامان في معترك الموج .. فقد يكون للزوجة اطفال صغار .. ان تركتهم له ضاعوا .. وان ابقت عليهم جاعوا ..

ومع ذلك فلها مع زوجها ذكريات عزاز تلاحقها .. وتؤرق حياتها .. لا سيما بعد ان تترك البيت .. وتهدأ العاصفة .. وبعد ان ترى الحياة من حولها تتقلب بالناس .. وكلهم يعيش .. ويمارس الحياة بما فيها من حلو ومر .. وضعف وقوة .. فلماذا لا تعيش هكذا .. مثلهم ..

* وافكار من هذا اللون تتراكض في ذهن الزوج ايضا .. ويضيء الجو الملبد بالغيوم رويدا .. فتتضح الرؤية وتبدأ عين الرضا تمارس عملها صفحا وتسامحا .. بعد ان كانت عين السخط سيدة الموقف ..

* ان اليوم الاول في حياة عامل جديد .. والليلة الاولى في رحلة الغريب المسافر .. كل ذلك يخط في الاعصاب مجرى عميقا يستعصي على النسيان ..

وفي دوامة الاحداث قد يكره الانسان .. فتبدو الامور في ناظريه اكبر من حجمها الطبيعي ..

وقد يسول له ذلك رؤية سطحية لحياة الآخرين الذين تملأ ضحكاتهم اذنيه فيحسبهم اكثر سعادة منه .. بينما هم في الواقع يخفون بالضحكات نباح الآلام في قلوبهم ، بيد ان

الزمن .. والرؤية المتأنية الواعية كفيلة بكشف الرغوة العائمة .. وتبدو حقائق اصيلة .. ترسبت هناك في اعماق الزوج والزوجة معا .. ويظل الرباط مع هذا قائما .. وان توقف قليلا من خلال تجربة جديدة قصيرة العمر مع زوج جديد .. لقد خف احساس الزوجين يوما بهذا الرباط .. وتلك الحقائق ، لكنها اليوم في مهب ريح عاصف تبدو كفص من الماس .. يخطف بريقه الابصار ..

وانها لفرصة تتجدد بها الحياة .. كأجمل ما تكون الحياة . من اجل ذلك .. كان التركيز على العلاقة الاولى مع تلبد الجو بالغيوم امرا تفرضه طبائع الاشياء .. وكان الزوج الثاني حلقة غريبة في سلسلة ممتدة يراد لها ان تدوم .. لقد كان فقط صدمة عصبية صكت مسامع زوج متهور .. يصحو اليوم على دقات الحقيقة المرة .. وهو بالخيار ان شاء الى جنة .. وان شاء فالى النار ..

* فاذا استقامت الحياة بالزوج الثاني فبها .. وحتى في مثل هذا الظرف الطارىء لا يتخلى الاسلام عن منهجه في بغض الطلاق وذلك في اختيار الآية حرف الشرط « إن » وما يشير اليه من استبعاد وقوع مدخوله ..

لكنه مع ذلك جائز الوقوع .. فاذا وقع .. فللزوج الأول ان يعود اليها .. وهذا هو طريق العودة ممهد ..

(فلا جناح عليهما ان يتراجعا).

* ان طيف الزوج القديم مازال يرف من خلف السطور ..

* انه .. وان فقد وجوده الفعلي بحياة الزوجة مع آخر .. الا انه ذكرى عزيزة غالية فوق النسيان .. على ما يقول الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

* الم تر الى ضمير التثنية في قوله تعالى :

(فلا جناح عليهما أن يتراجعا).

فالسياق يجمعهما في ضمير واحد .. تمهيدا لاجتماع يستأنفان به حياة جديدة . وكأنه .. وقد توقع فشل المحاولة الثانية .. يحتفظ بالزوج .. فنحس به .. متأهبا .. او هكذا يجب ان يكون .. لاهتبال اول فرصة تلوح .. لتعود به الى زوجة طالما اساء بها الظن .. وانه ليوشك ان يتقدم الان .. ليرأب الصدع .. ويجمع شملا فرقته الايام .. ويستقبل بالعودة المباركة صغارا لهم اشد جوعا الى عواطفه ورعايته من لقمة العيش .. وجرعة الماء .. وقبل ان يقعوا فريسة عقد نفسية تنهي وجودهم الادبي فلا يستمتعون بحياة .. ولا يسعد بهم وطن ..

* بيد ان هذه العودة المباركة مشروطة بموافقة الزوجة صراحة .. وليس ذلك بالشرط التعسفي الضاغط .. بقدر ما هو ضمان اكيد لاستمرار الحياة من جديد .. فان

الفشل المكرر يقضي على كل امل في النجاح بعد ..

* فالزوجة اولا : قد اضافت اليها المشاكل خبرة تمكنها من التصور الصحيح للمستقبل .. وبالتالي من صحة الحكم له .. او عليه ..

* وثانيا .. وهو الاهم ـ فقد امسك الزوج بالزمام يوما ـ واتيحت له قيادة السفينة عبر المحيط الواسع .. فما كان منه الا ان اذاق الاسرة لباس الجوع والخوف ..

* لقد اذاقها الامرين .. حين طلق قبل مرتين ..

* وحتى لا تتكرر المأساة .. لا بد ان تشاركه المرأة في قرار العودة .. والاعداد للعش الجديد ليحملا معا مسئولية المستقبل .. في ضوء التجربة التي ذاقا معا مرارتها ..

فاذا التقت الآراء حول تقرير المصير .. فلا بأس .. بل هو ما يطلبه الاسلام .. وذلك قوله عز وجل .

(فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله).

* فاذا كان قد لاح في حياة الزوج القديم غرام جديد ..

* اذا كان قد استثقل عبء الاولاد .. ومشاكل الاسرة الكبيرة .. فراح يجري به خياله عبر الفردوس المفقود ..

* اذا كان قد توهم ذلك فليعلم ان هذه عبودية للمزاج الشخصي الذي حكمناه من قبل فكان ما كان .

وليست الاسرة بعد اليوم لعبة في يده .. يتخذها حقل تجارب لنزواته الطائشة .. ولا تطلب الآية الكريمة دقة صارمة تؤكد نجاح تجربة العودة .. فقد يكون ذلك فوق الطاقة .. لكنها تكتفي بمجرد غلبة الظن : **(أن ظنا أن يقيما حدود الله)**.

اكتفاء بما مضى من تجارب بينهما تجعل الحكم بالنجاح اقرب الى اليقين ..

فاذا ظنت هي .. وظن هو .. ان في العودة تصحيحاً للاوضاع .. وسيرا بالسفين خفاق الشراع .. بعيدا عن مواطن الزلل فلا بأس ان تبدأ الرحلة المباركة .. ولا بأس ان بقيت في النفوس بعض الرواسب المتخلفة .. وفي ضحكة الولد .. واشراقة البنت .. وانس الاجتماع .. ما ينسى هذه الاوجاع .

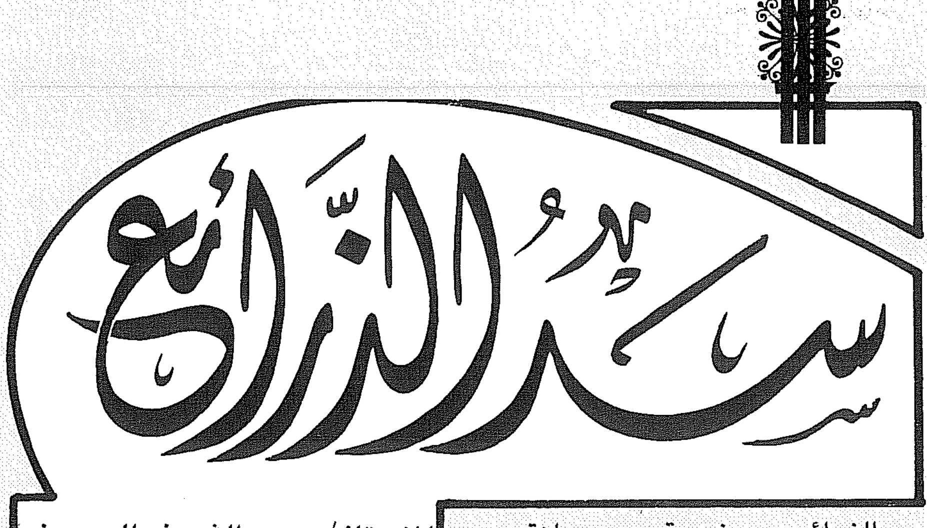
** وليت شعري .. اي تكريم للمرأة فوق هذا مما يعرف الناس من قوانين البشر ؟

ان الاسلام لا يرفض فقط ان تكون الزوجة لعبة في يد الرجل .. بل انه ليقف بها موقف الكرامة حين يتيح لها حينئذ ان تقرر مصيرها بيدها .. ثم اليس من تكريمها ان تعود الى عشها الاول .. فرارا من احاديث الناس .. وقبل ان تكون حياتها حديثا يروى ؟

تلك هي حدود الله تعالى ومعالمه .. تطل على الناس من عل .. ليرفعوا ابصارهم اليها .. وليزدادوا ايمانا بها ..

وانها لواضحة بينة لمن اراد ان يذكر او يخشى .

وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون .



للاستاذ/ محمد الشريف الرحموني

الذرائع جمع ذريعة ، وهي ـ لغة ـ الوسيلة والسبب إلى الشيء، يقال : تذرع فلان بذريعة أي توسل بها ، وفلان ذريعتي إليك : أي سببي ووصلتي الذي أتسبب به إليك .

وأصلها ـ عند العرب الأوائل ـ ما تضبط به الناقة الشاردة ، وتطلق ـ أيضا عندهم ـ على الجمل الذي يسيب مع الوحوش حتى إذا ألفته تذرع به الصياد إليها : فيمشي الى جنبه مستترا به ليتمكن من رميها ، وأنشدوا لذلك قول الشاعر :

وللمنية أسباب تقربها

كما تقرب للوحشية الذرع

كما تطلق على الحلقة التي توضع للرامي ليتعلم الرماية .

ثم نقلت لتدل ـ شرعا ـ على الأسباب والوسائل والطرق التي تفضي إلى الأحكام والمقاصد الشرعية ، وهي تابعة لهذه الأحكام التي تؤدي إليها ومعتبرة بها .

فوسائل الطاعات والقربات مأذون فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها مثاب عليها بحسب ارتباطها بها ، فالوضوء ـ مثلا ـ واجب مثاب عليه لأنه وسيلة الصلاة ، ونصب القضاة والشرط والمحتسبين وغيرهم من العمال واجب لانهم جميعا وسائل الى جلب المصالح العامة والخاصة ، والظمأ والنصب والمخمصة وغيرها مما ينال المجاهدين مثاب عليها كلها لأنها وسيلة الجهاد في سبيل الله تعالى وطريق إلى إعلاء كلمته ، قال ـ جل ذكره ـ :

(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) التوبة / ١٢٠ وكذلك وسائل المحرمات والمعاصي والمخالفات تمنع بمنعها وتكره بكراهتها ، فسب آلهة المشركين ـ رغم ما فيه من غيظ لهم وإهانة لما يعبدون من دون الله ـ حرام لأنه يؤدي إلى سب الله تعالى ، ومصلحة ترك مسبة الله ـ عز وجل ـ أرجح من مصلحة سبنا لأصنامهم .

قال تعالى :

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الانعام /١٠٨

وضرب النسوة بأرجلهن فعل ظاهره الاباحة في حد ذاته ولكنه ممنوع لئلا يكون سببا الى اثارة شهوة الرجال إليهن عندما يسمعون صوت الخلاخل . قال الله تعالى :

(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) النور/٣١

والاختلاء بالأجنبية حرام لأنه وسيلة الزنا ، وسفر المرأة بغير محرم منهي عنه لأنه ذريعة إلى الطمع فيها ، والعلاج بشيء محرم ممنوع لئلا يكون ذريعة إلى تعاطيه ، وهكذا « كلما حرم الله تعالى شيئا وله طرق ووسائل تؤدي إليه فانه يحرمها ويمنع منها تحقيقا لتحريمه وتثبيتا له ، ولو اباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى تأبى ذلك كل الاباء بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك أيضا ، فان أحدهم لو منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيءثم أباح لهم ما يوصل إليه لعد متناقضا ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده ، وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الذرائع المفضية إليه وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه ، فما ظنك بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال . »

ومن هنا يتضح لنا كم كان إمام دار الهجرة : مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ مصيبا لما اعتبر قاعدة سد الذرائع أصلا من أصول مذهبه وتوسع في العمل به توسعا يعضده ـ كما رأينا ـ النقل والعقل ، ولئن اشتهر اختصاص مالك بهذا الأصل فلا يعني ذلك أن غيره لم يعمل به بل إنه ـ عند التحقيق ـ لم يخل من العمل بسد الذرائع مذهب من مذاهب الاسلام . مادام الشرع قد اعتبرها ورتب عليها أحكاما ، ويكفي أن نشير إلى أن ابن القيم الجوزيه الحنبلي المذهب قد ذكر أمثلة كثيرة ـ بالاضافة الى ما ذكره القرافي المالكي ـ منع الشارع فيها الذرائع التي تؤدي إلى الحرام أوصلها ـ في كتابه أعلام الموقعين ـ إلى تسعة وتسعين وجها ، وعقب عليها بقوله : إن باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف .

والتحقيق في العمل بهذه القاعدة ما ذكره الامام القرافي من أن الذرائع ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أجمع الناس على منعه وسده ، ومنه المنع من سب الأصنام عند من يعلم أنه يسب الله تعالى عند سبها ، والمنع من حفر الآبار في طريق المسلمين إذا علم أو ظن وقوعهم فيها ، ومنع إلقاء السم في أطعمتهم إذا علم أو ظن أنهم يأكلونها .

القسم الثاني : أجمع العلماء على أنه وسيلة لا تحسم وذريعة لا تسد مثل : زراعة العنب ، والتجاور في البيوت

رغم خشية الخمر والزنا .

القسم الثالث : هو موضوع الخلاف بين الأئمة وهو الذي توسع فيه مالك أكثر من غيره حتى حكي عنه اختصاصه به ، وسنقتصر على التمثيل له بمسألتين فقط حيث لا يتسع المقام لجميعها :

المسألة الأولى : بيوع الآجال وهي وحدها تصل إلى ألف مسألة ، منعها مالك بخمسة شروط : **الأول** : أن تكون عقدة البيع الأولى لأجل الثانية **والثاني** : ان يكون المشتري الثاني هو البائع الأول . **والثالث** : أن يكون البائع الثاني هو المشتري الاول أو وكيله ، **الرابع** : أن يكون المشتري ثانيا هو المبيع أولا . **الخامس** : أن يكون الثمن في الحالتين من صفة واحدة . وصورتها : أن يبيع تاجر لشخص سلعة بعشرة دنانير ـ مثلا ـ الى أجل معلوم ثم يشتريها منه بخمسة دنانير نقدا . فهذا البيع ممنوع ـ كما قلنا ـ عند مالك عملا بقاعدة سد الذرائع لأنه يؤدي الى الربا الممنوع فالنتيجة ـ بعد عقدتي البيع ـ قد آلت الى ان التاجر وهو الطرف الأول قد أعطى خمسة دنانير للطرف الثاني ليرجع له بعد مدة عشرة وهو عين الربا المحرم .

وأقوى دليل على ما ذهب اليه مالك ما ورد في الموطأ من أن أم ولد زيد بن أرقم قالت لعائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ : يا أم المؤمنين ، إني بعت من زيد بن أرقم عبدا بثمانمائة درهم إلى العطاء واشتريته بستمائة نقدا ، فقالت عائشة : بئس ما شريت وبئس ما اشتريت ، أخبري زيدا أنه أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب ... فهذا التغليظ العظيم لا تقوله ـ رضي الله عنها ـ الا عن توقيف ، فتكون هذه الذرائع وأمثالها واجبة السد .

وقد وافق مالكا الامامان : ابو حنيفة واحمد بن حنبل ـ رضي الله عنهما ـ إلا أنهما خالفاه في بعض الشروط المذكورة .

أما الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فقد خالف في ذلك معللا رأيه بأن كل عقدة من عقدتي بيوع الآجال صحيحة متوفرة الأركان ومادام الامر كذلك فهي جائزة لقوله تعالى :

(وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة/ ٢٧٥

ولانظر ـ عنده ـ الى ما يؤول اليه العقد من فساد ، اذ لا احد من الأئمة يمنع جواز بيع السيف لقاطع الطريق وبيع العنب للخمار مع ان الفساد في قطع الطريق وشرب الخمر أعظم من سلف جر نفعا ، لما فيهما من ذهاب للنفوس والأموال .

ورد المالكية تمسكه بالدليل الأول بأن الآية عامة والأثر الوارد عن زيد خاص ، وهذا مقدم على العام ، كما ردوا احتجاجه بالدليل الثاني بأن نية المتعاقدين في بيع السيف للقاطع والعنب للخمار ليست تحايلا لاظهار ما

لا يجوز في صورة الجواز ، بخلاف بيوع الآجال فان المتعاقدين تحايلا للحصول على الربا الممنوع باظهاره في صورة جائزة ، وقديما مسخ الله تعالى أصحاب السبت قردة لأنهم تحايلوا على صيد الأسماك في يوم ممنوع فيه ذلك ، ولكنه لم يمسخ من بني إسرائيل من ارتكب معاصي أخطر من الصيد في يوم بعينه لا لشيء الا ان الفريق الاول قد استحقوا ذلك التشديد لاستحلالهم الحرام بالحيلة ، وهناك فرق بين من يذنب وهو معترف بذنبه يرجو التوبة يوما ما ، وبين من يجعل الحرام حلالا . وبناء على هذا فان من عقد عقدة من بيوع الآجال دون نية التحايل لاكل الربا فهو غير آثم قطعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات » ، وقد بسط القول في هذا المعنى ابو الوليد بن رشد في كتابه المقدمات عند كلامه على الاثر الوارد في زيد رضي الله عنه ، فقال ما حاصله : فان قيل : إن زيدا من الصحابة الاخيار ، فكيف أجاز لنفسه فعل هذا ؟ ثم اجاب عن هذا التساؤل بقوله : فعل ذلك إما لأنه لا يعتقد منع الربابين العبد وسيده ، أو انه خالي النية من التحايل في العقد للتحصيل على الربا ، ولا يحل لمسلم أن يعتقد أن زيدا قد قصد ذلك .

المسألة الثانية : من القسم المختلف فيه : قضاء القاضي بعلمه : منعه مالك واحمد مطلقا أي سواء حصل له العلم بالقضية قبل ولايته القضاء أو بعد ولايته ، عملا بقاعدة سد الذرائع لانه وسيلة للقضاء بالباطل من قضاة السوء ، والواجب على القاضي – في هذه الحالة – أن يحيل القضية الى قاض آخر وليكن هو شاهدا فيها . واوجب الظاهرية على القاضي أن يقضي بعلمه مطلقا لأن غايته تحري الصدق وقد حصل له يقينا ، وأجازه الشافعي والكوفي وأبو ثور لادلة عديدة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قضي بعلمه في النفقة لهند زوجة أبي سفيان ، وأن عمر بن الخطاب قضى بعلمه على ابي سفيان لرجل من بني مخزوم ، ومنها ان الله تعالى أمرنا أن نحكم بالعدل والقاضي قد علم العدل ، فما يمنعه من العمل به ؟!

أما الامام الأعظم أبو حنيفة – رضي الله عنه – فقد منع قضاء القاضي بعلمه في الحدود وفصل في الامور المالية : فله أن يستند الى ما علمه فيها بعد ولايته القضاء أما ما علمه قبل ولايته فلا يحكم فيه بعلمه .

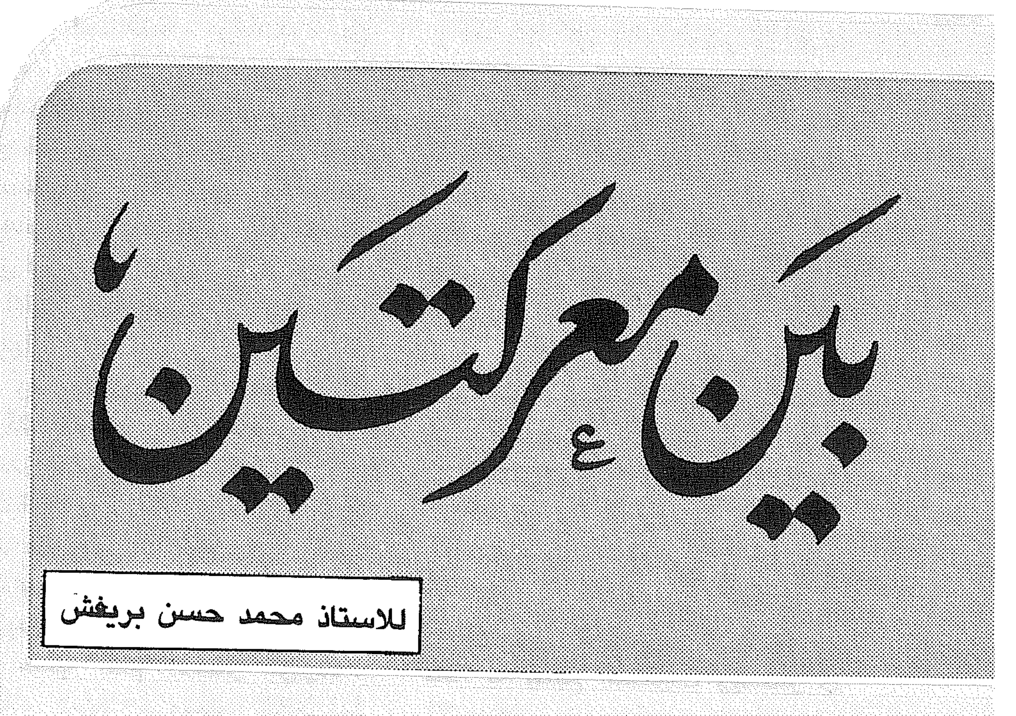
وأخيرا ان هذه الامثلة يمكن أن نقيس عليها ما ظهر ويظهر من طرق الشر في عالمنا لحسمها وسدها إذ أن أحسن ما يقاوم به الفساد سد ما يفضي اليه كما أن أحسن ما يقاوم به المرض تفادي الوقوع فيه ، وهذا المبدأ يناقض تجويز الحيل مناقضة تامة ، فهناك فرق – لا يخفى – بين سد الطريق الى المفاسد بكل ممكن خشية الوقوع فيها وبين فتح الطريق إليها .



الانسان المسلم اليوم يخوض معركتين في وقت واحد ، وكلتاهما تحتاج الى الايمان والوعي والعزيمة القوية .
المعركة الاولى معركة داخلية ـ ذاتية .
والمعركة الثانية معركة ـ خارجية ـ اجتماعية .

ولا يكفي المسلم ان يستعد لاحداهما دون الاخرى ، او يساهم بواحدة ويهمل الثانية ، لان مصير المسلم ـ ومصير مجتمعه كمجتمع اسلامي يتوقف على هاتين المعركتين .
والمسلم ـ وهو يبتغي مرضاة الله عز وجل ـ مكلف ان يستعد لكلتا المعركتين ويخوضهما بعزيمة وقوة وايمان .
اما المعركة الاولى ـ الذاتية ـ فقد ابتدأت من يوم الخلق الاول لادم ـ عليه السلام ـ حين ظهرت مكيدة الشيطان له ـ ابليس ـ واستمرت هذه المعركة ـ وستستمر الى يوم الدين ، لان الشيطان سيبقى في طريق الانسان ـ وهو عدوه الاول ، يغريه ، ويضله ويضع امامه العقبات والمغريات باشكال والوان ومظاهر تتكيف مع البيئة والعصر والظروف .

وحين يغفل الانسان عن واجبه في هذا الميدان ـ على اية صورة كانت ـ يخسر المعركة وتتحطم ذاتيته المسلمة امام انحرافات الباطل ودعاوى الشيطان .
ومواجهة المسلم للشيطان تبدو على صعيد الفكر ، والنفس والمشاعر والسلوك والاعمال .



بين معركتين

للاستاذ محمد حسن بريغش

فعلى صعيد الفكر على المسلم ان يدفع الشيطان واعوانه حينما يختبئون وراء الافكار المزيفة ـ والدعوات الفاسدة التي يزخرفونها بعبارات منمقة ، او شعارات مخادعة تغري سذج الفكر ، او العقول الحائرة ، وتضع الناس في دوامة تائهة ليسير الانسان وراء تلك الزعامة ـ او في صفوف هذه البدعة او مع ذلك الشعار .

ولا يتمكن المسلم من دفع الشيطان واعوانه ، ويبني ذاته الاسلامية المتميزة ، الا اذا كون لنفسه الفكر الاسلامي الصحيح ، والعقيدة الواضحة ، والتصور الالهي معتمدا على كتاب الله وسنة رسوله ، ووقائع التاريخ الاسلامي الموثوق وتطبيق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

ان من دواعي الانحراف ان يلجأ المسلم الى عدوه ليتعلم منه عقيدته ويكون بواسطته فكره مع توفر الوسيلة لتكوين فكره وفهم عقيدته معتمدا على ما لديه من امكانيات وما يملك من مصادر .

ولعل شيطان الفكر استطاع ان يغري الناس فيجعلهم يلتمسون كل معرفة من الغرب او الشرق ، ويتعرفون على دينهم من كتابات المتظاهرين بالعلم من المبشرين والمستشرقين والمستغربين ، ثم سار بهم شوطا في البعد عن حقيقة عقيدتهم . وادخل الى عقولهم كثيرا من البدع والانحرافات والتشويهات ، وخدروه بمظاهر العلم ودعوى التقدم حتى فقد ذاتيته

وسلبوه اصالته . وابعدوه عن جوهره .
والمسلم هنا يخوض المعركة في صياغة العقيدة والفكر من اصولها الحقيقية غير مأخوذ بالبريق .. ولا خائف من الصعاب .. وهو في الوقت – ذاته – لا ينغلق على نفسه امام كل صحيح وجاد من الفكر بعد صياغة عقيدته كما وضعها الله رب الناس جميعا .
وهنا يبدو دور الفكر الاسلامي – ومعركته الضارية التي تتطلب الوعي والتبصر ، مع التسلح بأفكار القرآن وعقيدة الاسلام التي تحرك نوازع الخير وتوقظها في ضميره – وتفتح نوافذ فطرته على الحياة يستوعب منها ما يزيد عقيدته جلاء وثباتا ، لتكون درعا صلبا امام الافكار الواردة ، والعقائد الباطلة ، وسهما قاتلا لها ايضا .
واما على صعيد النفس والمشاعر فهي معركة ضارية ، استطاع الشيطان ان ينفذ منها إلى كيان المسلم كله ، فيفسده فكرا وعقيدة – وسلوكا وعملا .
فالنفس تستهويها المغريات وتلفتها المستحدثات والجديد من الامور ولهذا يجد الشيطان مدخلا الى كيان المسلم عن طريق النفس – مرة يدخلها تحت ستار الخوف – ومرة تحت ستار الطمع ، ومرة تحت ستار الشهوة ومرة تحت ستار الحب ، ومرة تحت ستار الشهرة و ... و ...
لهذا نرى ابليس يحبذ وسائل الاغراء المتنوعة في حربه للمسلم فالمرأة والجنس ، والمال ، والسلطان ، والمغريات كل ذلك تحشر في هذه المعركة عبر الشارع – والمجلة – والجريدة والاذاعة ، والسياسة والمرائي ، والوسائل المعروفة لافساد المسلم واثارت غريزته وشهواته ، ودفعه وراء الشهرة او المال ، او تخويفه من الاستقامة بالبطش تارة ، وباظهار الفضيلة والخلق بمظهر الجمود والتأخر ، وليست غريبة تلك الوسائل والمظاهر التي تستخدم في هذه المعركة .
ان المسلم قد يبدأ – باسم التسامح او ملاءمة العصر – اولى خطواته فلا يقف موقف المؤمن الواعي في صياغة مشاعره – او ضبط احاسيسه أو رعاية اسرته ، اوصيانة من يرعاهم ، فاذا به يتابع الخطوات ويستمر في الانحراف حتى يفقد هويته ويتحطم على اقدام الذل والهوان والخداع والعهر .
وقد يظهر الشيطان بمظاهر خادعة تطلى بطلاء الخير ، ولكنها تمتلىء بالباطل والفساد – وتنشأ عن ذلك الغفلة والغرور والرياء – والطبائع الخبيثة التي تحفر في ذات الانسان حتى تهدم بنيان النفس ، وتضلل المشاعر ، وتفسد الاحاسيس .
وعلى المسلم مواجهة الشيطان في هذه المعركة الشرسة على صعيد النفس والمشاعر ولا يستطيع التغلب على عدوه ما لم يعمل باستمرار على تقوية ايمانه بالله ومداومة الاحساس بالآخرة والحساب ، وربط هذا بالمشاعر الكامنة في نفس الانسان ، وايقاظ مشاعر الخير والحب

والتعاون ، والخوف من الله في النفس ، واخذها بالتدريب ، والتربية والطاعة – حتى يصبح يكون حب الله ورسوله اكبر من اي حب فيها – وحتى يغدو هواها منسجما مع الشريعة ومتطابقا مع مقتضيات العقيدة . ان رعاية النفس ليس بالامر السهل لانها كثيرة التعاريج والمنحنيات عميقة الكهوف والاغوار .. وما لم يقم على رعايتها ايمان قوي ووعي بصير وارادة صلبة ، فانها تجرصاحبها الى الجحيم ، وتتحالف مع الشيطان .

اما صعيد السلوك والعمل فهو نتيجة طبيعية من نتائج المعركة مع الشيطان على صعيد الفكر ، والنفس ، والسلوك هو المظهر الذي تتجسد فيه الافكار والمشاعر ، فصاحب الفكر المتزن والافكار الخيرة تبدو عليه من خلال سلوكه السوي واعماله الصالحة – والعكس هو الصحيح .

والحقيقة ان عمل الانسان هو الذي يكشف عن جوهره ، واخلاصه ولكم انبأ سلوك الفرد عن غشه وكذبه ، او ضعفه وشكوكه ، او نفاقه وسقوطه في احابيل الشيطان . والله سبحانه وتعالى يتبع الايمان بالعمل لان الثاني مظهر للاول : « **والعصر، ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » .

فعلى المسلم ان يدفع عنه الشيطان واعوانه في عمله وتصرفاته حينما تتحول معتقداته وافكاره الى حركة وعمل في الحياة والى صورة اجتماعية وهذا يدعو المسلم ان يضع نفسه في تأهب دائم ويقظة مستمرة حتى لا يحدث التناقض بين السلوك والفكر ، أو بين العمل والمشاعر بل ينبغى ان تكون اعماله وتصرفاته مثالا امينا وواقعا حيا لمعتقداته وافكاره وروحه وهنا تبدو العقيدة المسلمة في صورتها الكاملة الواعية ..

في هذا النطاق الاول – يخوض المسلم غمار المعركة متسلحا بالايمان والعلم والوعي ، وحين نقول الايمان لا نعني به الايمان الفطري الساذج ، ايمان التبعية والوراثة والتقليد والتواكل – وليس هذا ايمانا كاملا ، وانما نعني به ايمان القرآن الحي المتحرك ، ايمان العلم والحق واليقين الايمان الذي يقلب حياة المرء الى صياغة جديدة قرآنية ، فتعطي ثمار الخير في كل مجال ، الايمان الراسخ الذي يبرز للعمل الصحيح المستقيم ويشعل الانسان بالنشاط والوعي والعمل في سبيل الله .

وهنا يبدو تأثير الايمان الذي يغمر القلب فيضيء ويشع ويغمر العقل فيتحرك ويبدع – ويغمر النفس فتصفو وتستقيم ، ويغمر الانسان كله فيتحول الى رجل صالح بناء – ينطلق في الحياة ليحقق رسالته الكاملة الى العالم كله ، رسالة الخلافة في الارض ، واقامة شرع الله على وجه البسيطة .

واما العلم الذي نعني به سلاحا للفرد المسلم فلا يمكن ان يؤدي رسالته ما دامت تلازمه الحرفية والمظاهر ، او الخرافة والتقليد ، او الغرور والتبجح .

ولن تنفع الدرجات العالية ـ او الشهادات المكتوبة في تأدية رسالة العلم والثقافة ، لا سيما وقد غدت للاسف ـ وسيلة دعائية للكسب والشهرة واصطياد الانصار .
بل لا بد من بعث الثقافة الحقة ، والوصول الى روحها الحقيقية ـ والسير في دربها السوي لكي تطبع الوسط الاجتماعي كله بطابع العقيدة الصحيحة والاخلاق الفاضلة الكريمة ، والروح المؤمنة .
هذا الطابع هو الذي يعلو فيه الحق على الباطل ، والخيرعلى الشر والعمل على الثرثرة والخلق على النزوة .
اما الوعي ـ فهو حارس للمسلم من الخديعة ، حيث يأمن بواسطته ان يدخل الشيطان الى حصون الفكر باسم العلم ، او يخرب العقيدة باسم التجربة او الواقعية او التقدمية .
وكذلك يامن ان يتحالف الشيطان مع النفس بواسطة المغريات من الجنس والمال والشهرة او اية وسيلة اخرى .
ان الوعي يقظة دائمة ، وحس مرهف ، وبصيرة متفتحة ، والايمان الراسخ يفتح للأنسان آفاقا من الوعي ويوقظ في اعماقه حواس لا يملكها غيره .
والتجربة ايضا توفر الوعي وتزيد من رهافته وقدرته .

اذا كان هذا دور الانسان في معركته الذاتية امام فكره ونفسه وسلوكه وغوايات الشيطان واضاليله في اصعدة الفكر والنفس والسلوك ، فما هو دوره في المعركة الثانية ؟

ان نجاح الانسان في معركته الاولى ـ الذاتية ـ شرط ضروري لدخوله المعركة الثانية ، لانه كيف يصح ان يضم الصف الاسلامي مهزوما امام الشيطان ليكون عونا له في المجتمع ؟ لان هذه المعركة تستنفد كل طاقات الفرد : الزمن والفكر والمادة والجسد معا .
والمبدأ الذي يضبط هذه المعركة ويرسم خطاها هو مبدأ الهي صنع التاريخ على مختلف وجوهه وحضاراته وهو المبدأ القائل : « غير نفسك تغير التاريخ » والذي تضمنته الآية الكريمة : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » الرعد / ١١
وعلى هذا لا بد للمسلم من كسب المعركة الاولى ليخوض الثانية او على الاقل لا بد له من مبررات الانتصار في معركته الاولى ما يسمح له ويدفعه لخوض المعركة الثانية معركة المجتمع ، يدعو ويبني ويصلح .
وحين يغير الانسان نفسه من الغواية الى طريق الخير ، ويخلق فيها الاندفاع الرائع نحو الحق ، ويلزمها باتباع طريق العقيدة حينها ، يستطيع دخول المعركة الثانية ولو لم تنته الاولى الى النصر الحاسم . والمعركة في المجتمع لا بد ان تتناول جميع الاشياء المكونة لطبيعة الفرد ـ بصفته كائنا اجتماعيا ـ والاشياء التي تؤدي لنشوء المجتمعات والحضارات .
وهذا يفرض على المسلم دراسة نفسية الكائن الاجتماعي ومعرفة طبيعة ثقافته وعادات مجتمعه ؛ وتقاليده ،

والمؤثرات التي تصنع فكره وسلوكه ، والقوى المؤثرة فيه ـ مع ملاحظة العوامل السلبية التي تعمل لافساده وانحطاطه وبعدها يستطيع تحديد ابعاد المعركة الاجتماعية التي يخوضها ويتسنى له تحديد الوسائل التي ينبغي استخدامها والاساليب الضرورية لسلوكها .

ان هذه المعركة تكتسب جلالا خاصا ، لانها تقيم الحضارات وتهدمها وتحمي كرامة الانسان او تهدرها . وتضمن سلامة الناس اوتفرط بها ، ولذلك كان هذا جهادا مقدسا لا يقوم به الا المؤمنون ولا يصمد فيه الا المخلصون المتقون .

وهناك ركام ثقيل خلفته العصور السابقة : ركام فكري متهلهل معتمد على الخرافة والسذاجة طبع المجتمع بطابعه ، وركام عقائدي مشوه ، بلبل عقائد الناس وضللهم عن الحق .. وركام تقليدي ممتزج بمختلف الاشياء الفاسدة المستوردة من الاجنبي الدخيل وكل هذا لا بد من مواجهته في هذه المعركة .

ثم لا بد من ملاحظة التيار الجديد الوافد علينا من هنا وهناك ، والذي يعتمد على الشهوات والنزوات والمنفعة العاجلة والرفاهية الزائدة والتبعية العمياء لكل جديد والسير الضال وراء الغرب او الشرق وكذلك لا بد من كشف الخداع الماكر في التضليل والافساد والانحراف باسم العلم والواقعية والتحليل والدراسة .

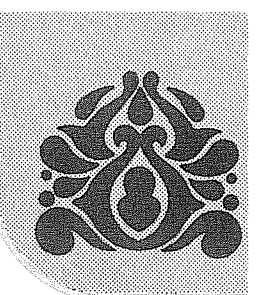
هذه الاشياء بما تحمل من متناقضات واخطاء وبماتتسم به من نظرة سطحية ساذجة الى مظاهر المدنية الحديثة ، تقتضي مواجهة حكيمة واعية للانتصار على اسبابها وظروفها ونتائجها .

ومواجهة المجتمع يقتضي التمسك بصفات معينة لتطبع الفرد المسلم بطابع الحق : كالصبر والخلق ، والثقة بالله ، والجرأة بالحق ، والثبات على المبدأ والاخلاص في العمل و ... وحين يتصف المسلم بهذه الصفات يستطيع خوض المعركتين ـ ويصبح تأثيره فيهما قويا ومجديا حين يعطي من روحه وقلبه ، ويبذل باخلاص ليجني الخير لنفسه ولمجتمعه ، وليصون كرامة الانسان على هدي عقيدته ودينه .

ان مواجهة المجتمع ، وخوض غمار المعركة مع الشيطان على هذا الصعيد لهو الجهاد الضخم الذي ينوء بحمله الضعفاء والادعياء ، ولا يثبت في مجاله الا المؤمنون الصادقون .

انه يحتاج الى توفر العناصر الاساسية للشخصية المسلمة الواعية بعقيدتها واخلاقها وسلوكها والتزامها بهذه العقيدة ، ويحتاج الى الشخصية الرائدة التي سرت في كيانها روح القرآن ا لصحيحة فغدت قرآنا يتحرك ويعمل ويدعو على بصيرة فعليك ايها الاخ المسلم تقع المسؤولية اينما كنت وحيثما وجدت وبيدك سترفع مشعل الهداية من جديد لتنير طريق البشرية الحائرة وتخلص امتك من براثن التخلف والتخبط والضلال .

انك القدر الجديد، قدر رحمة وخير وانتصار قدر شريعة الله العصماء .

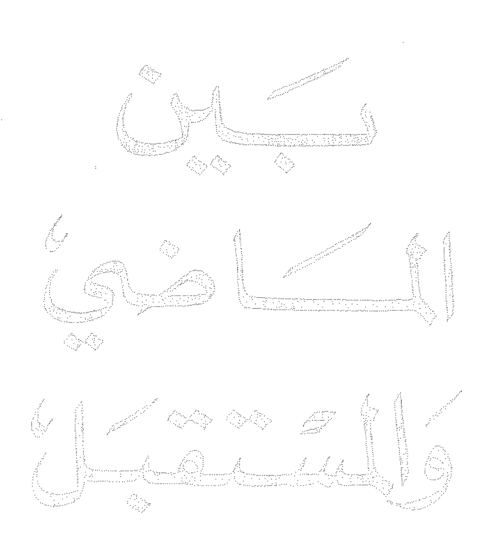


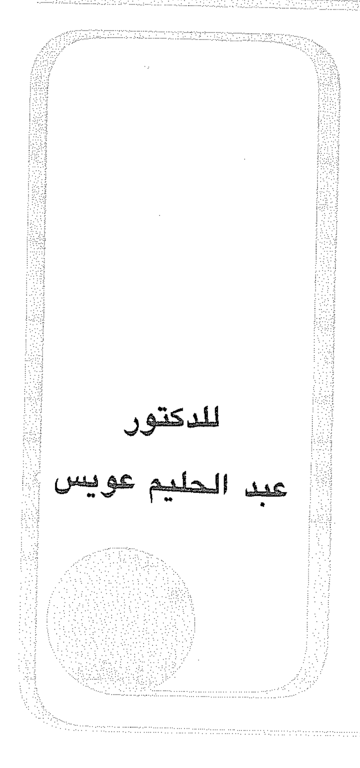
دوافع الاستشراق وأهدافه

انه لمن السذاجة القول ان اهداف الاستشراق خدمة العلم الشرقي الا اذا جاز لنا القول ان اهداف الاستعمار هي تحقيق العمار - وليس الدمار - للشعوب المستعمرة !!- ففي كلا القولين كذب صراح .

بل ان اي مستشرق - مهما حاول ان يكون عالما - لا يستطيع ان يتناول احد موضوعاته بدون ان يضع في اعتباره الحدود الفكرية والعملية المفروضة عليه . فليس في الاستشراق موضوعات حرة من حيث الفكر او العمل - كما ان المستشرق مسئول عن تدريب الشبان الجدد بأسلوب يبعث في قلوبهم الاحساس بالامتياز والاولوية المطلقة لكل ما هو غربي ، وبالتالي الاحساس بالازدراء لكل ما هو شرقي .

ومع بداية القرن الخامس عشر - كما هو معروف - اخذت التجارة الاوربية شكل سيطرة وتحد للعالم الاسلامي ، وبعيد قليل من هذا التاريخ لم يعد الاستشراق - الذي صاحب الظاهرة الاستعمارية - قادرا على الاحتفاظ بغموض دوره . فبدأ يظهر تورطه مع العمل الاستعماري ، في اكثر من مجال . فهو الذي مهد للسيطرة الاستعمارية ، ونظم المعلومات التي عاد بها المكتشفون ، ووفر الخطوط الاساسية لارشاد الغزاة والفاتحين ، وقدم للشعوب





المقهورة « نظريات » تبرير خضوعهم لاوربا ، وقبولهم « التغريب » واقناعهم بعدم قدرتهم على استيعاب العلوم ، واهمية المحاكاة والتقليد لهم ، ورميهم ـ اذا لم يقبلوا كل وصاياه تلك ـ بالتعصب للاسلام . ثم نشر الافكار القومية والوطنية والعدائية للاسلام بينهم ، وحتى الافكار التقدمية !!

ويرى احد الدارسين المعاصرين ان اهداف الاستشراق تتلخص في الآتي :

١ ـ تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الاسلامية ، عن طريقين :

أ ـ اضعاف القيم الاسلامية وتأثيرها .

ب ـ تمجيد القيم الغربية المسيحية .

٢ ـ توهين الروح الاسلامية في بلاد المسلمين .

لكن الدافع الديني الصليبي لا يحتاج الى جهد في اثباته في عمل المستشرقين ..

فان اكثر هؤلاء المستشرقين من الرهبان والعاملين في حقل التبشير . وقد ظن بعض هؤلاء ان بامكانهم تحويل المسلمين الى النصرانية ، ظانين ان البناء الثقافي للاسلام بناء ضعيف ، وهم وان فشلوا فشلا ذريعا في هذا ، بل ان بعض المستشرقين قد اسلم ، وعلى رأسهم « رينيه جينون ، وجورج او جست فالين »، فضلا عن القسيس المصري الكبير « ابراهيم

خليل احمد ».. الذي ذهب يبحث في اطروحة للدكتوراة عن تناقضات القرآن ، فغلبه القرآن ، واعلن اسلامه قائلا : ان القرآن غلبني !!

اقول : ان المستشرقين ، وان فشلوا في تحقيق هذا الغرض ، فانهم قد نجحوا في تعكير صفاء الفكر الاسلامي الحديث بما نشروه من افتراءات فاضحة ، وما شغلوا المسلمين به من شبهات لا تصمد امام البحث العلمي النزيه ، مستغلين ظروف تخلف المسلمين الفكري وانبهار بعضهم ببعض منجزات الحضارة الاوربية !!

***

لكن هناك في الحقيقة ـ بعد كل هذه الغايات ـ غاية اخرى كبيرة لم يلتفت كثير من المسلمين اليها .

فان البناء الفكري الكنسي ، كما هو معلوم ، بناء غير عقلي ، يعتمد على مجرد التسليم والايمان ، ولا يستطيع ان يثبت حتى اوليات العقيدة النصرانية بالمنطق العقلي .

وحسبنا ان نعلم ان دانتي في « الكوميديا الاهلية » قد وضع محمدا عليه الصلاة والسلام في ادنى مقاعد الجحيم ، وان المستشرق الفرنسي « دير بيلو » وصف الرسول بانه « دجال »، بينما وصفه « لامانس » بأنه « لص نياق » بينما جعلته احدى اللوحات الاوربية احد ثلاثة اساءوا الى البشرية اساءات بالغة وثانيهما ، ابن رشد ، وثالثهما الشيطان !!

كان هذا كله بتأثير التضليل الكنسي الذي ينبعث من الرعب والخوف من الاسلام ، ومن يوم يخضع فيه الاسلام والنصرانية للمقياس العلمي وللنقد التاريخي على سواء .

ولعله لهذا السبب كانت الكنيسة تحرم كتب ابن رشد من جانب ، وتثني على توماس الأكويني ـ وهو ناقل عن ابن رشد مع تحوير لمصلحة المسيحية ـ من جانب آخر .

بل ان الكنيسة قد حرمت تراث ابن حزم الاندلسي ، وتواطأت عليه تماما ، باعتباره احد الرواد الذين قارنوا بين الاديان بمنهج عقلي منطقي في موسوعته المعروفة « الفصل في الملل والاهواء والنحل »".

ان ابن حزم يناقش الاناجيل والعقائد المسيحية بطريقة علمية وعقلية بحتة لا مجال فيها للتجني ولا الحماس .

فمن ناحية الكتب المقدسة يقول ابن حزم « ان النصاري لا يدعون ان الاناجيل منزلة من عند الله على المسيح ، ولا ان المسيح اتاهم بها ، بل كلهم لا يختلفون في انها اربعة تواريخ الفها اربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة .. أولها : تاريخ ألفه « متى اللاواني » بالعبرانية بعد تسع سنين من رفع المسيح ، في نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط . وثانيها : ألفه « مارقش الهاروني » بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح عليه السلام ، وكتبه باليونانية في أنطاكية ، وثالثها : تاريخ ألفه « لوقا الطبيب » تلميذ شمعون

باطرة ؛ كتبه باليونانية بعد تأليف مرقص المذكور في حجم إنجيل متى ، ورابعها : تاريخ ألفه باليونانية « يوحنا ابن سيذاي » بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة في أربع وعشرين ورقة ثم ليس للنصارى كتاب يعظمونه سوى « الأفركسيس » الذي ألفه لوقا ، وكتاب « الوحي والاعلان » ليوحنا ، و« الرسائل القانونية » ورسالتين لباطرة شمعون ورسالة ليعقوب بن يوسف النجار ، وأخرى لأخيه يهوذا ، ورسائل بولس تلميذ شمعون .

وكل كتاب لهم بعد ذلك فهو من تأليف المتأخرين من أساقفتهم وبطارقتهم ـ وبديهي أن ما ألفه فرد ـ ونسبه الى الله ـ لا يمكن أن يكون في ثقة ما صدر عن الله مباشرة باللفظ والمعنى ، بدليل ذلك التفاوت في الأساليب والمضامين بين هذه الأناجيل ، حتى في العقيدة ذاتها .

ومن ناحية عقيدة النصارى حول المسيح يناقشها ابن حزم مناقشة طريفة فيقول :

« وجملة أمرهم في المسيح عليه السلام أنه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف ، وابن داود ، وابن الانسان ، ومرة هو اله يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو « في الله » والله فيه ، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ولا تنفذ ارادته ، ومرة هو نبي وغلام الله ، ومرة أسلمه الله الى أعدائه ، ومرة قد انعزل الله له عن الملك ـ وتولاه هو ، وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض ، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعرق من الخوف ، ويفضل فيركب حماره ، ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصعة ويمسكه الشرط ، ويصلب بين ساريتين ، ومات ودفن ثم قام بعد الموت فلم يكن له من هم بعد أن قام الى طلب ما يأكل ثم انطلق الى شغله .

* * *

فكيف كانت الكنيسة ستسمح لهذا الفكر القوي بأن يعبر الى النصارى الخارجين من ظلام العصور الوسطى ، دون أن تضع أمامه أكواما من الأكاذيب تحول بينه وبين أن يناقش مناقشة عقلية سليمة !! وما تخوفت منه الكنيسة ، ووقفت ضده بالأكاذيب الاستشراقية الهائلة ـ قد وقع مع ذلك ، بحيث أصبح موقف الكنيسة من الاسلام موقفا مفضوحا ، فحاولت تغطية موقفها بما أسمته « الحوار المسيحي الاسلامي » متظاهرة أنها تريد أن تفهم الاسلام لتعدل موقفها منه ، بينما هي في الحقيقة خبيرة كل الخبرة بحقائق الاسلام ، وتشويهها للاسلام تشويه متعمد ، يخضع لخطة الوقاية من الاسلام ، ذلك البناء العقلي والفكري والروحي المتكامل المنسجم .

أجل .. ان ما تخوفت منه الكنيسة ، وما رصدت له جيوش الاستشراق ـ قد وقع ، فظهرت مع

ذلك أقوال « برنارد شو » المعروفة ، التي يبدو فيها وكأنه مندهش ، ويقول : « ان كان هذا هو الاسلام فان أوربا ستصبح مسلمة بالضرورة » و« ان محمدا يستطيع أن يحل مشاكل العالم وهو يحتسي كوبا من القهوة » - كما ظهر - كذلك - « مايكل هارت » الذي كان كتابه من أروج الكتب في أوربا سنة ١٩٧٨ ، وهو الكتاب الموسوم باسم « العظماء في التاريخ مائة أولهم محمد صلى الله عليه وسلم » ، بينما كان ترتيب المسيح - عليه السلام - الثالث ، وترتيب موسى الخامس عشر .

فهكذا ، وعلى رغم الكنيسة ، وعلى رغم « دانتي » أصبح محمد الذي كان في أعماق الجحيم ، أول العظماء في التاريخ كله ، باعتراف المسيحي « مايكل هارت » ، وقد اختفت من كتابات المستشرقين المتأخرين النعوت الحادة للاسلام ولمحمد ، ليس خضوعا للمنهج العلمي ، بل لأن هذه النعوت من شأنها أن تسقط الكاتب وأن تكشف هويته .

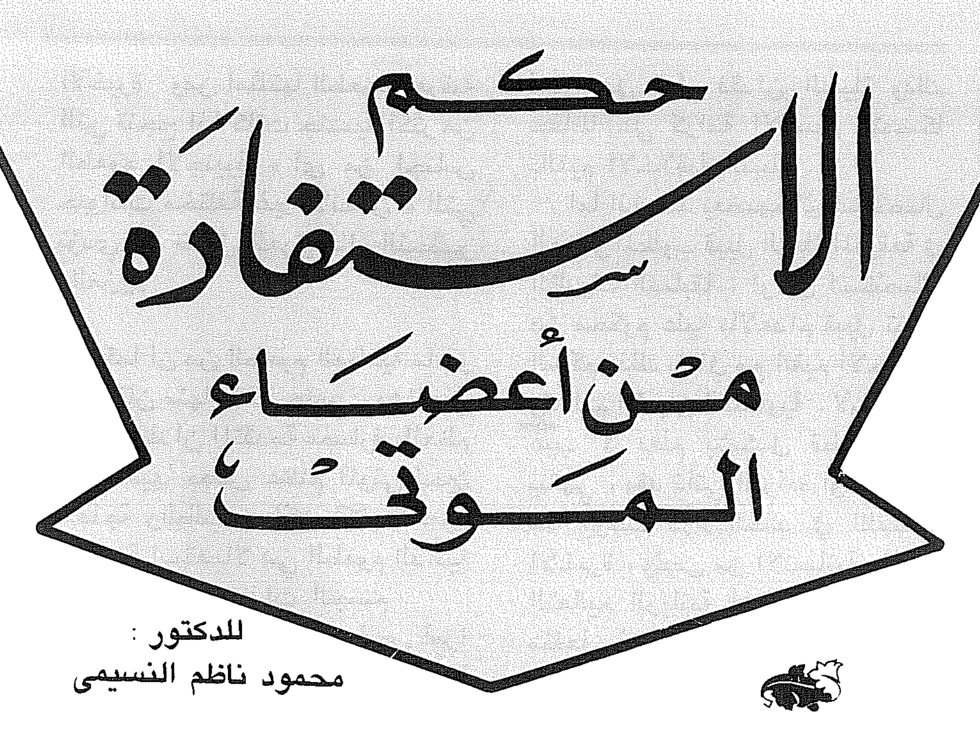
وما حدث لمحمد عليه الصلاة والسلام حدث للقرآن الكريم ، فظهر موريس بوكاي يثبت أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد ، الذي يصمد نصه أمام النقد التاريخي ، وأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يصطدم بالحقائق العلمية .

ومع تقدم العلم والمعرفة في الميدان الانساني ، وازالة حمى المشاعر الصليبية التي تؤججها الكنيسة نحو الاسلام ، سوف يتداعى جدار الأكاذيب والتشويهات الذي بنته الكنيسة ، وسوف تعلن - في هذا الوقت - نهاية الاستشراق وسوف يأتي هواة الدراسات الشرقية الاسلامية ، ليأخذوا الاسلام من مصادره الأساسية ، ويتجنبوا الاعتماد على بعضهم البعض ، وكأن ما نفقه السابقون من المستشرقين أصبح حقيقة يجب أن يأخذه اللاحقون من المستشرقين فيتجاهل الجميع المصادر الأولية ، لأنهم لا يريدون معرفة الاسلام كما هو ، بل كما تريده الكنيسة . أو كما يقول الدكتور « ادوارد سعيد » في كتابه عن الاستشراق :

« ان الميل الثابت الى تجاهل ما معنى القرآن أو ماذا يظن المسلمون أنه يعني ؟ أو كيف يفكر المسلمون ؟ أو يتصرفون في مواقف معينة يدل على أن تعاليم القرآن والاسلام قد عرضت بصورة ترضي المسيحيين » .

أي أن هناك تخطيطا استشراقيا مستمرا يهدف الى صياغة « اسلام جديد » « اسلام مسيحي » يفتقد ركائزه الثابتة ، ويضمن الحفاظ على ضياع المسلمين وتخلفهم الحضاري .

وهذا هو الهدف الاستشراقي الثابت ، وهو ما يجب أن تقف الدعوة الاسلامية ضده بكل ثبات وصمود ، لكي تحافظ على « الاسلام القرآني » الذي أنزله الله ، ولكي تعيد الى معالمه الثابتة الواضحة - القافلة البشرية التائهة ، ممن تسموا باسم الاسلام ، وهم أجهل الناس بحقيقته ، أو ممن ينتمون الى أديان ومذاهب أخرى .



حكم الاستفادة من أعضاء الموتى

للدكتور :
محمود ناظم النسيمي

ان الاستفادة من الطعوم المأخوذة من الموتى كانت من نتائج التجارب العلمية العديدة في الطب الجراحي الحديث ، ومن محاسن تطور الجراحة في فروعها المختلفة في صالح الانسان وتخفيف أو إزالة بعض علله وعاهاته المزمنة واعادة الابتسامة والأمل الى نفوس أرهقتها العلة أو كدرها التشويه الذي لحق بها أو العاهة التي لازمتها كفقدان الرؤية بكثافة قرنية العين أو تعطيل عضو بخراب دعامته العظمية .

يخطر لي واقع التقدم الجراحي في ميدان المعالجة . ويخطر لي بحث حرمة الميت وكرامة الانسان في نظر الاسلام ، وتخطر لي أيضا القاعدة الفقهية « الضرورات تبيح المحظورات » فيدفعني ذلك كله الى دراسة شرعية لموضوع الطعوم المأخوذة من الموتى لزرعها في اجسام الأحياء لضرورات علاجية ، وذلك للوقوف على الأدلة التي تشير الى الحكم الشرعي في هذه المسألة .

وأقصد من الطعوم في هذا البحث الطعوم الجنسية وهي ما أخذت من الجنس ذاته ، أي من انسان الى انسان آخر سواء أكان المأخوذ منه حيا ام ميتا ، وهي التي تحتاج الى حكم الشرع فيها ، ومن أمثلتها نقل قرنية العين « البلورة » من ميت توفى حديثا والترقيع بها بديل قرنية موءوفة . وكذلك نقل قلب انسان مباشرة عقب الموت ، بسبب اصطدام مثلا ، الى انسان آخر ليقوم بديل قلبه المعتل كما جرب ذلك في السنين

الأخيرة . ومن أمثلتها الطعوم العرقية التي تنجح اذا كانت جنسية اكثر من الطعوم الاجنبية « أي من اجناس حيوانات مختلفة غير الانسان » التي تؤدي الى ضيق العرق فالى التخثر والغؤور .

وكما ان من الطعوم العظمية ما هو ذاتي فان منها ما هو جنسي . وهناك في بعض البلدان المتقدمة مصارف للعظم تحفظ فيها بعض عظام الموتى لحين الحاجة والطلب . ولكن اكثر الطعوم العظمية استعمالا هي الطعوم الذاتية اي المأخوذة من ذات الجسم .

هذا وان نجاح التطعيم ليس أمرا مطردا ثابتا ، وان اكثر التطعيم نجاحا ما كان في الفتيان . وان الطعوم الجنسية والاجنبية اقل نجاحا من الطعوم الذاتية ، لاختلاف الاخلاط واختلاف المواد الهيولية في الاشخاص ، ولذا كان الطعم المأخوذ من الاقرباء أقرب الى النجاح . وتعلل خيبة التطعيم بتخثر الدم في عروق الطعم وامحاء الاعصاب وقصور التوعية وفعل المواد العضوية السام وفعل الكريات البيض التي تلتهم الطعم كأنه جسم اجنبي .

ومن المهم جدا أن أشير الى أمر واقعي له مساس بالفتوى وهو أن الطعوم الجنسية لا تؤخذ من انسان ميت الا بعد التأكيد من وفاته ، حتى ولو كان محكوما عليه بالاعدام أو مصابا باصطدام وغلب على ظن الاطباء دنو أجله . وتستعمل بعض الدول المتقدمة جهاز تخطيط الدماغ ليدل على تمام فقدان الحياة وذلك حفاظا على كرامة الانسان وتمسكا بالقيم الاخلاقية النبيلة .

اما اذا عمد بعضهم الى استئصال العضو المطلوب قبيل الوفاة المتوقعة في الظروف السابقة ، او الى استئصاله من محكوم عليه بالاعدام قبيل تنفيذ الحكم فذلك يتنافى مع القيم الاخلاقية وتعاليم الاديان السماوية ، لأن الأجل غيب لا يعلم بشكل قطعي متى ينتهي ، وقد تأتي البراءة او العفو او ما يوجب درء الحد في اللحظة الأخيرة ، وليس من الانسانية ولا من التعاليم الربانية أن يقدم على طلب منفعة غير مضمونة على حساب مصلحة وحياة إنسان آخر .

كرامة الانسان :

تحدث القرآن عن هذه الكرامة في قوله تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ .

من أجل هذا التكريم نص معظم الفقهاء على طهارة الانسان حيا كان أو ميتا ، مؤمنا كان أو غير مؤمن ، ولم يدخلوا لحمه في مفهوم الاطعمة وتقسيمها الى حلال وحرام أيا كانت سلالته ولونه ودينه وبيئته ، وذهب معظمهم الى عدم جواز تناول لحم الآدمي الميت ولو في حالة الاضطرار .

ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن يواري كل ميت حتى قتلى الكفار . ونهى عن المثلة اي عن التمثيل بجسم اي ميت او قتيل ولو قتل قصاصا او قتل في صفوف الكفار .

ومن أجل كرامة الانسان واحترامه نص فقهاء المذهب الحنفي على عدم جواز بيع شعر الانسان للنسيج كما يباع وبر الجمل وصوف الغنم ، وعدم جواز الارضاع بعد انتهاء مدته لأن لبن المرأة جزء آدمي وهو محرم وقد أبيح للرضاع للضرورة فيقتصر على المدة المحددة ولا يعدوها .

ان كرامة الانسان تقتضي احترام انسانيته حيا كان أم ميتا فلا يجوز بعد موته ان يوجه اليه الايذاء بمظهريه المادي والمعنوي من جلوس على قبره او سبه أو كسر عظمه ، روى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » (اسناده على شرط مسلم كما في بلوغ المرام للعسقلاني) وزاد ابن ماجه من حديث أم سلمة رضي الله عنها « في الاثم »ان تعمد كسر عظم الميت يدل على الاستهانة او قصد الاهانة للميت لأن من يقدم على فعل ذلك ، انما يفعله اما لضعف تقديره كرامة الانسان ، واما لسوء طويته وقوى حقده على الميت صاحب العظم المعتدى عليه فيكسره اهانة لصاحبه وشفاء لغيظ نفسه ، وقد نهى الشارع عن ذلك وعن فعل كل ما يؤذي الاحياء في الاموات .

وبعد هذا البيان الموضح لمنزلة كرامة الانسان في نظر الاسلام ؛ قد يقع في نفس العالم او المثقف ان الاستفادة من اعضاء الميت في عمليات الزرع محرمة فيقول : اين تكريم الانسان واين احترامه اذا عبثنا بجسده بعد موته شقا ونزعا ورتقا كأنه شاة مذبوحة او نسيج للتفصيل نستأصل منه اجزاء لنعطيها الى حي قد يمسك جسمه ذلك الطعم ، وقد لا يقبله مضيعا اتعاب العملية ومخيبا لها .

أدلة اباحة تلك الاستفادة :

ان قوله تعالى : (**وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه**) الانعام/ ١١٩ عام مطلق لم يطرأ عليه تخصيص ولا تقييد ، فيشمل الاضطرار كل انواعه سواء أكان لضرورة التغذي أم لضرورة التداوي ام لغير ذلك . ولذا اتفق فقهاء الحنفية والشافعية على جواز التداوي بالمحرمات غير المسكرة عند الضرورة بفقدان الدواء المباح المفيد .

ولم يقل الفقهاء الاولون بأن موتى الآدميين لا تمسهم أحكام الضرورات ، بل نرى لهم أحكاما أجازوا فيها شق جوف الميت لضرورة استخراج مال او جوهرة ابتلعها قبل موته ، او استخراج جنين حي يرجى بقاؤه حيا . ارجع اذا شئت الى كتاب المجموع للامام النووي (جـ٥ ص٢٦٦ ـ ٢٦٨) والى حاشية ابن عابدين (١/ ١٦٦) والى فتوى العالم الكبير الشيخ يوسف الدجوي في جواز تشريح الميت ورده على رد (في المجلد

السابع من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥ هـ ص ٣١ ـ ٤١) وفيها ينقل عن مذهب المالكية والحنابلة ايضا وينقل عن ابن قدامة الحنبلي في شرح المغنى (جـ٢ص٤٠٧) في فصل عقده في بيان ما اذا كان الميت في بئر فيه بخار خانق بأن انعدم الاوكسجين ، ينقل قوله : وان لم يمكن اخراجه الا بمثلة ولم يكن الى البئر حاجة طمت عليه فكانت قبره ، وان كان طمها يضر بالمارة اخرج بالكلاليب سواء افضى الى المثلة او لم يفض لأن فيه جمعا بين حقوق كثيرة ، نفع المارة وغسل الميت ، وربما كانت المثلة في بقائه اعظم لأنه يتقطع وينتن ... كما أفتى الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية بجواز تشريح جثث الموتى لضرورة التعليم وضرورة التحقيق الجنائي . (فتاوى شرعية وبحوث اسلامية ـ المجموعة الثانية ص٢١٩).

الجواب على موهمات الحظر :

يشمل عدة نقاط :ـ

١ ـ ليس في مقاصد اخذ الطعم من الميت ما يتضمن اهانة او تحقيرا ، ولا في نية الطبيب أو المريض ذلك . بل انه تكريم بابقاء جزء من جسده حيا يحمله حي آخر يذكره ويدعو له بخير ، كلما تذكر نعمة صحة عضوه الذي استفاد من الميت . فكأنه من الصدقة الجارية ، وخاصة اذا أوصى صاحبه قبل الموت بالاستفادة من اعضائه في صالح الطب والمداواة محتسبا اجره عند الله تعالى .

٢ ـ ليس في طريقة التطعيم ما يحمل صورة التمثيل ولا معناه ، فالتمثيل انما يكون للتشفي والانتقام ولذا يكون مثيرا لاحقاد اقارب المتوفي ولزيادة احزانهم . وليس في هذا المقام انتقام وانما استعانة ثم تذكر بخير . والتمثيل يشوه ، وفي التطعيم يجري العمل كأنما يجري على حي من شروط الطهارة والتعقيم والشق والاغلاق والخياطة وكأنما الأمر عملية جراحية عادية .

٣ ـ ليس التشبيه في قول رسول الانسانية صلوات الله وسلامه عليه : « كسر عظم الميت ككسره حيا » مرادا منه كل الوجوه لأن كسره حيا يؤلم وكسره ميتا لا يؤلم ، فما لجرح بميت ايلام ، والكبش اذا ذبح لا يضره السلخ ، وقد وردت احاديث بأن بعض من كان قبلنا امر اولاده باحراق جثته بعد وفاته « البخاري ٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ باب قوله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) فالوجه المراد من التشبيه في ذلك الحديث إذاً هو الاثم في الاهانة والبعد عن مظهر الاحترام كما صرحت بذلك رواية ابن ماجة في الاثم وكما فهم ذلك الامام مالك رحمه الله تعالى عند روايته حديث السيدة عائشة رضي الله عنها الموقوف عليها : « كسر عظم المسلم ميتا ككسره وهو حي » فقال : تعني في الاثم . « الموطأ » .

ان كسر عظم الميت يفعله من يفعله اما خطأ ، واما غلطة واستهانة بحرمة الآدمي ، واما اهانة واستشفاء لغيظ

الصدر بسبب عداوة سابقة . فالفعل الخطأ مرفوع اثمه ، واما العمد ففيه اثم . ولكن العمل الجراحي في أخذ الطعوم خال من الاستهانة والاهانة ، كما انه يجري في الحالات العلاجية الاضطرارية ، ومن المعلوم ان الضرورات تبيح المحظورات . وبالاستناد الى هذه القاعدة الفقهية المستنبطة من الآية الكريمة المستثنية لحالة الاضطرار يمكن الجواب على كل حكم فقهي يمس الحالات العادية غير الاضطرارية ويستشهد به متوهمو الحظر .

هل توجد شروط مع الاباحة :ـ

بما ان الضرورات تقدر بقدرها ، فيمكن دفعا للشطط والاساءة في اخذ اعضاء او اجزاء منها من الميت ان تشترط امور لذلك ، وان ينظم العمل والاستفادة بقانون يضمن سلامة المعاني الانسانية وكرامة المتوفي وحقوق ذويه . واني اقترح في هذا المجال الشروط التالية :

١ ـ رضى المتوفي بذلك قبل موته صراحة او ضمنا . ففي الرضى تمكين لمعاني كرامة الانسان وحرمته وبعد الأذى المعنوي عنه ومنع زيادة الاحزان على ذويه . ويكون الرضى الصريح بوصيته التي يوصي فيها بجزء منه بعد موته لشخص معين او اشخاص معينين ، او يطلق ذلك لابناء دينه او جنسه ، او يطلقه للتشريح وللتجارب في سبيل التقدم الطبي العلمي العلاجي .

ويكون الرضى الضمني كما في المثال التالي : لو اشترطت الحكومة في اعطاء الدفتر الصحي للمعالجة مجانا في مشافي الدولة ان يكون لها الحق في الانتفاع باجزاء الميت حامل البطاقة الصحية لضرورة التداوي اذا توفى في مشافيها ، وبشرط ان تكون فائدة الاستفادة عائدة لفقير آخر حامل للبطاقة الصحية . فيكون قبول المرء للدفتر الصحي المجاني رضى بشروطه ومنها أخذ اجزاء منه بعد موته .

٢ ـ توافق الدين في المعطي والآخذ ، وهذا الشرط قابل للمناقشة اذا لم يتوفر بتذكر قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » .

٣ ـ ان يتبع في طرق انتزاع ذلك الجزء الاصول الانسانية والآداب الاسلامية . ولذلك اذكر زملائي الاطباء الجراحين والاطباء الشرعيين ، وأساتذة التشريح واخواني الطلاب الذين يتدربون على التشريح في جثث الموتى ، ان الضرورة تقدر بقدرها فلا تكشف عورة الميت الا عند ضرورة التعليم على ناحيتها ، فلا تكشف حين العمل على ناحية الوجه او الساعد او الصدر مثلا . وعلى العاملين في دور التشريح والطبابة الشرعية ، ان يسلكوا في نقلهم للميت وفي وضعه الآداب التي يعاملون بها الاحياء ممن يحبون .

وأترك للسادة الفقهاء التوسع والتفصيل في الشروط المستقاة من تعاليم الاسلام وروح شريعته .

أسأله تعالى ان يوفقنا جميعا لخدمة شريعته والتمسك باهدابها .



في القرآن الكريم والسنة الشريفة جاءت الأخبار والأحكام من جهة الاسناد على وجهين : فهي تنسب مرة إلى الأعلام الظاهرة ، أو ما يشبه الأعلام في البيان وتحديد المقصود ، وتنسب أخرى إلى نكرات وأشباه النكرات في الابهام .

وقد ذكر العلماء للتعريف والتنكير دواعي متعددة ، يسوقونها على الأخص في علم المعاني من مصنفات البلاغة ، لا نطيل ها هنا بذكرها ،

ولكن الذي يعنينا في مقالنا هذا ، هو أن العلماء المسلمين بما جبل عليه الانسان من حب المعرفة ، والشغف بالاستطلاع ، واندفاع الأشواق إلى كشف اللثام عن المجهول ، لم يقفوا عند حدود المذكور في القرآن والسنة ، مكتفين بما يستفاد من الخبر في مجال التشريع واستنباط الحكم اللازم لتقويم الحياة ، بل ذهب كثير منهم لاستكمال الحقائق المستورة كل مذهب ، ليعرفوا من نسب إليه الخبر ، أو من كان سببا فيه ، ولعل سبباً من أسباب الابهام دفع الهمم إلى الاجتهاد والتقصي ، وقد جاء الاسلام الحنيف يحث الأفكار على النظر والتأمل والحركة ومحاربة الجمود ، للوصول عن طريق المعلوم الظاهر إلى المستور الخفي .

أنواع المبهم .

وهذا المبهم منه ما يسهل الوقوف على بيانه ، لارتباطه بحادث معروف البطل في الأصل ، فاذا نزل الوحي

بالخبر أو الحكم دون بيان ، عرف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن حضر من الأصحاب ، في حق من نزل ، أو بسبب من نزل ، حين يجيء مبهما أو مكنيا عنه .

ومن هنا ، عين الصحابة والتابعون طائفة من مبهمات القرآن ، لاتصالهم بالأحداث ، أو بمن اتصل بالأحداث فعرف المراد بالمبهم .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم**) آل عمران /٨٦ إذ عرفوا أن مدار الحديث على الحارث بن سويد لشيوع قصته .

(٢) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم**) المائدة/١١ فقد اشتهر في ذلك غورث بن الحارث ، الذي شام السيف في يده ، وهو يريد قتل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ظل شجرة قبل نجد كان يستظل تحتها .

(٣) وقوله تعالى : (**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن**) التوبة/ ٧٥ فقد اشتهر بذلك عندهم ثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير من بني عمرو بن عوف .

(٤) وقوله تعالى : (**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**) المجادلة/١ وقد قالت خولة ــ رضى الله عنها ــ « في وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة » .

ومن المبهمات في القرآن أو السنة نوع يصعب بيانه وهو ضربان :

(١) ما استأثر الحق ــ جل علاه ــ بعلمه ، وهذا لا مطمع فيه من عاقل ، كما جاء في قوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**) الأنفال/ ٦٠ فعلم هؤلاء الآخرين مقصور على الله وحده ، ومنه « مفاتح الغيب » التي لا يعلمها إلا هو .

(٢) ما لم يشع خبره لسبق تاريخه أو انطماس حقيقته ، فلا يعرف الا بتوقيف من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو ببيان العالم الثبت من أهل الكتاب .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**) الأعراف/ ١٧٥ فقد بينه أكثر المختصين بالتفسير ببلعم بن باعوراء من طريق الدارسين للديانات السابقة .

(٢) وقوله تعالى :(**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا**) الكهف/ ٨٠ فقد بين البخاري عن مثل هذا الطريق أن اسم الملك ــ فيما يزعمون ــ هدد بن بدد ، وأن اسم الغلام جيسور .

(٣) ما جاء في حديث قصة الأخدود

عن الملك والراهب الساحر والغلام الذي آمن ، من أن اسم الملك يوسف ذونواس ، وأن اسم الغلام عبد الله ابن التامر .

(٤) ما جاء في حديث قصة جريج العابد من خبر المتكلمين في المهد ، إذ سموا الغلام الناطق لتبرئة جريج بابوس ، وسموا أباه الراعي الواقع بالمرأة صهيبا .

(٥) ما جاء مبهماً في خبر ، ثم بينه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في آخر ، كحديث رد الشمس على يوشع ابن نون ـ عليه السلام ـ وحديث أبي رغال ، الذي كان الاخبار بقبره وما دفن فيه من غصن الذهب علامة من علامات النبوة ،وربما كان إلى اليوم في عالم الغيب لو لم يخبر عنه رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه .

أسبق المهتمين بهذا الفن

كان أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسبق من وضع أساس فن البيان للمبهم ، وقد أخرج أحمد والبخاري وغيرهما من حديث فروة بن مسيك « وأنزل في سبأ ما أنزل ، فقال رجل : يارسول الله ، وما سبأ ؟ أرض أم امرأة ؟ قال : ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب ،فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا : فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة ، وأما الذين تيامنوا : فالأزد ، والأشعريون ، وحمير ، وكندة ، ومذحج ، وأنمار . فقال رجل : يارسول الله ، وما أنمار ؟ قال : الذي منهم خثعم وبجيلة » .

وعلى سبيل التعيين كان أسبق الصحابة وعلماء الاسلام في هذا الفن حبر الأمة وعالمها : عبدالله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فيما روي البخاري ومسلم في الصحيحين أنه قال : « مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأل هيبة له ، حتى خرج حاجاً فخرجت معه ، فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له ، فوقفت له حتى فرغ ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ، من اللتان تظاهرتا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أزواجه ؟ فقال : تلك حفصة وعائشة . قال : فقلت له : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك ! قال : فلا تفعل: ما ظننت أن عندي من علم فسلني ، فان كنت أعلم أخبرتك »

كما روي عنه أنه ظل يطلب بيان الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله أربع عشرة سنة ، وقد وصل ـ رضي الله عنه ـ إلى بيانه بعدها ،كما جاء عنه فيما أخرجه أبو يعلي وابن أبي حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات قال : « خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً ، فقال لقومه : احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ـ

صلى الله عليـه وسلـم ـ فنـزل الوحي :(ومن يخـرج من بيتـه مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ... » النسـاء/ ١٠٠

وعنه ـ رضي الله عنه ـ فيما روى مسلم ـ أنه تماري هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ـ عليه السلام ـ فقال ابـن عباس : هو الخضر ، فمر بهما أبي ابن كعب الانصاري ، فدعاه ابـن عباس فقال : يا أبا الطفيل ، هلم إلينا ... »

وهذا الصنيع من الصحابة ومن حبر الأمة على الأخص قد شجع حركة النفس في البحث عن بيان المبهم ، فظهر ذلك عند طائفة من المشتغلين بالتفسير والحديث ورجال المغـازي والسير ، مما نراه قد سبق إليه ابن جريج ، والزبير بن بكار ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدي وغيرهم ، حتى تكونت طائفة من المعرفة لدى آخرين مكنتهم أن يخرجوهـا في كتـاب ، فأصبح لهذا الفن بعملهم المحمـود مراجعه ، يهرع إليها الرواة والفقهاء والمؤرخون ، لما يرون من أن نسبة الأحكام والأخبار إلى المعلـوم آكد توثيقا للحقائق وإقناعا .

وهذا الجهد الحميد يظهر لنا في دراسة الكتاب المجيد والسنة الغراء على سواء ، وأول ما يطالع المتقصي منه كتاب **(التعريف والاعلام فيما أبهـم في القـرآن من الأسمـاء والأعلام)** وهـو للعالـم الجليـل عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي المتوفي سنة (٥٨١) هـ ـ يقول في مقدمته مبينا مزية عمله ومعرفا به :

« ... قصدت أن أذكر في هذا المختصر الوجيز ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه العلـم : من نبـي ، أو ولي ، أو غيرهما . من آدمي ، أو ملك ، أو جني ، أو بلد ، أو كوكب ، أو شجر ، أو حيوان له اسم علم قد عرف عند نقلة الأخبار والعلماء والأحبار ، إذ النفوس من طلاب العلم إلى معرفة مثل هذا متشوقة ، وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة ، وإذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعـر أبهم اسمه في كتاب ، وكذلك أهل كل صناعة يعنون بأسماء أهل صناعتهم ويرونـه من نفيس بضاعتهـم ـ فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه ، ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة ... »

وقد جاء تلميذه محمد بن علي بن عساكر فذيل على كتاب أستاذه بكتابه (التكميل والاتمام) وعقبهمـا بدر الدين بن جماعة فجمع بين الأثرين في كتابه (التبيان في مبهمات القرآن) ولعل ختام هذا الفن في مبهمـات القرآن كتاب السيوطي (مفحمـات الأقران)

أما مبهمات الحديث فأول ما يذكر منها النووي في التقريب (مبهمات عبدالغني بن سعيد) الذي توفي سنة ٤٠٩ هـ ، وهو كتاب كثر نقل العلماء من بعده عنه ، إذ قل منهم من لا يذكره مرجعا لبيان مبهم ، وقد جاء بعده الخطيب البغدادي المتوفي سنة

٤٦٣ هـ فأخرج في الفن كتابه (الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة) وهو معلمة كبرى في بابها ، إذ يتضمن ثمانية وثلاثين ومائتي خبر ، كشف الابهام عن مبهمها بما ساق من شواهد وبما أيد من حجج ، تدل على جودة حفظ وسعة دراية ووثائق علم ، وقد رتب كتابه ـ رحمه الله ـ بترتيب المبهمات على حروف الهجاء ، قائلا في مستهله :

« هذا كتاب أوردت فيه أحاديث تشتمل على قصص متضمنة ذكر جماعة من الرجال والنساء أبهمت أسماؤهم وكنى عنها ، وجاءت في أحاديث أخر مبينة محكمة ، فجمعت بينها ، وجعلت إثر كل حديث فيه اسم مبهم حديثا فيه بيانه ، ورتبت ذلك على نسق حروف المعجم ، والله تعالى أسأل توفيق العمل بطاعته ... »

وقد أثنى عليه النووي ، واختاره لتلخيصه والبناء عليه في كتابه (شرح المبهمات)

ولعل أظهر عمل في الباب بعد كتاب الخطيب هذا ، كتاب (غوامض الأسماء المبهمة ، الواقعة في متون الأحاديث المسندة) للعالم الزاهد المحدث خلف بن عبد الملك بن بشكوال مؤرخ الأندلس ومسندها ، فانه ظل مثابراً دءوباً حتى جمع ثلاثة وعشرين وثلاثمائة خبر ، عقب رواياتها الواردة على الابهام بالروايات المبينة ، وقد التقى مع الخطيب على ما يقارب المائة والعشرين ، وانفرد بالباقي ، وأتى على ما اجتمعا عليه بروايات غير التي استشهد بها الخطيب من جهة الاسناد حينا ومن جهة المتن حينا ، وقد يختلف معه في بيان المبهم مستنداً إلى حجته . وهذا الكتاب مع سابقيه دعائم الفن عند من جاء بعدهم من العلماء ، ولا يعيب ان بشكوال في (غوامض الأسماء) الا أنه لم يرتب المبهمات على أي سنن يسهل انتفاع الطلاب به ، مما حثني على وضع الفهارس التي تيسره .

ومن تتمة الكلام في هذا الباب ، أن يعلم أن لأبي الفضل المقدسي المتوفي سنة ٥٠٧ هـ مختصرا لطيفا في زهاء خمس وسبعين صفحة سماه (إيضاح الاشكال) وهو سريع العطاء لأنه إلى الفهرسة المفيدة أقرب ، إذ لم ير الحاجة إلى ذكر النص والسند والحجة ، فأعطى المبهم وبيانه على طريق اللمحة الدالة لأهل التخصص في الحديث .

وقد جاء ولي الدين العراقي المتوفي سنة ٨٢٦ هـ بكتابه (المستفاد من مبهمات المتن والاسناد) ملخصاً ما خلف الخطيب ، وابن بشكوال ، والنووي ، وابن طاهر ، مرتبا كتابه على الأبواب ترتيباً دقيقا ، مراعيا بيان المتفق عليه والمختلف فيه ، مشيراً إشارات خفيفة كافية إلى مصادر الاحتجاج عند كل منهم ، وهو بذلك غنية المتعجل ، الذي تغنيه الاشارة عن طول العبارة .

وممن حبب الله إليهم هذا الفن الحافظ المحقق الملهم شهاب الدين أحمد بن حجر المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، فقد ألف في المبهمات على الاستقلال كتاب (الأحكام لبيان ما في القرآن

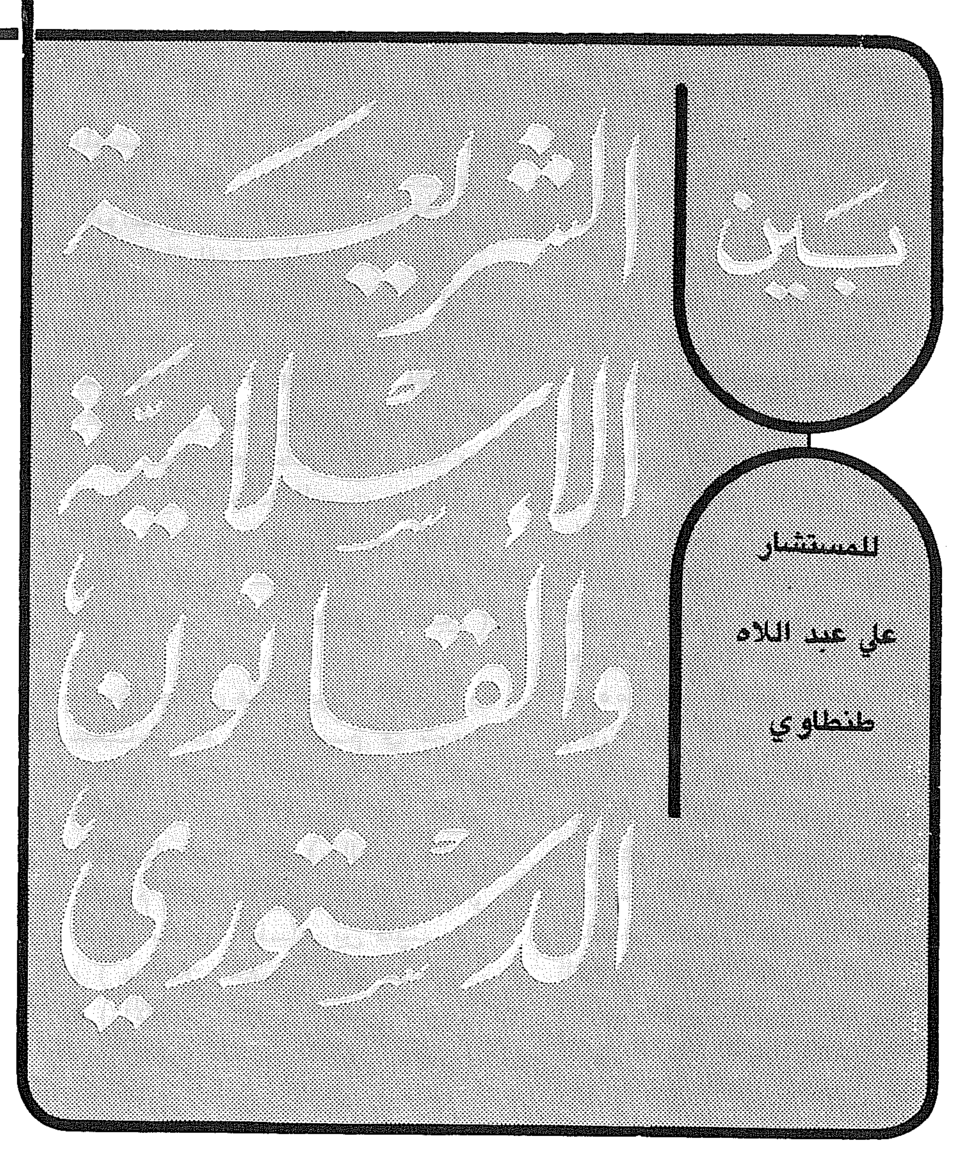
من الابهام) كما يشير إليه كشف الظنون (ص ٢١ : ٢) كما تذكر له المصادر الأخرى وأدلة المكتبات (ترتيب المبهمات على الأبواب) و (الأجوبة الواردة عن الأسئلة الوافدة) وله فصل طويل في (هدى الساري) الذي جعله مقدمة لفتح الباري ، يذكر فيه بيان مبهمات صحيح البخاري على ترتيب أبوابه ، وهو الفصل السابع الذي يقع في زهاء ست وتسعين صفحة ، مع ما له من البيان في شرحه للصحيح عند المناسبات ، وما يضاف إلى ذلك من فوائده وتنبيهاته في بقية كتبه وتخريجاته مثل (تلخيص الحبير) وسواه .

وقد جاء في هذا الفن مع السابقين علماء تذكر مبهماتهم في شروح المتأخرين ــ ولا أحسبها إلا صدى تلك المصادر ــ منها مبهمات البلقيني (الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) و (ترتيب المبهمات على الأبواب) لمغلطاي بن قليج ، و (مبهمات العمدة) للبرماوي ، و (الأحكام) لابن الطلاع .

إن هذا الحشد من الجهود المحمودة ، التي بذلها السادة من علماء الأمة من وقت الصحابة إلى اليوم ، هي الرد الحاسم على المستهين بهذا الفن ، الذي يتهكم بالباحثين عن المبهم ، عاداً ذلك من الفضول ونقص السداد ، رائيا أن مناط الفائدة هو الخبر والحكم في ذاته ، ولا مشاحة منا في ذلك ، وإنما المشاحة في أن يتهم قاصر الهمة واهن العزم ، من وهبهم الله الصبر على استكمال طرق العلم ، وثقابة الفكر لاستكناه الحقائق ، وقد يكون من حسن التوجيه لمثله أن يقرأ في خاتمة مقالنا ، ما قال صاحب المستفاد في مقدمته :

« وكم له من فائدة تستجاد ، أدناها تحقيق الشيء على ما هو عليه ، فان النفس متشوقة إليه ، ومنها أن يكون في الحديث منقبة لذلك المبهم ، فتستفاد بمعرفته فينزل منزلته ، ويحصل الامتثال لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أنزلوا الناس منازلهم » ومنها أن يشتمل على نسبة فعل غير مناسب إليه ، فيحصل من تعيينه السلامة من جولان الظن في غيره من أفاضل الصحابة ، ومنها أن يكون ذلك المبهم سائلا عن حكم عارضه حديث آخر ، فيستفاد بمعرفته : هل هو ناسخ أو منسوخ ، بأن عرف زمن إسلام ذلك الصحابي ، وكان أخبر عن قصة شاهدها وهو مسلم . إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تخفى . »

أما بعد ، فما أحرى هذا الفن بأن يكون له مكان في معاهد الحديث ، وما أجدر هذه الجهود المبذولة فيه بأن تحقق وتنشر ، فانها جانب عامر من جوانب التراث ، لعلمائه الحق في أن ترى أرواحهم ثمر جهدهم حيا في حقول المعارف ، مقترنا بالدعاء لهم والترحم عليهم ، محتفلا به ومستفاداً منه ، وهو شريف بشرف القرآن ، كريم بكرامة السنة ، وبالله التوفيق ومنه السداد ولا حول ولا قوة إلا به .



القانون الدستوري هو فرع من فروع القانون العام الذي يتضمن مجموعة القواعد الأساسية التي تحدد شكل الدولة ونوع الحكم فيها جمهوريا او ملكيا ديمقراطيا أم ديكتاتوريا برلمانيا أو غير برلماني . كما أن هذا الفرع من أفرع القانون ينظم علاقة السلطات بعضها ببعض من حيث التكوين والاختصاص ويقرر حقوق الأفراد وينظم علاقتهم بالدولة وسلطاتها .

وقد تضمنت الشريعة الاسلامية تنظيمات وأحكاما شملت هذا الفرع من أفرع القانون ، إذ أنه بعد تبليغ

النبي صلى الله عليه وسلم رسالة ربه ، وبعد هجرته الى المدينة المنورة بدأ في تكوين المجتمع الاسلامي ، وبدأت بالتالي الشتريعات الالهية توحى اليه ، وكان لزاما لذلك تأسيس الدولة الاسلامية التي تحكم بالقرآن والتوجيه الالهي عن طريق الوحي وتقوم فيها حكومة اسلامية يتولى شؤونها الرسول صلى الله عليه وسلم .. يبلغ الناس ما أنزل إليه من ربه ، ويدعوهم اليه ، ويهديهم سبل الرشاد وفي ذات الوقت يدبر أمور المسلمين وشؤونهم على مقتضى كتاب الله ، وما يسنه هو صلى الله عليه وسلم من أحكام في هدى الوحي وتوجيهات الله عز وجل ، ومن ثم فان سنته القولية والفعلية والتقريرية في أمور الدين والدنيا ، كانت هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، اذ كانت تبين ما يحتاج الى بيان من نصوص القرآن وتفصل مجمله وتقيد إطلاقه وتخصص عمومه وتعين الناسخ والمنسوخ منه .

شكل الحكم في الاسلام : ـ لم يشأ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن ينظما شؤون الحكم تنظيما دستوريا معينا وانما اكتفيا بوضع المبادىء العامة والقواعد الاجمالية التي يجب أن تكون الأساس الذي يلتزم الناس به على مر العصور والأيام ، وتركا طريقة اختيار الحاكم وتعيين الولاة ورقابتهم ، وعموما كل ما يتعلق بتسيير أمور الدولة وفق ما يلائم أحوال المسلمين ويتسق مع ظروفهم وأوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حسب الزمان والمكان شريطة اتفاقها مع مبادىء الاسلام وروحه .

ويمكن القول أن الخلافة هي شكل الحكم في الاسلام ، وهي تعني رياسة الدولة الاسلامية ، وهي واجبة عند جمهور الفقهاء ، وأساس اختيار الخليفة هو الشورى والبيعة ، ولا يشترط حصول موافقة جميع المسلمين ، بل تكفي موافقة غالبيتهم ، كما أنها يمكن أن تتم بأهل الرأي وقادة الفكر في شؤون السياسة ، والاقتصاد ، والزراعة ، والحرب ، والتخطيط ، والتشريع .

المبادىء الأساسية التي يقوم عليها الحكم الاسلامي : ـ يقوم نظام الحكم في الاسلام على مجموعة أسس ومبادىء لا يجد الباحث ثمة عناء في سرعة الوصول اليها من بين دفتي المصحف والسنة النبوية الشريفة وأعمال الخلفاء الراشدين ، الذين نهلوا الحق من فيض النبوة الساطع المتدفق واهم الأسس التي يقوم عليها النظام الاسلامي هي : ـ

١ ـ **الشورى** : ـ من أهم المبادىء التي يقوم عليها نظام الحكم الأسلامي مبدأ الشورى وقد نص عليها القرآن الكريم وجعلها وصفا من أوصاف المسلمين فيقول الحق تبارك وتعالى **(وأمرهم شورى بينهم)** الشورى/٣٨ .

وقد أرست السنة النبوية الشريفة مبادىء الشورى سواء كانت قولية أم فعلية ، أما السنة القولية فهي ثابتة

من قوله صلى الله عليه وسلم « ما شاور قوم إلا هداهم الله وأرشد امورهم » رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

وأما السنة الفعلية فهي أكثر من أن تقع تحت حصر ونكتفي على سبيل المثال بايجاز ما حدث من اتفاق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قائدي غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف أثناء غزو الأحزاب للمدينة ، فقد رغب عليه الصلاة والسلام في إغرائهما بعطاء قدره ثلث ثمار المدينة مقابل عودتهما بمن معهما وتخليهما عن مسايرة الأحزاب في الحصار المضروب على المدينة ، وتم الاتفاق بينه وبين ذينك الشخصين على ذلك وسجلوا هذا الاتفاق ولم يشهدوا عليه أحدا واستدعى الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما واستشارهما في ذلك فقالا : ـ يا رسول الله أشيء أمرك الله لا بد من العمل به ؟؟ أو أمر تحبه فنصنعه ؟؟

أو شيء تصنعه لنا ؟؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل هو شيء أصنعه لكم لأن العرب رمتكم بترس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم » . فقال سعد بن معاذ « يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام ولا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة فكيف وقد أكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟؟ ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم » . فقال الرسول عليه افضل الصلاة والسلام : « انت وذاك » . وناول سعدا الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة .

وقد ترك « القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة طريقة تنفيذ الشورى وكيفيتها دون تحديد حتى يمكن في كل زمان ومكان أن يختار الناس الأسلوب الأمثل والأفضل لهم والذي يقرر ذلك أولو الأمر طبقا لما يحقق مصلحة الجماعة .

وأولو الأمر في الأمة هم أصحاب الرأي وقادة الفكر فيها سواء في النواحي الدينية أو الدنيوية العسكرية أو المدنية الداخلية في الدولة أو الخارجية في القضاء أو الزراعة أو التجارة في الاقتصاد أو السياسة وهؤلاء لا يخفى أمرهم على الناس لما يمتازون به من نضج رأي وبعد نظر للأمور ونفع لمواطنيهم فيكونون موضع ثقة واجلال وتقدير من الكبير والصغير وعليهم الاجتهاد واستنباط الأحكام التي تكفل تنظيم الحياة وخلا الكتاب والسنة من نص ورد فيها

شريطة ان لا تخالف هذه الاحكام المستنبطة كتاب الله او سنة رسوله .

وطاعة أولي الأمر واجبة على الناس بنص القرآن الكريم : (**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**) النساء/ ٥٩ .

ويقول عز وجل : (**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه**

منهم) النساء/٨٣ .

وقد ترك للأمة تحديد هذه الهيئة ـ أولو الأمر ـ وشروط تشكيلها واجتماعاتها وعلاقتها بأجهزة الدولة وهي التي تمثل السلطة التشريعية في الدولة .

هذه هي الشورى وأن العالم بأحكام الاسلام الدارس لتاريخه في صدره الأول لا يملك إلا الاقرار بأن هذا النظام ليس ألا ديمقراطية صادقة تحول بين الحكم والاستبداد والدكتاتورية .

٢ ـ **العدل** : ـ العدل مبدأ أساسي من مبادىء الحكم الاسلامي ، ويشمل العدل في الحكم وفي الحقوق وفي الواجبات وعدل الاسلام يشمل الغريب والقريب يشمل القوي والضعيف يشمل الغني والفقير يشمل العدو والحبيب : **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة/٨ **(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** النساء/٥٨ **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان)** النحل/٩٠ ويقول تبارك وتعالى **(وإذا قلتم فاعدلوا)** الانعام/١٥٢ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن ربه « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم .

٣ ـ **المساواة** : ـ ساوى الاسلام بين الناس مساواة مطلقة في الحقوق والواجبات دون نظر إلى جنس أو لون أو عظيم أو صغير أو غني أو فقير .

فيقول الحق تبارك وتعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)** الحجرات/١٣ ويقول عز وجل : **(إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/١٠ .

٤ ـ **مسؤولية الحاكم عن أعماله** : ـ لم يحدد الاسلام مدة معينة للخليفة في الحكم وبمقتضى مبادىء الشريعة يستمر الخليفة في العمل ما دام صالحا للقيام به .

قادرا عليه ملتزما بواجباته ، فإن فقد صلاحيته لعجز أو لتقصير وجب عزله وان حكم بما في كتاب الله وسنة رسوله وجبت طاعته إذ يقول جل وعلا : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)** النساء/٥٩ .

وإذا تعارضت أقوال أو أعمال الحاكم مع نصوص الشريعة أو روحها سقطت طاعته عن المحكومين يقول الله تبارك وتعالى : ـ **(ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)** الكهف/٢٨ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه احمد والحاكم وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام « من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه » رواه احمد وابن ماجه والحاكم .

والأمر لا يقتصر على عدم الطاعة فحسب بل تجب مقاومته وتقويمه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه الأربعة

واحمد ومسلم

ومسؤولية الحاكم في الاسلام مسؤوليتان الاولى مسؤولية امام الخالق عز وجل المطلع علي السرائر العليم بالنيات : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة/٧ و ٨ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلكم راع فمسؤول عن رعيته » متفق عليه وقوله عليه الصلاة والسلام « من ولى من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة » رواه احمد والطبراني ويقول « ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته الا حرم الله عليه الجنة » رواه البخاري ومسلم .

والمسؤولية الثانية مسؤولية دنيوية فلكل فرد من أفراد الرعية حق مراقبة الحاكم واسداء النصح له وتقويمه والا عزلته وساءلته ولقد أقر خلفاء المسلمين هذا المبدأ وأرسوا صرحه وشيدوا أركانه فها هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول بعد بيعته « قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن اقواكم عندي الضعيف ، حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي ، حتى أخذ الحق منه » .

وعندما رفضت السيدة فاطمة رضي الله عنها بيعته وقالت له « لأدعون عليك في كل صلاة أصليها » خرج باكيا وقال للناس : يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله وتركتموني وما انا فيه ولا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي » فقال المسلمون إن هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك فقال الصديق رضي الله عنه : والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة » .

ويأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده فيسير على ذلك الدرب وينهج نفس المنهج يقول يوم توليه الخلافة : ـ « إن رأيتم في اعوجاجا فقوموني فيرد عليه احد المسلمين لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بحد السيف فيعقب أمير المؤمنين على ذلك « الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عمر بحد السيف » .

ونراه مرة اخرى يعرض برنامج حكمه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم في خطبة يلقيها ، فيصوره بكل وضوح وظهور واخلاص ويطلب في ذات الوقت النصح والارشاد من أفراد الرعية فيقول « اعلموا أن شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعافا على الظالم والمعتدي والأخذ لضعيف المسلمين من قويهم ، فاتقوا الله وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم » .

ويقول بعد أن ولي أمر المسلمين : « لوددت أني واياكم في سفينة في لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن

استقام اتبعوه وان حنث قتلوه .» فقال له صحبه وما عليك لو قلت « أن يعوج عزلوه » فقال رضي الله عنه « لا ـ القتل انكل لمن بعده » ، ويؤخذ من ذلك انه رضي الله عنه يريد ان ينكل بالحاكم الظالم ليكون عبرة لمن بعده .

وليس للحاكم المسلم أو لأقاربه أو المقربين إليه حق زائد عن غيرهم من المسلمين فهذا ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخصه برد من أبراد يمنية غنمها المسلمون ويخص ابنه عبد الله برداً ، شأنهما شأن أي مسلم آخر ولما كان الثوب الواحد لا يكفي عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقد تبرع له ابنه ببرده ليصنع منهما ثوبا واحدا يكفيه ، ووقف أمير المؤمنين يخطب الناس وعليه ثوب جديد فقال أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فوقف سلمان الفارسي وقال لا سمع لك ولا طاعة علينا فقال له عمر ولم ؟ فقال له سلمان من أين لك بهذا الثوب وقد نالك برد واحد وانت رجل طويل ، فقال عمر يا عبد الله بن عمر ناشدتك الله ، البرد الذي أئتزر به أهو لك ؟ قال عبد الله نعم فقال سلمان الآن مر نسمع ونطيع .

وجاءت غنائم الى عمر رضي الله عنه وكان فيها طيب فأرادت زوجته ان تقسم الطيب على النساء فقال عمر رضي الله عنه لزوجته أخاف وانت تقسمين عليهن أن ترفعي يدك إلى أنفك وفيها بقية فيحاسبني الله عليها يوم القيامة .

وها هو عمر ايضا يقسم في عام الرمادة أن لا يذوق سمنا ولا لحما ولا عسلا ولا لبنا وعندما أراد بعض الناس صرفه رفض قائلا : **كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسني ما مسهم** بئس الوالي أنا اذا شبعت وجاع الناس .

ويروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يقسم تفاحا من فيء المسلمين ، فجاء ابن له صغير وتناول تفاحة فانتزعها عمر منه فسعى الطفل إلى أمه باكيا فأرسلت الى السوق واشترت منه تفاحا فلما رجع عمر الى المنزل ووجد ريح التفاح سأل زوجته هل أتيت شيئا من هذا الفيء ؟ قالت لا ، اشتريته من السوق ، وقصت عليه القصة ، فقال رحمه الله ، والله انتزعتها منه ولكأني انتزعتها من قلبي ، لكني كرهت أن أضيع نفسي من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين .

وقال ذات يوم سخنوا لي ماء أغتسل به للجمعة فقيل له انه لا يوجد حطب ثم ذهبوا بوعاء الماء إلى مطبخ المسلمين ، وجاءوا به يغلي ويفور فسألهم كيف أمكنهم ذلك رغم عدم وجود حطب ، وهل استعملوا مطبخ المسلمين ؟ قالوا نعم فاستدعى القائم على المطبخ ، الذي أكد له أنه لم يوقد عليه وانما وضعه على جمر لو تركه لأصبح رمادا فسأله عمر بن عبد العزيز عن ثمن الحطب الذي كان قد أوقد النار وأدى ثمنه له .

هذا هو وضع الحاكم في الاسلام **لا يستحل من مال المسلمين مليما ولا يعمل على استغلال مركزه في جلب**

كسب أو منفعة

ومهمة الحاكم الاسلامي لا تقتصر على حماية أمن المسلمين ورعايتهم وصون مصالحهم فحسب ، وانما هو يحمي الفضيلة أيضا ويحرس الايمان في قلوب المسلمين ولن يتأتى له حراسة الايمان إلا إذا كان قلبه مفعما به لأنه كما يقال وبحق صلاح الرعية من صلاح الراعي .

وان حرص الحاكم المسلم على مصالح المسلمين وتقدير تبعة الحكم ومسؤولياته يدفع ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب الى القول والله لو أن بغلة عثرت بأرض العراق لسئلت عنها يوم القيامة ، لماذا لم تمهد لها الطريق يا عمر وهذا القول ليس إلا تطبيقا من أمير المؤمنين لروح الاسلام الذي لا يعتبر الحكم وظيفة أو استعلاء وإنما يعتبره خدمة وتكليفا ، وقد حرم الاسلام على الحاكم أن يعمل على زيادة دخله ، فقد أحصى عمر بن الخطاب أموال أبي عبيدة بن الجراح عندما ولاه الشام ، وحذره أن ما زاد منها فهو لبيت المال ، وأجرى عليه وعلى أسرته نفقة كباقي المسلمين .

وإذا أخطأ الحاكم في حق أحد أفراد الرعية واعتدى عليه ، نال جزاءه المقرر لذلك شأنه في ذلك شأن غيره من الافراد ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ظهر المؤمن حمي إلا في حد أو حق » رواه البخاري ولأن الاستقرار والأمن لا يكون بالسوط أو السيف ، وإنما يكون بالعدل والحق ولبسطه بين افراد الرعية ، كما قرر عمر بن عبد العزيز في خطابه ردا على الجراح بن عبد الله واليه على خراسان ، والذي كان قد كتب له قائلا : إن أهل خراسان ساءت رعيتهم ولا يصلحهم الا السيف والسوط فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك . ومن بين ما رد عليه أمير المؤمنين : « يا ابن الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم .. الخ لا تقربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا في حق واحذر القصاص » .

واذا خالف الحاكم ذلك واعتدى على احد رعاياه كان القصاص منه وإن في قصة الذمى الذي ضربه ابن عمرو بن العاص لأكبر مثل على ذلك اذ مكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا الذمي من ابن عمرو بن العاص وقال لعمرو « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا .. » .

ويروى أيضا أن رجلا شكا أبا موسى الأشعري لأنه أعطاه جزءا من سهمه وأصر الرجل على اخذه كله فضربه ابو موسى وحلق شعره فشكا الى عمر بن الخطاب الذي كتب الى ابى موسى الأشعري قائلا : « ان كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس فدعه يقتص منك في خلاء منهم فلما عاد الجندي الشاكي بكتاب أمير المسلمين رجاه الناس أن يعفو عن أبي موسى فأقسم أن لا يدعه فامتثل الحاكم المسلم وقعد يقتص منه الشاكي فرفع الشاكي رأسه الى السماء وقال اللهم قد عفوت .

٥ ـ النظام : ـ جاء الاسلام لبناء المجتمع الفاضل فكان طبيعيا أن يكون من أسسه ومبادئه عدم ترك الناس فوضى دون قيادة تسوس أمرهم وترعى مصالحهم وتحمي كيانهم وعقيدتهم .

وقد نهى الاسلام عن الفوضى والفرقة والاختلافات فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من رأيتموه يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميع فاقتلوه » رواه احمد .

٦ ـ كفالة الاسلام للحقوق والحريات : ـ كفل نظام الحكم في الاسلام للأفراد كافة حقوقهم وحرياتهم من حرية فكر وعقيدة وحرية رأي وحرمة مسكن فيقول عز وجل : (**لا إكراه في الدين**) ويقول : (**لكم دينكم ولي دين**) ويقول وهو احكم القائلين : (**فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) ويقول الرسول عليه افضل الصلاة والسلام « افضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر » رواه احمد والنسائي وليس هذا الحديث إلا حضا للمحكوم على إعلان رأيه ، غير أن حرية الرأي في الاسلام لا تعني نشر الأهواء والضلالة والبدع أو الشرك أو الكفر ولا الخوض في أعراض الناس أو إذاعة أسرارهم ولا تعني المجادلة وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ـ

« ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل » رواه احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم .

وخلاصة القول ان الحرية في الاسلام تقوم على إطلاق الحرية للفرد في كل شيء ما لم تتعارض أو تصطدم بالدين أو بالحق أو بالخير أو بالمصلحة العامة فاذا تعدت تلك الحدود فانها تصبح اعتداء يتعين وقفه وتقييده .

كما كفل الاسلام للافراد حق الأمن على النفس والعرض والمال ومن ثم كانت التشريعات من حدود وقصاص وتعزير .

وكفل الاسلام ايضا حرمة السكن فيقول عز وجل : (**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**) النور/٢٧ فهذه الآية الكريمة تعني عدم انتهاك حرمة البيوت بدخولها بغير اذن ويتساوى في عدم الدخول الحاكم أو غيره .

منع الاسلام أيضا التجسس على المسكن وفي سبيل حماية حرمة المسكن من التجسس أهدر دية المعتدي عليه ومنع القصاص من المدافع عنه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم ان يفقأوا عينه » رواه احمد ومسلم والبخاري وابو داود إلا انه قال« ففقأوا عينه فقد هدرت » .

هذه هي أحكام الاسلام في هذا الفرع من أفرع القانون والمسمى بالقانون الدستوري ولو تولتها يد الصياغة لاستطاعت أن تخرج لنا من الأحكام الدستورية ما يعجز الفكري البشري عن الوصول اليه .

مائدة القارئ

رواة الحديث

قال الامام أحمد بن حنبل : ستة من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم أكثروا الرواية عنه وعمروا : أبو هريرة ، وابن عمر ، وعائشة ، وجابر ابن عبدالله ، وابن عباس ، وأنس . رضي الله عن الجميع

رضاء .. وكره

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرضي لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا : فيرضي لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا .

ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » .

رواه مسلم

الناس والدعوة

قال تعالى مخاطبا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **فتوكل على الله انك على الحق المبين . انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ، وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** » . الأيات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ من سورة النمل .

عز الطاعة

من أراد الغنى بلا مال ، والعز بلا عشيرة ، والطاعة بلا سلطان ، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته سبحانه ، فانه واجد ذلك كله .

الزاهدون .. والراغبون

سمع أحد الزهاد شخصا يقول : أين الزاهدون في الدنيا ، الراغبون في الآخرة ؟
فقال الزاهد : ياهذا ، إقلب كلامك ، وضع يدك على من شئت .

ملذات الدنيا

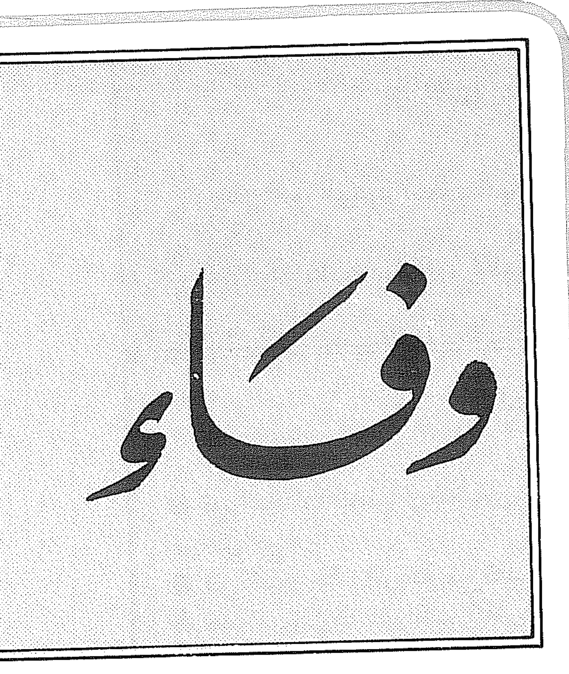
● تبدأ ملذات الدنيا في الظهور عند الصبي برغبته في اللعب ، فهو أحب إليه من كل شيء .
● ثم تتطور هذه الرغبة مع تقدم سن الصبي إلى حب اللهو ، ولبس الثياب الفخمة ، وركوب المراكب الفارهة .
● ثم تتطور هذه المتعة إلى لذة الزينة من النساء ، والبناء ، والخدم .
● ويمضي الانسان مع الحياة تتجاذبه الرغبات الفانية حتى يظن أن المجد في الجاه والرياسة ، والتكاثر من المال ، والتفاخر بالأعوان والأتباع والأولاد ..
● وإذا ما لاحت النذر ، ورأى بعين البصيرة أن كل ذلك زائل لا محالة . عرف أن الخير كله في العطاء لله ، والعمل وفق أمره ، والسعادة كلها في التزحزح عن النار ودخول الجنة .

إلى هذا يشير قوله تعالى : « **اعلمو أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » ٢٠ ، ٢١ من سورة الحديد .

الكذاب واللص

الكذاب شر من اللص : لأن اللص يسرق مالك ، وهذا يسرق عقلك .





قضى طيطوس وهدريان من قواد الرومان على ثورة اليهود في الامبراطورية الرومانية ففر بعض منهم إلى الجزيرة العربية طلبا للنجاة ، ونزلت طوائف منهم في قرى شمال الحجاز وبنوا لهم بعض الحصون التي أقاموا فيها ، وكان عملهم هو الزراعة وبعض الصناعات وصياغة الذهب على الخصوص ، وكشأن العربي دائما ، وبما فطر عليه من كرم ، قبلهم في مجتمعه العربي ، وأثرى بعضهم ، وصارت لهم أعمال وتجارة وأموال كثيرة .

وكان من الطبيعي أن يتأثروا بالبيئة العربية ، وأن يظهر منهم بعض الشعراء في العصر الجاهلي ، ولعل من أشهر الأسماء التي ترددت : السموأل بن عادياء ، ويذهب بعض الدراسين إلى أنه كان عربيا محضا ، إلا أنه دان باليهودية وآخرون يقولون إن أمه كانت من غسان ، اما أبوه فكان يهوديا .

وكان السموأل يسكن حصنه وكان له فيه قصر يسمى القصر الأبلق ، وكان قد أثرى من الزراعة وأراد امرؤ القيس الرحلة إلى قيصر للاستنجاد به في القضاء على خصومه واسترداد ملك بني كندة من بني حجر ابن عمرو الذي تعاون المناذرة وبنو أسد على القضاء عليه والأخذ بثأر أبيه (حجر) الكندي .

وكان (حجر) سيدا مطاعا في قومه وملكا مبجلا . وكان يلي على أسد وغطفان ، فخرجوا عليه ، ونبذوا طاعته ، ورفضوا دفع الاتاوة إليه



بتحريض ملوك المناذرة. فحاربهم (حجر) وأخضعهم، وأباح أموالهم، وحبس أشرافهم، فحقدوا عليه، واغتنموا فرصة فقتلوه.

وحاربهم امرؤ القيس بن حجر، وحاربوه ولما لم تعد له بهم طاقة عزم على الاستنجاد بملك الغساسنة الحارث الغساني (٥٧٩ - ٦٢٩م) ليعينه هو، أو قيصر ملك الروم، على تقليم أظافر الملك عمرو بن هند المنذر الثالث (٥٥٤ - ٦٦٩م) ملك الحيرة الذي وقع كل شيء بتحريضه، والذي قتل من أشراف بني كندة ثمانية وأربعين، قتلهم جميعا في ديار بني مرين، وقال امرؤ القيس في مصرعهم.

ملوك من بني حجر بن عمرو
يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا
ولكن في ديار بني مرينا

ولم يجد امرؤ القيس صديقا له إلا السموأل، فذهب إليه، وكتب السموأل له كتابا إلى الحارث الغساني، يطلب إليه فيه أن يتوسط لامرىء القيس عند قيصر الروم ليساعده على الانتقام من قتلة أبيه، وبخاصة لأن ملوك الحيرة، وهم عمال الفرس، أعداء قيصر، وقد ساعدوهم. وأودع امرؤ القيس السموأل دروعه وسلاحه وذهب مع صديقه عمرو بن قميئة إلى الملك الحارث الغساني بكتاب السموأل.

ويبدو أن الملك الحارث الغساني كان يتخذ من السموأل جاسوسا له

على العرب الشماليين ، لذلك بادر الحارث فقبل كتاب السموأل ، ووصى قيصرا ملك الروم بامرىء القيس ، وسار امرؤ القيس يقصد قيصرا، ولكنه انتابه المرض ، وقال وهو سائر في الطريق :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وصاحبه هو عمرو بن قميئة الشاعر الفارسي .

ومات امرؤ القيس في الطريق عند أنقرة ، والروايات هنا تختلف اختلافا كثيرا ، ولا داعي للأفاضة في عرضها وتحليلها .

إلا ان الذي يعنينا أن خصوم امرىء القيس طالبوا السموأل بدروع وسلاح غريمهم فأبى ، وقتلوا ابنه من أجل ذلك ، فقيل : أوفي من السموأل . كما تذكر بعض الروايات .

وهنا لابد لنا من وقوف طويل عند هذه الناحية :

ونقول أخيرا : لماذا قصد امرؤ القيس السموأل وحده ؟

١ ـ كان في كندة بعض اليهود ، وكانت لهم صلة بيهود شمالي الحجاز وكانوا على صلة بالسموأل .

٢ ـ كان السموأل عينا للملك الحارث الغساني على العرب الشماليين .

٣ ـ استمال السموأل امرأ القيس ودعاه ليذهب إلى الملك الحارث . ليظهر أمام ملك الغساسنة بأنه يؤدي واجبه نحوهم بعناية ومزيد من الحرص .

٤ ـ من عادة اليهود استغلال الحوادث لكسب مغانم شخصية على حساب الآخرين .

٥ ـ مقاومة المناذرة والنفوذ الفارسي في تيماء أو قريبا منها انتصارا لقيصر الروم ولنفوذ الغساسنة في الجزيرة العربية .

إن اليهودي لا يعرف القيم الاخلاقية ولا يعبأ إلا بالمال وحده ، وبمصالحه الشخصية دون سواها .

وحقيقة الأمر أن الملك الحارث الغساني كان يتخذ جواسيس له في كل مكان من شمال الجزيرة العربية ، يبلغون كل ما يدور فيها ، وكان يبسط نفوذه على هؤلاء العمال ، ولما علم الحارث بامرىء القيس طلب من السموأل أن يبعث إلى امرىء القيس بحثه على الرحلة إليه لمساعدته في طلب ملكه ، واسترداد دولة آبائه .

وبسبب ذلك ذهب امرؤ القيس إلى السموأل وحده ، ورهنه أدرعه وسلاحه ، ورحل إلى الملك الحارث الغساني .

ولما كان تسليم السموأل لأمانات امرىء القيس مما يغضب الملك الحارث الغساني عليه فقد أبى ، وعرض ابنه للقتل ، اعتزازا برضاء الملك الغساني عليه ، وخوفا من غضبه ، وليظهر نفسه أمام الملك بأنه قادر على أن يؤدي مهمته من أجل الغساسنة .. ومن أجل تحقيق رغباتهم ومطامعهم وتوسيع نفوذهم ونفوذ قيصر معهم في الجزيرة

العربية .

وهنا يجيء الخلق اليهودي ليستغل هذه الحادثة استغلالا كبيرا للتحكيم لأغراضهم في المجتمع العربي الجاهلي .

فقد جعلت هذه الحادثة وفاء ، وصورت على أنها مثل من أمثلة الوفاء ، وضرب بها وبالسموأل المثل ، فقيل : أوفى من السموأل .

ولم يقتصر الاستغلال اليهودي على ذلك ، بل لقد صنع اليهود القصيدة المنسوبة إلى السموأل صنعا ونحلوها عليه انتحالا ، ومجدوا فيها شخصية السموأل ونفوذ قومه تمجيدا كبيرا ، ثم أذاعوها في كل مكان ، ونشروها في كل ناحية ، ورددوها في كل مجلس ، وأنشدوها في كل جيل .. ودونوها في كل كتاب ، وذكروا معه القصة التي صنعوا حواشيها ، وأفاضوا في جوانبها ، وأطنبوا في سردها إطنابا شديدا .

ثم روى اليهود هذه القصة ومعها القصيدة في كل عصر ، وترجموها إلى كل لغة ، تمجيدا لليهود والعنصر اليهودي ، واستغلالا لها عند الجماهير وعامة الناس .

وإذا كان السموأل شاعرا ، فقد كان ابنه الغريض بن السموأل ، وحفيداه شعبة بن الغريض ، وسعيد بن الغريض شعراء ، وليس هناك ما يمنع من أن تكون القصيدة من صنع هؤلاء وانتحالهم .

ولكن المهم أن القصيدة أضيف إليها أبيات على مر العصور والأجيال ، ورويت بروايات تختلف طولا وقصرا على مرور الأزمان ، ثم سجلها اليهود في ديوان صنعوه للسموأل .

وليس هناك أبلغ في ذلك مما قاله « بروكلمان » في ديوان السموأل : « ربما كان الأرقام (الصفحات) ١ - ٦ بقايا أصيلة من شعره ، وأضيفت إليها أشعار لشعراء اليهود المتأخرين » .

ويقول بروكلمان كذلك « إن المستشرق « هرفبرج » أثبت أن القصيدة رقم (٧) هي لأحد اليهود في المدينة » .

ويقول في قصيدة السموأل أيضا المسماة بقصيدة الحماسة : « الصحيح أن هذه القصيدة لعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي » .

ونحن نعلم كذلك ان اليهود قد انتحلوا شعرا لاثبات سابقتهم في الجاهلية ، وأفضليتهم ومجدهم فيها على لسان شعرائهم ، بل وضعوا كذلك شعرا كثيرا أضافوه إلى شعر الشعراء العرب الجاهليين ، ودسوه في دواوينهم .

ومما عاون على ذلك طيبة قلوب العرب وتسامحهم ، وحسن ثقتهم في الناس ، وأن خلقهم كان يمنعهم من سوء الظن بأحد .

وبعد فماذا في هذه القصيدة ؟

لا شيء إلا الفخر ، والاعتزاز بالأصل ، والتمجيد للنفس ، وإحاطة العنصر اليهودي بهالة من التقديس والاكبار .

إن من شأن العربي أنه يكره الحديث عن النفس ، فاذا تحدث عنها مفتخـرا لم يقل شيئـا بعيدا عن الواقع ، بذلك كانت (حالة) التمجيد التي تحتوي عليها القصيدة أمرا غريبا على الخلق العربي ، مما يدل على أنها مصنوعة ولا ريب لأغراض عنصرية خاصة .

لذلك كانت هذه اللامية الحماسية السموألية :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكـل رداء يـرتـديـه جميـل

بمثابة إعلان إعلامي مقصود ، صنعـه اليهـود واستغلـوه أحسن استغلال على طول عصور التاريخ ، وهم في ذلك جد بارعين ، وهذه عادتهم على مر العصور والأجيال إلى اليوم .

ولا بأس أن أذكر أخيـرا هذه القصة السموألية ، المصطنعة التي استغلها اليهود ودسوها في تراثنا العربي القديم دسا :

ويمكـن الـرجـوع إليهـا في : المستظرف ، والغرر ، وبلوغ الأرب ، وغيرها .

قيل : لما أراد امرؤ القيس المضي إلى قيصر ملـك الروم أودع عنـد السموأل دروعا وسلاحا وأمتعـة ، فأرسل خصوم امرىء القيس يطلبون هذه الأمانات المودعة عند السموأل ، فقال السموأل :

لا أدفعهـا إلا إلى مستحقها ، فعـاودوه فأبى ، وقـال : لا أغدر بذمتي ، ولا أخون أمانتي ، ولا أترك الوفاء والواجب علي .

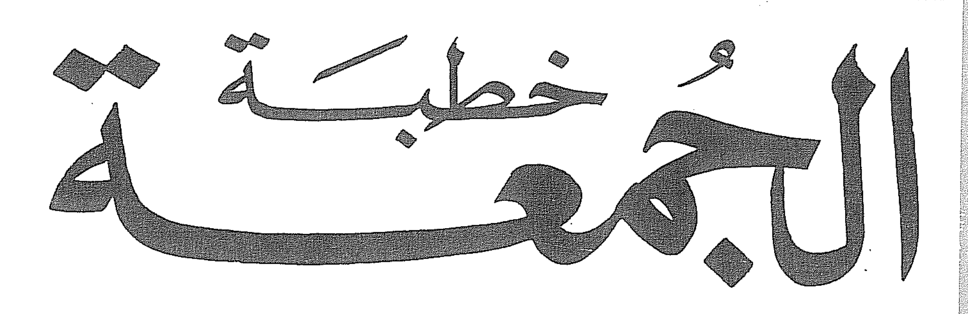
فقصدوه بعسكر ، فدخل السموأل في حصنه وامتنع به ، فحاصروه .. وكان ولد السموأل خارج الحصن ، فظفروا به ، وأخذوه أسيرا .. وقالوا له : إن سلمت الدروع والسلاح رحلنا عنـك ، وسلمنا إليـك ولدك ، وإن امتنعت من ذلك ذبحنا ولدك ، وأنت تنظر ، فاختر أيهما شئت .

فقال السموأل : ما كنت لاخفر ذمامي ، وأبطل وفائي ، فاصنعوا ما شئتم ، فذبحوا ولده وهو ينظر .. ثم لما عجزوا عن الحصن رجعوا خائبين ، وأحتسب السمـوأل ولده ، وصبـر محافظة على وفائه ، فلما جاء الموسم حضر ورثة امرىء القيس ، فسلم إليهم أماناتهم ورأى حفظ ذمامه ، ورعاية وفائه ، أحب إليه من حياة ولده وبقائه ، وقال في ذلك :

وفيت بأدرع الكندي إني
إذا ما خان أقوام وفيت

ترى كم من حادثة أروع وأمجد من هذه الحادثة ، نسيها تاريخنا الأدبي والعربي القديم .

إلا أن اليهود لم ينسوا السموأل فمجدوه هذا التمجيد ، وأشادوا به تلك الاشادة ، وصنعوا له ما صنعوا ، وكم صنعوا على طول عصور التاريخ من دعـايـات لهم ولقـومهم وبني جنسهم ، وبعد : فان تاريخنا الأدبي جدير بـه أن يقف موقف النـاقد الأمين ، والباحث الذكي .. وجدير به أن يعي الدرس الذي قام به اليهود بمهارة وحذق ، وأن يتدبر أمر تلك الأسطورة التي سارت مع الأيام .



خطبة الجمعة

للاستاذ / ابراهيم النعمة

تسعى الجماهير المسلمة الى مساجد الله كل يوم جمعة ممتثلة امر ربها (**يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) الجمعة/٩ والمسلم ملزم في سعيه لاداء صلاة الجمعة ، ليس له الخيار في ذلك ، لان الآمر بذلك هو الله ـ جل جلاله ـ والخطبة التي تكون بين يدي الصلاة انما هي ميزة الجمعة عن بقية الاوقات .

ان خطب الجمعة تتفتح لها قلوب الناس ، ويشعر المسلم بكل الغبطة والسرور حين يسمع التوجيهات الهادفة التي تسمو بهم عن الارض وتخلصهم من مشكلاتها ومتاعبها ، وتصلهم بالافق الاعلى فتزكو نفوسهم ، وتشرق ارواحهم فتحلق في اجواء عالية .. فما اطيب تلك اللحظات التي يجلس فيها المسلم في المسجد بسكينة ووقار ، وخشوع ونظام ، وهو يستمع الى ايات الله واحاديث رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تتلى وتشرح ، ويستمع الى العظات والعبر ، والتذكير والتعليم ، والترغيب والترهيب ، والامر والنهي .. ثم يقف الجميع في صف واحد متوجهين الى قبلة واحدة ، ومؤتمين بامام واحد ، لغاية واحدة هي التقرب الى الله ـ عز وجل .

هذه المناسبة الاسلامية التي تتكرر كل اسبوع مرة واحدة ، يستطيع خطيب الجمعة ان يحسن

الافادة منها ، فيبني بها النفوس وينور العقول ، ويثبت بها الايمان ، ثم يوجه الناس توجيها هادفا يؤتي ثمرته المرجوة باذن الله !

ان هذا الاثر العظيم الكبير الذي يتركه هذا الاجتماع الاسبوعي في نفوس المسلمين اذا احسن خطباء الجوامع القيام بواجبهم الذي شرعت فريضة الجمعة من اجله قد لمسه اعداء الاسلام ، وتبين لهم اهميته وخطورته فكتب احد المبشرين تقريرا عن اخفاق حركته التبشيرية في البلاد الاسلامية فكان مما قاله في تقريره :

« سيظل الاسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي مادام للاسلام هذه الدعائم الاربع : القرآن ، والازهر ، واجتماع الجمعة الاسبوعي ، ومؤتمر الحج السنوي » .

ان استفادة الناس من الخطيب امر ذو بال لا يستهان به ، اذ يتحتم على ذلك الخطيب ان يعد نفسه اعدادا خاصا حين يقوم بالقاء خطبة الجمعة ، ومن هذا الاعداد :

١ ـ وحدة الموضوع :

اذا كانت الخطبة في موضوع واحد تمكن الخطيب ان يعرض موضوعه عرضا جيدا مقنعا يرسخ في ذهن السامع . اما الخطبة التي تتناول مواضيع متعددة ، فان السامع يخرج منها مشوش الفكرة تتصارع في ذهنه نتف مقتضبة من هنا وهناك . وفي هذا ـ ايضا ـ تحميل للخطبة ما لا تطيق ...!

نعم قد يستأنس قسم من الناس حين يستمعون الى طرائف كثيرة في مواضيع كثيرة في الخطبة الواحدة ، لكن ذلك الاسلوب لا يؤتي ثمرته المرجوة ، حيث يخرج المستمع صفر اليدين من تلك الخطبة .

٢ ـ عرض الموضوع :

ان عرض الموضوع باسلوب سلس ، وعبارات بينة وكلمات واضحة الدلالة بينة المقصد يجعل المستمع ينشد الى سماعها والاهتمام بها . وهذا هو الاسلوب البليغ الرصين . يقول ابو هلال العسكري :

« وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، ويستفصحونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ، ولم يعلموا ان السهل امنع جانبا ، واعز مطلبا ، وهو احسن موقعا واعذب مسمعا » .

وفوق ذلك فان وجود عنصر التشويق فيها ، وصيغة الالقاء التي لا تكون على وتيرة واحدة مع اعطاء الجمل حقها في الكلام من الاستفهام والتعجب ورفع الصوت وخفضه

والتحمس عند الضرورة .. كل ذلك يؤدي الى استيعاب الناس للخطبة .

على ان الخطبة التي تؤثر في الناس وتترك اثارا بعيدة المدى هي الخطبة التي تصل المسلم بقرآنه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وتنعش قلبه بمعانيها . وقد تناول القرآن والسنة جميع جوانب الحياة ، لكن الاستشهاد بالسنة لا يكون الا بالاحاديث الصحيحة والحسنة ، اما الاحاديث الموضوعة فلا يحل له ان يروي شيئا منها !

٣ - تسلسل الموضوع :

كل خطبة تتالف من عناصر - قليلة او كثيرة - وهذه العناصر ينبغي ان تتسلسل تسلسلا منطقيا مقبولا كتسلسل درج السلم ، حتى اذا انتهى الخطيب من خطبته يكون المصلون قد ادركوا الهدف الذي يرمي اليه الخطيب .

٤ - قوةالحجة ووضوح البرهان

وهو امر ضروري جدا ليقتنع بها السامع ، وليوصد باب الباطل امام اصحابه ، والقرآن الحكيم مليء بتلك الامثلة :

(ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير) سورة فصلت / ٣٩

٥ - تشخيص الداء ووصف الدواء :

على الخطيب ان يشخص الداء تشخيصا دقيقا ثم يصف الدواء بعد دراسته بدقة ، مستشهدا بآيات القرآن واحاديث الرسول وشهادة الواقع ، ويعمل على اقناع المصلين باهمية هذا الدواء ونجاحه !

٦ - الابتكار والتجديد :

ان الخطبة الناجحة المفيدة هي التي يكون فيها افكار ومعان جديدة ، وان لا يقتصر الخطيب على اعادة ما يقرأه فقط من غير ان يمحص ذلك تمحيصا علميا دقيقا ، ذلك ان كثيرا ممن يرتادون بيوت الله قد تثقفوا ثقافة اسلامية جيدة ، فهم يقرأون ويتابعون ما يستجد من بحوث تتعلق بالاسلام ، فاذا لم يتابع الخطيب مطالعته فانه لا يؤدي رسالته على الوجه الاكمل ، لان بناءه لم يكتمل حين ترك هذه الثغرة !

على ان الخطيب الناجح - فوق ذلك - لا يخاطب عقول الناس فقط ، بل ينفذ الى عواطفهم . وهذاالمزج بين الفكر والعاطفة اكثر جدوى وابعد فائدة من مخاطبة العقل فقط ، او الهاب العواطف وحدها !

٧ - الواقعية في الخطبة :

وذلك بان تنسجم الخطبة مع

الواقع الذي يعايشه الناس وذلك بالحديث في امراض المجتمع وعلله ، او ما يستجد من اعمال خيرة ، فيتكلم الخطيب في حادثة من حوادث الاسبوع المهمة ، مبينا حسنها او قبحها ، ولماذا وقعت ، وما موقف الاسلام منها ، مقارنا بينها وبين غيرها من الحوادث التي تتصل بها بنسب اوصلة . ولا يكتفي بذلك ، بل يقدم الحلول الاسلامية الصحيحة التي تعالج مشكلات الناس . اما اذا كان الخطيب في واد واحداث الناس والزمان والمكان في واد اخر . فعلى الخطبة وعلى صاحبها السلام !

على ان الخطيب الناجح ـ فوق ذلك ـ يتحسس ما يعانيه الشاب والشابة والشيخ من ازمات فيقدم الحل الصحيح لها ويبصرهم ـ ايضا ـ بالغزو الفكري الذي اندس في اذهان كثير من الشباب ، فزعزع فيهم العقيدة ، وشوه الفكر الاسلامي الصافي ، واثرت فيهم المادية حتى احتلت من تفكيرهم المكان الاول .

٨ ـ الحكمة في الخطبة :

وذلك بان يتحرى الخطيب الطريقة المناسبة التي يسدي نصحه وارشاده من خلالها مراعيا ظروف الناس واحوالهم فان لكل مقام مقالا . وعليه ان يقدمها بصورة جميلة مشرقة ، لا تعنيف فيها ولا تجريح . وقد دعانا القرآن الحكيم الى ان نقول للناس حسنا . وهذا احد الوعاظ يدخل على هارون الرشيد ويغلظ له القول فيرد عليه الرشيد قائلا ما هكذا تكون الموعظة ان الله بعث موسى الذي هو خير منك الى فرعون الذي هو شر منى فقال له ولاخيه : (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى**) طه / ٤٤ وينبغي ان تكون سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه خير اسوة وقدوة لنا !!

٩ ـ تنوع الخطبة :

وذلك بان لا يقتصر الخطيب على مواضيع محددة ، بل ينوع فيها ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وخلفاؤه والصحابة من بعده قد خطبوا في مواضيع متنوعة : فخطبوا في العقيدة والتشريع والحلال والحرام والجهاد ومكارم الاخلاق والاجتماع والاقتصاد ..

١٠ ـ البعد عن القضايا الخلافية :

من الضروري جدا ان تكون الخطبة بعيدة عن القضايا التي اختلف فيها الفقهاء ، ذلك ان ترجيح راي على راي في خطبة الجمعة قد يثير جدلا لا خير فيه ولا فائدة بين المصلين انفسهم . وقد يصل الامر بقسم منهم الى التشاجر والمقاطعة . وما احوج المسلمين خاصة في هذا العصر الى جمع الشتات ورأب الصدع ، وجمعهم على كلمة واحدة .

ان مجال القول في الشريعة

الاسلامية التي هي محل اتفاق بين علمائنا واسع كبير ، فلنبتعد عن القضايا التي توغر الصدور ويكون شرها اكثر من خيرها ، وضرها اكبر من نفعها !

ان اكبر عمل واعظمه فائدة يستطيع الخطيب ان يقوم به فيقدم النفع كله للمسلمين ان يصون الجبهة الداخلية من التصدع والتفكك .. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يخشى على امته من شيء خشيته ان يدب الشقاق بين المسلمين ، فيكون بأسهم بينهم !

١١ ـ التكرار في الخطب :

هناك مناسبات اسلامية تتكرر كل عام كمناسبة المولد النبوي الشريف والهجرة والاسراء والمعراج .. ولا بد ان يتكرر الحديث في هذه المناسبات كل عام وتكرار الخطب في هذه المناسبات شيء جميل لا باس به ولا غبار عليه ، ولكن المآخذ تنشأ حين يعمد الخطيب الى اعادة الخطبة التي القاها في سنة ماضية بتلك المناسبة من غير ان يغير او يبدل فيها اي شيء كان !

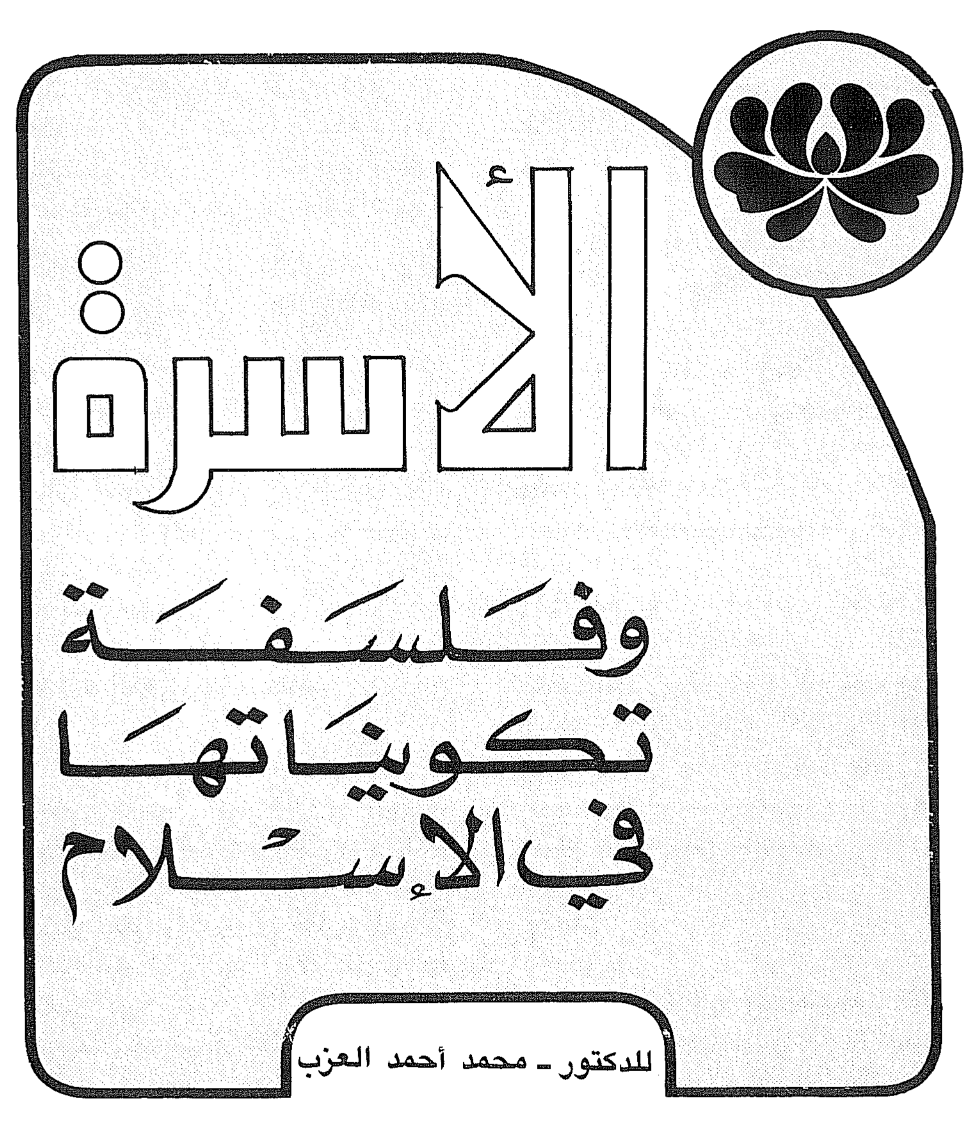
نعم ان كل مناسبة من هذه المناسبات لها جوانب كثيرة ، فيستطيع الخطيب ان ياخذ في كل خطبة جانبا من تلك الجوانب ويشبعها درسا وشرحا وايضاحا ، حتى اذا كانت السنة الاخرى تناول جانبا اخر من تلك المناسبة وهلم جرا ، وبذلك يقدم شيئا جديدا في كل خطبة من خطبه !

١٢ ـ تحديد وقت الخطبة :

على الخطيب ان يحدد وقتا مناسبا في خطبته لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، ذلك ان طول الخطبة يبعث على السأم والملل والضجر ، وقصر الخطبة يفوت فائدتها . وخطيب الجمعة رجل حكيم : يضع كل شيء في موضعه المناسب ، فهو الذي يحدد وقت الخطبة ، مراعيا في خطبته ما يقتضيها من ايجاز او اطناب ، فلكل مقام مقال . واذا سلك الخطيب هذا السبيل الحكيم وهذا المقياس الدقيق فقد نجح في مهمته نجاحا جيدا لا تضره معه انتقادات منتقد ، مادام قد انتهج هذا النهج القويم .

وبعد :

فان خطبة الجمعة اصبحت الان فنا يحتاج الى خبرة ودراسة ، واصبح الخطباء في حاجة ملحة الى دراسة ما يحيط بالمجتمع من افكار مادية ، ودعوات الحادية وتبشيرية ، ومذاهب هدامة ، وان يدرك الخطيب مصدرها وماهيتها وما فيها من سقطات وثغرات ، وان يدرس اساليب اعداء الاسلام ويستعملها ضدهم على اسس علمية رصينة مدروسة لا تتعارض وقواعد الاسلام والله يقول الحق ، ومنه الهداية والسداد !



ـ ١ ـ

تنطلق نظرية الاسلام في بناء الأسرة المسلمة من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة .

- مستوى كونها احتمالا لم يتحقق بعد .
- ومستوى كونها فعلا يتحقق الان .
- ومستوى كونها فعلا قد تحقق .
- ومستوى كونها فعلا استقر على قاعدة صلبة او تعرض لرياح القلق والاهتزاز

ـ ٢ ـ

من المنظور الاول : (كون الأسرة

احتمالا لم يتحقق بعد) .. يحرض الاسلام على تخير نوعية المرأة التي ستصير زوجة للرجل ، واما للأبناء ، ومصنعا لتخريج جيل من الشبيبة المسلمة ، ونموذجا لسلوكيات نصف الامةالمسلمة .. وفي هذا الصدد يوجه الاسلام الى ضرورة التريث وضرورة الانتخاب حتى يقوم بناء الاسرة على منطـق الحب وليس عـلى منطـق الصفقة ، ولعل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذه الوضعية الراشدة :

« تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء ، وأنكحـوا اليهم » رواه ابن ماجـة والحاكم « ما استفـاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وإنأقسم عليها ابرته ، وان غاب عنها حفظتـه في نفسها وماله) رواه ابن ماجة .
« الدنيا متاع وخير متاعها المـرأة الصـالحة » رواه مسلم « تـزوجوا الودود الولـود ، فاني مكـاثر بكم الامم » رواه ابو داود . (تنكح المرأة على احدى خصال : لجمالها ومالها وخلقها ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » رواه احمد « اربع من اعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابـر ، وزوجة لا تبغيه حوبا في نفسها ولا ماله » رواه الطبراني والبيهقي .
هذه التوجيهات الراشدة والحاسمة معا ، تفرض بالضرورة على المسلم ان يصحح من منظوره في اختيار شريكة الحياة ، وتضعه امام مرحلة الاختيار في منطقة الوعي بإن المال عرض ، وبان الجمال عارية ، وبان الحسب مقياس ترابي ، وبان الدين وحده هو الاساس الحقيقي الذي يمكن ان تقاس به درجة القبول والرفض لانه هو الاساس الحقيقي الذي يعصم المرأة من ان تصبح شريكة بالمال في حياة تستهدف السكن والحب ودفء العلاقات او شريكة بالانتماء العائلي في حياة عقيدية يمكن ان يضحي المرء في سبيلها بكل الانتماءات اذا تعارضت مـع سمـته العقـائدي او ايمـانه المصيري ويبقى الدين وحده جامعا لا يتعرض للتفتت ، وجامعة لا تتعرض للانفكاك .

ـ ٣ ـ

ومن المنظور الثاني : (كون الاسرة فعلا يتحقق لحظة القبول) يحرض الاسلام على التعرف الكامل من جانب كل من الشريكين على الآخر ، لأن ذلك ادعى الى تمتين اواصر الحب واخلق ببناءالهرم الاجتماعي المسلم الصغير على قاعدة الاستبصار وليس عـلى عشوائية الربط بين النقيضين .. ان من حق الرجل والمرأة على السواء ان يعرف كلاهمـا الآخر ، وان يـرى كلاهما الآخر وان يجلس كلاهما الى الآخر . في حياطة الاسرة ورعـاية المناخ العائلي .. ومن حق الرجـل والمرأة على السواء كذلك ان يرضى كلاهما بالاخر ، وان يوافق كلاهما على

الآخر حتى تبدأ الرحلة الحياتية بكلمة الحب لتنتهي الى حب دائم يظلل مسافات الحياة .. وقد اقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوضعية الصوابية ، في حادثة الفتاة المسلمة التي وفدت على عائشة رضي الله عنها ، تشكو اليها ان اباها زوجها من ابن اخيه ليرفع بها خسيسته .. وحين يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث بمن يستقدم له اباها ويلومه على ما فعل ، ويترك للفتاة حرية القبول والرفض .. فتقول الفتاة (يا رسول الله قد اجزت ما صنع ابي ، ولكن اردت ان اعلم النساء ان ليس للآباء من الامر شيء) .. ليس ذلك فحسب ولكن الاسلام اعطى كلا من الرجل والمرأة على السواء كذلك حق ان تتعادل كفتاهما في هذا اللقاء ، وهو ما عبر عنه المصطلح الاسلامي : بالكفاءة المادية والكفاءة الروحية والكفاءة الفكرية فان ذلك اعون بالضرورة على خلق المناخ الصالح لتبادل الرأي والمشورة وتبادل الحب والنجوى وتبادل البذل والعطاء وليس في هذه النظرة الاسلامية ما يشي بحس طبقي كما يزعم الخابطون ولكنها نظرة موضوعية تضع كل شيء في نصابه الطبيعي حتى لا يفقد اي من الطرفين طبيعة الارض المشتركة التي يقف فيها الى جوار صاحبه يبادله العطف والفكر والكدح وتوجيه امواج الحركة الحياتية في اتجاه شاطىء القرار .. على ان هذه (الكفاءة) محكومة بنظرة كل من الطرفين الى الآخر وسكونه اليه ، ولو كانا من نوعيتي تركيب اجتماعي متفاوت في موازين العرف والمال والاجتماع .

ـ ٤ ـ

ومن المنظور الثالث : (كون الاسرة فعلا قد تحقق بالفعل) يحرض الاسلام على التزام نوعيات محددة من الحقوق والواجبات فللزوج حقوق على زوجته وعليه واجبات حيالها ، وللزوجة حقوق على زوجها وعليها واجبات حياله ، وللوالدين جميعا حقوق على اولادهما وعليهما جميعا واجبات حيال هؤلاء الابناء وللأبناء حقوق على الوالدين وعليهم واجبات حيال هذين الوالدين .. ولحكمة ما لم يترك الاسلام هذه الحقوق وهذه الواجبات سدى استنادا الى وشائج الدم والحب التي تربط بين اولئك وهؤلاء ولكنه حدد الحقوق والواجبات وجسد نوعية العلاقات بين الجميع في ظل الوفاء بهذه الاطر وفي ظل نقضها جميعا .

وان كان الاسلام قد حرص على شيء قبل هذه العلاقات وبعد هذه العلاقات فهو حريص على بر الوالدين حتى في لحظات الانشقاق العقائدي .. صحيح انه حذر الابناء من متابعة الآباء في قضية الشرك بالله ، والكفر بواهب الحياة ولكنه حذرهم كذلك من التخلي عن اب ضل . او ام حادت ويكفي ان لا نطيعهما في قضية الشرك ، ولنصاحبهما بعد ذلك في الدنيا معروفا .. ان الحقوق والواجبات تبدأ ـ في الوجهة الاسلامية ـ من حسن المعاشرة الى كفالة الحق المادي

والحق المعنوي ، الى تبادل الرأي وطرح الاستبداد الى تحديد مناطق النفوذ في البيت الى تأصيل دعائم الصون والاحترام في علاقة كل بكل وبهذا يستحيل البيت المسلم الى جنة خضراء من جهة والى مملكة محروسة التخوم من جهة اخرى .

ـ ٥ ـ

ومن المنظور الرابع : (كون الاسرة فعلا تحقق ثم تعرض بعد للقلق او بداية الاهتزاز) يحرص الاسلام على تحكيم التعقل وتوطين النفس على مصابرة الخلافات .. وقد مرر علاقة الرجل بالمرأة ـ مع بداية الانشقاق في جدار الحب بينهما ـ في مراحل الوعظ الرفيق والهجر اللاذع ، والزجر المستأني . فاذا لم تفلح هذه العلاجات الاولية لجأ الطرفان الى التحكيم فيما بينهما ، حكم من اهله وحكم من اهلها ، وشرط في الحكمين ان يكونا على نية البناء وليس على نية الهدم (**ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما**) النساء / ٣٥ فارادة الاصلاح في الحكمين اولية لازمة بينهما .. فاذا لم تفلح هذه العلاجات كذلك ، فان الاسلام يعطي مساحة زمنية لمراجعة النفس (بعد الطلاق) وبكلمة واحدة او بملامسة مسترجعة ، تعود المياه الى التدفق وتعود الى الشفاه اليابسة بسمة الحب والاخضرار . والا فان بتر الداء في بواكيره اجدى من تركه ليراكم اعطابه في كل اتجاه .

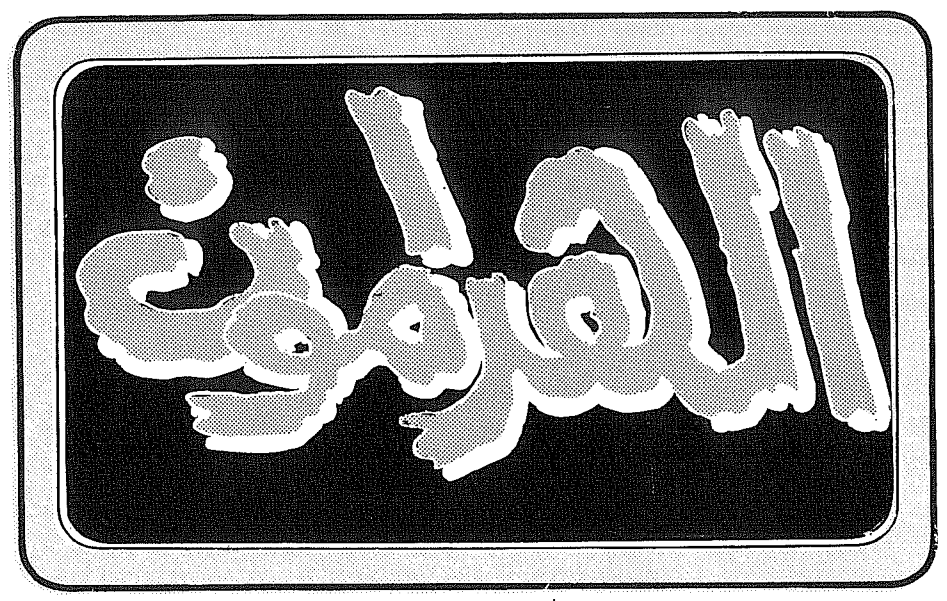
وهكذا .. يلوح .. بلا ادعاء .. ان نظرية الاسلام في بناء الاسرة المسلمة تنطلق من قاعدة اساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة فهو ينظر اليها من مستوى كونها احتمالا لم يتحقق بعد فيحرض على ضرورة الاختيار والانتقاء .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا قد تحقق الآن ، فيحرض على التعرف والرؤية والرضى .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا قد تحقق بالفعل فيحرض على تحديد العلاقة القائمة في رحاب الحق والواجب .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا تحقق ثم تعرض للاهتزاز ، فيحرض على تأجيل كلمة الفصل ومراجعة الذات حتى ينقشع غيم الكراهة الطارئة ويومض في الاعماق فجر الحب والتواصل من جديد .

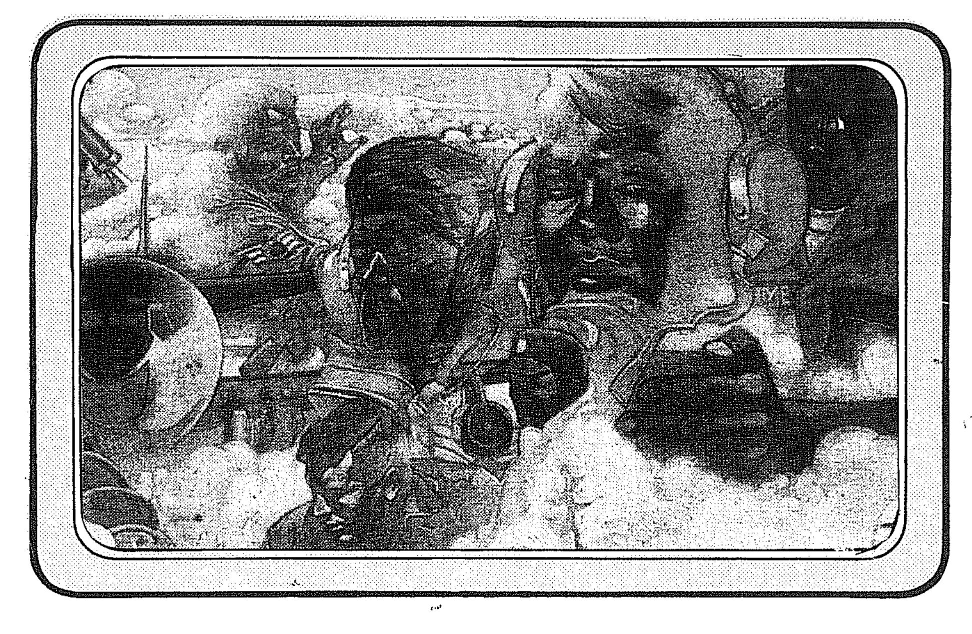
ان هذه النظرية الاسلامية لا تنهض على جانب عاطفي مبتوت الصلة بتعقيل الاشياء والعلاقات .. وهي لا تنهض كذلك على جانب عقلي مبتور الوشائج بتنمية عواطف الحب والرحمة .. ولكنها تنهض على فلسفة يتعانق فيها الجانب العقلي والجانب العاطفي حتى تستطيع ان تحتفظ في لغط الجدل الوجودي لنفسها بقيمة التوازن الراشد وتظل على الدوام عاملة في مجال التحقق الانساني بكل ما ينحني عليه هذا التحقق الانساني من عواطف الخير وخير العواطف وتعقيل كل اولئك في تناغم طبيعي يتواتر على حركة البقاء في انسياب وجودي حميم !!



للدكتور / ابراهيم علي أبو الخشب

شر ما تبتلى به الأمم من الأمراض التي تفتك بها فتكا ذريعا بحول بينها وبين النهوض والتقدم ان تدب في صفوفها الحركات الهدامة التي تقاوم زحفها وتعوق مسيرها . وتقف سدا حائلا دون نواياها الطيبة وأعمالها النبيلة ، واتجاهاتها الرشيدة ، او طموحاتها البناءة ، وتطلعاتها الحميدة ، التي لا بد منها لهؤلاء الذين يريدون أن يحتلوا مكانتهم في السماء مع النجوم والكواكب ، ولا يقف هذا الهدم الذي يقوم به اولئك المخربون عند لون واحد بعينه ، ولا اسلوب خاص ، او نمط بذاته ، وانما يكون منهم هذا الهدم على اشكال متنوعة ، وطرق ملتوية ، وفي وضح النهار ، وظلمة الليل ، وفي الامكنة العامة . او المجتمعات المحدودة ، وفي ساحة الدرس ونوادي الرياضة ، وفي المساجد والكنائس ، والنفوس الخبيثة ، والضمائر المريضة ، والافئدة الميتة ، والقلوب المتحجرة والارواح المولعة بالتقويض ، لا يستعصى عليها أن تنفث سمومها وتنصب شراكها . وتصل الى اغراضها من الدمار والهلاك ، اذا ما سنحت لها فرصة أو اتيحت لها مناسبة ، من غير نظر الى اعتبارات او ملابسات ، وربما كان آخر ما يخطر بالبال من هذه كلهع ، ان يكون ذلك الهدم من طريق الثقافة والفنون والعلوم والمعرفة والتهذيب والتقويم ، او ما شاكل ذلك مما من شأنه ان يكون ترميما واصلاحا ، او طريقا الى النور ، ووسيلة من وسائل الارشاد والهداية .. واذا كان للصوص من





افانين الدهاء والحيلة ، والخداع والمكر والتمويه والتلبيس ، ما يساعدهم على ان يتسللوا الى داخل البيوت في غفلة من اصحابها ليسرقوا ما بها من الذخائر والنفائس دون ان يشعر بهم احد . فان لهؤلاء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وسائلهم التي انفردوا بها والتي برعوا فيها براعة لصوص الخزائن الحديدية ، الذين نقرأ اخبارهم في الصحف والمجلات ، ونقف منها مواقف الغرابة والدهشة ، اذ يجيئون بالكثير من هذه الالوان التي تعتبر بمثابة المعاول في هدم البناء الانساني القوي فلا يلبث بعد فترة من الزمن ان يصبح طللا من الأطلال البالية يثير الأسى والأسف واللوعة والحسرة .. ولقد كنا نقرأ شعر أبي نواس وجحظة البرمكي وابن حجاج وابن مسكرة

واضرابهم ممن خلعوا برقع الحياء واشاعوا الأدب المكشوف ونمر بذلك كله مرور الكرام ، ونحمد الله على انها مخلفات متروكة وكان اقصى ما نصيبه من بطون الكتب القديمة عن قصة عاشق كمجنون ليلى لا يعدو أن يكون حنيننا الى لقاء ، او لهفة الى اجتماع ، او شكوى من صد وإعراض . او وصفا لمجلس ضمهما . لكن لا يصل مثل هذا الشعر منه ولا من غيره الى درجة أن يكون اثارة للغرائز ولا إهاجة للعواطف ولا انحرافا للسلوك ، ولا افسادا للاخلاق ، ولا تحويلاً عن الجادة . ولكننا بعد أن تأدبنا بالادب الغربي وفيه الكثير من المخازي التي لا يبالي اصحابها ان يعترفوا بها للناس . فسدت اذواقنا وانحط إدراكنا وبخاصة حينما عالجنا في الكتابة ما يسمى بالقصة ، وكأنما

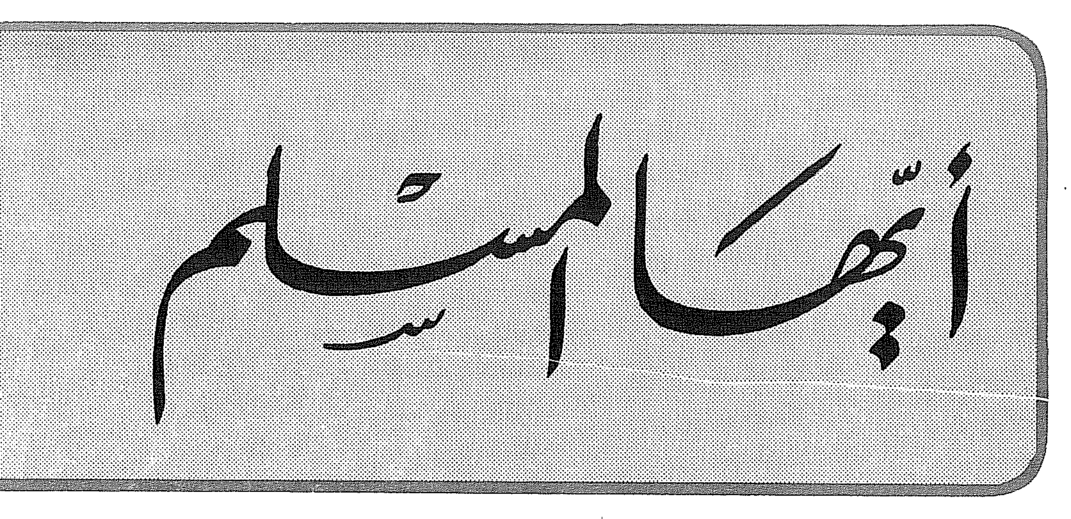
وقرفى نفوسنا أن أدبها يقوم على الجنس ويعتمد على الاثارة ، وينادي بطرح القيم والمعايير ، والقوانين والدساتير ، ولا سيما ما يقف منها في طريق الغريزة ، او يحارب الفساد والانحطاط ، او يحول دون اشباع الميول والرغبات وقد كان الهدف للادب منذ اول يوم ان يكون التزاما بالسنن السوى والسلوك القويم ، والخلق الذي لا ينكره الذوق او يأباه ولم تكن القصة بدعا منه . ولا شيئا خارجا عنه . وهي إنما استقلت بهذا الاسلوب الذي يقوم على افتعال الحوادث او افتراض الاشخاص ، والحوار القائم بين الابطال في بعض الأحايين . أو ما شاكل ذلك مما تبنى عليه للمبالغة في تركيز المعنى ، وتأكيد ثبوته . وحب الناس له واقبالهم عليه . فلما انحرفت عن هذا القصد ، وصار الاقبال عليها . والرغبة فيها . للتسلية وقطع الوقت او دفع السأمة والملل او المتعة الوجدانية ، والاستسلام الى حياة لا يسودها الجد ، ولا يتحكم فيها الصدق والحق . كان لا بد أن يجعلها المشتغلون بها ميدانا للهو الرخيص والاسترخاء العقلي النازل ، ومن هنا كان الادب الهدام ، وكان هؤلاء الهدامون والعياذ بالله ... وحين يكون هذا الادب صادرا عن المرأة ، او جاريا في اسلوبها البياني يكون ذلك نذيرا بالخطر وعنوانا على انه أزفت الأزفة ، التي ليس لها من دون الله كاشفة ، لأن للمرأة من أنوثتها وحيائها ، ما عساه ان يجعلها بمعزل عن هذا فهي لا تجاهر بالمنكر ، ولا تظهر بغير المألوف ، ولا تعلن التواءها عن السنن . اللهم الا اذا كشفت البرقع ، وطرحت الغلالة ، ونضب ماء وجهها .. وقد اتيح لي منذ ايام ان اتناول كتابا صغيرا دبجته براعة انثى من اولئك اللائي اشتهرن في المحيط الأدبي بكتابة القصة فقلت في نفسي وماذا على اذا انا تصفحته وسايرت بعض صفحاته لأرى ماذا تقول أمة الله فيه .. وكان الكتاب كله مجموعة من القصص القصيرة ، تولت طباعته ونشره جريدة يومية أعلنت عنه وهيأت الأذهان لاستقباله . بما لا يزيد عليه من التنويه والاعلان . وفي هذه القصص كلها تحريض على الفجور واغراء بالرذيلة ، ودعوة صارخة الى الخروج عن قوانين الاخلاق ، ولا يكاد القارىء ينتهي من القراءة لواحدة منها ، حتى يجد نفسه ـ رغم أنفه ـ في داخل ماخور للريبة او بيت يدار للدعارة .. وها هي ذي واحدة من تلك القصص بعنوان « السراب » تتلخص في أن صديقتها « نجوى » استسلمت للنوم لا تفيق منه . كأنما أكلت منوما جعلها تعيش في عالم آخر غير عالم الدنيا وقد شكا منها اهل زوجها مر الشكوى ، فذهبت هي اليها لترى ما بها وهالها انها كذلك وحاولت ان توقظها وتبعث فيها النشاط والمرح . الا انها عانت من ذلك معاناة شديدة . ومع ذلك فانها استطاعت ان تدخل الى قلبها من كلمة « سعيد » التي جرت على لسانها .. وقصة نجوى هذه مجملها انها تزوجت من رجل يكبرها في السن وانجبت منه

بنين وبنات ، وكانت معه كما تكون المرأة مع الرجل في بيت الزوجية ترعى الاولاد ، وتلاحظ شئون المنزل ولا ينقصها من السعادة الا انها مع انسان يكبرها . فهي في بيت يأويها ، ومع رجل يضمها واولاد يبادلونها الحنان والعطف ، ولكنها ينغص عليها هذا العيش انه يلوح لها في الافق شبح رجل فيه من نضارة الشباب وجمال الاهاب ، وبهجة الطلعة واقتبال العمر ، وخفة الروح ، ما يلفت الانظار اليه فتثور فيها نزعة الحسرة على أنه لم يكن من نصيبها هي تترامى بين ذراعيه ، وتنام في أحضانه ، وترتبط به كل الارتباط ، ذلك الشبح هو ضابط البحرية « سعيد » أخو زوجها الذي فقد زوجته ونزل في ضيافة أخيه ، ومعه ابنتاه الصغيرتان وكان من الضروري أن ترعاهما كما ترعى أولادها ثم يكون ذلك كله وسيلة تجعلها تشتغل بسعيد ويثور نزوعها اليه والاشتغال به ..

وفي هذه القصة تتحدث الكاتبة عن الزوج فتقول ـ على لسان نجوى زوجته ـ وجاءت الداهية .. كهل .. أصلع قصير .. أقصر مني .. وله كرش ونظارة سميكة ـ محور حياته هو الطاولة .. ورمية المقهى .. واخذتني تلك الداهية ومشت ..

اما حديثها عن هذا الذي لاح في الافق وهو « سعيد » فهو هكذا .. ثم جاء .. جاء .. هبط على فجأة كأنه رحمة السماء استجابت لدعائي الأخرس .. جاء سعيد .. سعيد ... سعيد ... وضمت ذراعيها بعنف على صدرها كأنه بينهما .. سعيد جاء ... جاء ليعيش معنا .. انا وزوجي تحت سقف واحد .. يجلس جنب اخيه .. ويتكلم معه .. يأكلان ويشربان ويضحكان .. ويقفان جنبا الى جنب .. لأقارن انا واكتوي واحترق .. ويوما بعد يوم لمحت في أعماق عينيه حنانا .. حنانا ، عطشانة كنت انا اليه .. حنانا شغل بالي .. أطاش صوابي .. وصار هو يتباطأ .. يتلكأ في حجرة الطعام .. يدخن غليونه في صمت ويتأملني .. ثم تقول نجوى وقف يسد علي الطريق .. ولكن بعطف .. بفهم .. دعوة خرساء حانية .. صعقت .. تسمرت مكاني .. شعرت بالبركان يزأر في أعماقي .. فخطا خطوة واسعة نحوي وأمسك بذراعي العاريتين يضغطهما ليسندني .. ومسح هو على ذراعي بعطف ، وهو يقول ذراعاك بضتان جميلتان .. وعلى عتبة باب حجرتي تركني .. ورحت في غيبوبة رائعة وحلم جميل بديع رأيتني فيه بين ذراعيه وشفتاه على شفتي .. و ... و ...

وهكذا كانت القصة ولم تكن قصة واحدة ـ كما قلت ـ وإنما هي مجموعة قصص من أدب الأنوثة التي تحولت من خضر وحياء ، الى جرأة تدل على ان الاناء نضب ما فيه وانه لا أمل في أن يعود اليه الماء واننا هكذا نعيش مع الأدب المكشوف الذي عهدناه من قبل في ابي نواس وانكرناه فلا يسعنا الا ان نقول ادركوا الاخلاق يا حماة الدين والاخلاق ، واضربوا على ايدي هؤلاء اللائي مزقن البرقع .



أيها المسلم في شرق وغرب ... حسبك القرآن منهاجا وحسبي
هو نور الله في أنفسنا ... لو وعيناه على رشد وحب
وإذا أشرقت النفس به ... اشرق الكون لها من كل صوب
ورأت فيه هدى الله الذي ... تبتغي من كل مشهود وغيب

***

سله ما شئت عن الدين يجب ... او عن الدنيا اذا كنت رشيدا
وهل الرشد سوى الوعي الذي ... جعل الانسان مخلوقا فريدا ؟
فتأمل آيه الطهر معا ... انه جاء على الناس شهيدا
يتجلى النور من آفاقه ... فترى الكون قريبا وبعيدا

***

واذا انت تساءلت فلم ... تلق فيه لسؤال من جواب
فارجع الفكر إليه كله ... خاشع القلب بصبر واحتساب
واعد ، ثم أعد ، مستوعبا ... تتفجر لك انوار الصواب
اتق الله يعلمك ، فمن ... يتق الله يزل عنه الحجاب

***

إنه باق كما جاء به ... سيد الرسل ، وهادي العالمين
جاء قوما ما أتاهم قبله ... من كتاب ، فهداهم لليقين
فمضوا شرقا وغربا ، رحمة ... لشعوب الارض بالحق المبين
إنه فتح قلوب كي ترى ... سنن الله ، وبالله تدين



في شرق وغرب

للاستاذ محمد خليفة التونسي

حرروهم من ضلالات الهوى ... وعمي الجهل، وتسخير الطغاه
فتآخوا كلهم في وحدة ... يستوي فيها الرعايا والرعاه
خيرهم أتقاهم في نفسه ... ومع الناس، وفي جنب الاله
لا يبالي لومة من لائم ... في سبيل الحق، إذ يحمي حماه

***

سنن لا تعتريها غير ... وعليها الكون يمضي في علاه
حثنا القرآن ان نفقهها ... لنراها فيه اذ نقفو خطاه
ونراه في سناها مشرقا ... حيث يممنا هداها أو هداه
مثل مرآتين: كل واجهت ... أختها، فهي مرايا، للرؤاه

***

إن لله كتابين هما ... صحف الكون، ووحي الأنبياء
كلمات الله تبدو فيهما ... لأولي الألباب، في أبهى ضياء
فيهما الصدق، فما ليس له ... فيهما أصل، فزيف، و رياء
ولو الناس استناروا بهما ... لهدوا الحق، كدأب الاصفياء

***

أيها المسلم، لا تخنع، ولا ... تتقاصر حيثما واجهت ظلما
انت عملاق مع الله، على ... قدر ما توليه إيمانا وعلما
فاردع الظلم بما يكبته ... انت إن سالمته فاض وطما
إنما العزة لله، فمن ... لاذ بالله يزده الله عزما



من المسائل التي يهتم بها الباحث في الاديـان . وخـاصـة في مجـال المقارنة . مسألة التعرف على الاديان في شكلها الصحيح غير المنحرف ، وبموقف نزيه غير متميز . ومن الآمال التي تراود الباحث في هذا المجال ايضا امل تقارب الاديان حتى تأخذ شكلا واحدا **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** آل عمران/ ٦٤ .

ولكن اذا كان التعرف على الاديان امرا ممكنا محتملا فان محاولة جمعها في شكل واحد امر بعيد الاحتمال .

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحـدة ولا يزالـون مختلفـين) هـود/ ١١٨ ومادام الأمـر كـذلـك فسنحاول في هذا المقام ان نتعرف على المسيحية وعلى الاسلام . او قل بعبارة ادق سنبسط الحـديـث هنـا عن نقطتين : اولاهما : المسيحيـة كما يدين بها اهلها الان او مدى علاقة ما يدين به المسيحيون الان بالمسيحية

الحقة ؟ وثانيتهما : مدى تصور وطريقة فهم المسيحيين للاسلام .

اما عن النقطة الاولى فان المسيحيين رغم زعمهم انهم مسيحيون يدينون بدين عيسى عليه السلام الا انهم في الحقيقة قد جافوا المسيحية في واقع حياتهم كثيرا . بل لا تكاد تمثل المسيحية الحقة عندهم الان فتيلا ولا قطميرا . فلا يدينون لها او بها في شيء من سلوكهم . ولكن مع ذلك ترى التبشير بها ، والدعوة اليها على قدم وساق . بتخطيط ودراسة علمية لا يختص به موضع دون موضع فبينما تراه هناك في افريقيا بين اهلها البدو تراه هنا في عواصم الغرب حيث يكثر الرواد والسائحون من غير المسيحيين . واذا ما احتككت بهؤلاء المبشرين تجدهم قد اعدوا إعدادا علميا وفنيا عظيما ، وتجد عندهم من الاخلاص في عملهم ما يدعك تتساءل عن العلاقة بين هذا الاخلاص في التبشير وبين نفض القوم انفسهم ايديهم من المسيحية - ان احدهم قطع الاميال الطويلة واتاني من جنوب لندن وانا اسكن في شمالها لكي يحضر لي بعض الكتب التي تعرفني بالمسيحية عندما قابلني ذات مرة وعرض علي ذلك . جاءني مرة ومرة ومع انه لم يجدني في شقتي في كل مرة الا انه عندما اتصل بي تليفونيا لم يبد اي غضاضة او يظهر انه تجشم تعبا او ما الى ذلك بل انه في كل مرة قابلني فيها بعد ذلك كان يبدي من الحفاوة والابتهاج قدر ما في المرة السابقة او اكثر . وكم دعاني الى اجتماعات وعرض علي من خدمات في سبيل ان انضم اليهم . نعم ان القوم ينفقون على التبشير بسخاء فقد قابلني وصديقي ذات مرة بعضهم فوقفنا وتحدثنا معهم لحظات قصيرة وعندما هممنا بالانصراف اذ بهم يعطوننا اسطوانات وكتبا وشرائط تسجيل لو اشتريتها بمالي الخاص لأرهقت جيبي .

حقيقة انها معادلة صعبة ان القوم لا يعتدون بدينهم ولا يهتمون به طقوسا وشعائر في الوقت الذي يدعون اليه ويبشرون به بكل حماس ووسيلة .

وبصراحة . ارى ان القوم يفعلون ذلك خوفا من الاسلام . لأنهم يعرفون ما الاسلام ؟ وما دعوته ؟ وكيف يجذب الناس اليه بدون دعاة او مبشرين ؟ ومن ثم فهم يقاومون الاسلام او قل - ولعلي لا اكون مبالغا - يحاربون الاسلام بهذا التبشير ولذلك فانهم لا يعنيهم الدخول في المسيحية بقدر ما يعنيهم صد الناس عن الاسلام . وإن تجرأنا واردنا ان نصوغ لهم مبدأ فمبدؤهم هو لا تدخل الاسلام وكن اي دين شئت ». ولذلك فانهم اكثر ما يركزون على المسلمين يحاولون شدهم من دينهم الى المسيحية ولكن بدون جدوى تذكر . ويعقدون املا كبيرا على بدائيي افريقيا سواء منهم من استقر في تلك القارة او هاجر الى اوربا لأن هؤلاء غالبا ما يكون دينهم غير عميق في قلوبهم ، او يكونون غير ذوي دين اطلاقا . ومن هنا نعرف السر في ان

كثيرا من رواد الكنيسة والاجتماعات الدينية هم من هؤلاء السود الذين وقعوا تحت تأثير الدعاية والاغراء المادي .

ولكن لماذا يخشى القوم من الاسلام كل هذه الخشية ؟ ان الاجابة على ذلك ليست بالعسيرة . فالاسلام فيه من المبادىء ما هي كفيلة بأن تجذب اليها البشر كافة لو نظروا اليها بعين الانصاف ، واستمعوا اليها بأذن العقل ووعوها ببصيرة القلب وهم يعرفون ان ذلك ليس بعزيز على الاسلام قياسا على تجاربه الماضية فقد كان المسلم ينزل البلد ـ تاجرا ـ على سبيل المثال ـ فيتعامل مع اهلها بمبادىء الاسلام فلا يلبث اهلها ان ينقلبوا مسلمين اعجابا بسلوكه واقتداء بعمله . واكثر بلدان افريقية والهند وخراسان وما وراء النهر دخلت الاسلام بهذه الطريقة من غير سيف او فتح كما يزعم هؤلاء أن الاسلام انتشر بالسيف . الاسلام انتشر بالقدوة الحسنة والسلوك الحميد . **(وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)** التوبة/ ٦ .

هم يعرفون ذلك جيدا ويخشونه جدا . وهنا ينبغي ان نشير الى مقارنة بسيطة وهي ان الغرب يستخدم في التبشير والدعوة الى المسيحية كل امكانياته المادية والتكنولوجية ويرصد لهذا العمل الميزانيات الضخمة . في الجانب الاخر نجد الاسلام يقاوم هذا العمل لا بأعمال تبشيرية من الحكومات الاسلامية (فلم ترصد اي حكومة اسلامية حتى الان اية ميزانية لعملية تبشير او دعوة) ولكن الاسلام يقاوم ذلك بمبادئه وهيكله وقوامه يعني ان الاسلام يدعو الناس اليه بنفسه بدون داع فيكفي ان ينظر المرء اليه ، وان يعرف ما هو حتى يجد نفسه قد انخرط في سلكه كأحسن ما يكون المسلم ايمانا .

اما هؤلاء فانهم يستخدمون الابواق والطبول والنشرات والكتب ومع ذلك ان وجدوا طلبتهم في شخص فلن تجده يدخل المسيحية بحماس مثل الحماس الذي تجده فيمن يدخل الاسلام . اذ انهم يكتفون منه او هو يكتفي باعلان انه مسيحي لكي يأخذ الخدمة المقابلة لهذا الاعلان من وظيفة او غيرها .

فالاسلام في غير حاجة الى دعاة ، لأن فيه من المبادىء والمقومات ما يغني عن الدعاة والمبشرين . وان كان الاسلام في حاجة الى شيء فهو فقط في حاجة ان يتمسك المسلم بمبادئه فهذا وحده كفيل بهداية غير المسلمين الى الاسلام اكثر من عمل اي داعية او مبشر . فالاسلام يهدي اليه من الناس بمبادئه اكثر ممن يجتذبهم مبشرو المسيحية بكل ما يملكون من دعاية وضجة . ومن يهديهم الاسلام اليه يكونون اكثر ولاء واخلاصا للاسلام من اخلاص وولاء من يجذبهم المسيحيون الى المسيحية للمسيحية .

ونستطيع ان نعلل ذلك وهذا التعليل في الوقت نفسه فرق ثالث بين تبشير المسيحيين ودعوة الاسلام . (لاحظ ان المقارنة دائما بين الاسلام

كداع الى نفسه بمبادئه وبين المسيحيين كأشخاص مبشرين بالمسيحية) وهو ان من يدخل المسيحية تحت تأثير التبشير يدخل لغرض دنيوي كأن يكون مأخوذا بحضارة الغرب ، او محتاجا الى مساعدة اما من يدخلون الاسلام تحت تأثير مبادىء الاسلام فهم يدخلون لغرض ديني بحت . فليس في واقع المسلمين ما يجذب الناس اليهم ، ولم يقدموا خدمة لاحد نظير دخوله الاسلام . فهم يدخلون الاسلام للاسلام وهؤلاء يدخلون المسيحية لما عند المسيحيين من منافع مادية .

هذا عن التساؤل الاول وهو ديانة هؤلاء القوم فهم يزعمون انهم يدينون بالمسيحية ولكنهم ابعد الناس عنها حياة وواقعا وعبادة وطقوسا . وهم جادون في الدعوة اليها ودعوتهم هذه خوفا من الاسلام اكثر من ان تكون ايمانا بالمسيحية .

والآن نود ان نتعرف على فكرة هؤلاء القوم عن الاسلام . ماذا يعرفون عن الاسلام ؟ او ما الاسلام الذي يعرفه هؤلاء ؟

ان كثيرين منهم يعرفون الاسلام كما يعرفه ابناؤه ، ولكن لسبب او لآخر يحاولون تشويه صورته على جميع المستويات ابتداء من اساتذة الجامعات حتى رجل الشارع . فالمتخصصون من اساتذة الجامعات في الدراسات الاسلامية او بعضهم رغم معرفتهم مصادر الاسلام الوثيقة واطلاعهم عليها الا ان كثيرين منهم يدرسون الاسلام من خلال تفاهات وقشور لا تنتمي الى الاسلام الا انها قيلت بلغته العربية فـ « كنابرت » مثلا وهو استاذ بمدرسة « الدراسات الشرقية والافريقية » وله اهتمامات بالاسلام واللغة العربية يعتمد في دراسته للاسلام على بعض المواويل الشعبية ليس هذا فحسب بل يدرسه من خلال بعض الاغنيات العربية الساقطة . ومثل هذا واحد من امرين : اما انه لا يعرف مصادر اسلامية يطلع عليها ويدرس الاسلام من خلالها الا هذه المصادر وعندئذ يكون غير جدير بلقب « طالب » بله لقب « استاذ » واما انه يعرف ـ ولا بد ان يكون كذلك ولكنه يتغاضى ويغض الطرف عنها لمآرب في نفسه فلا يستحق لقب عالم لأن من صفة العالم وشرطه الانصاف والنزاهة العلمية .

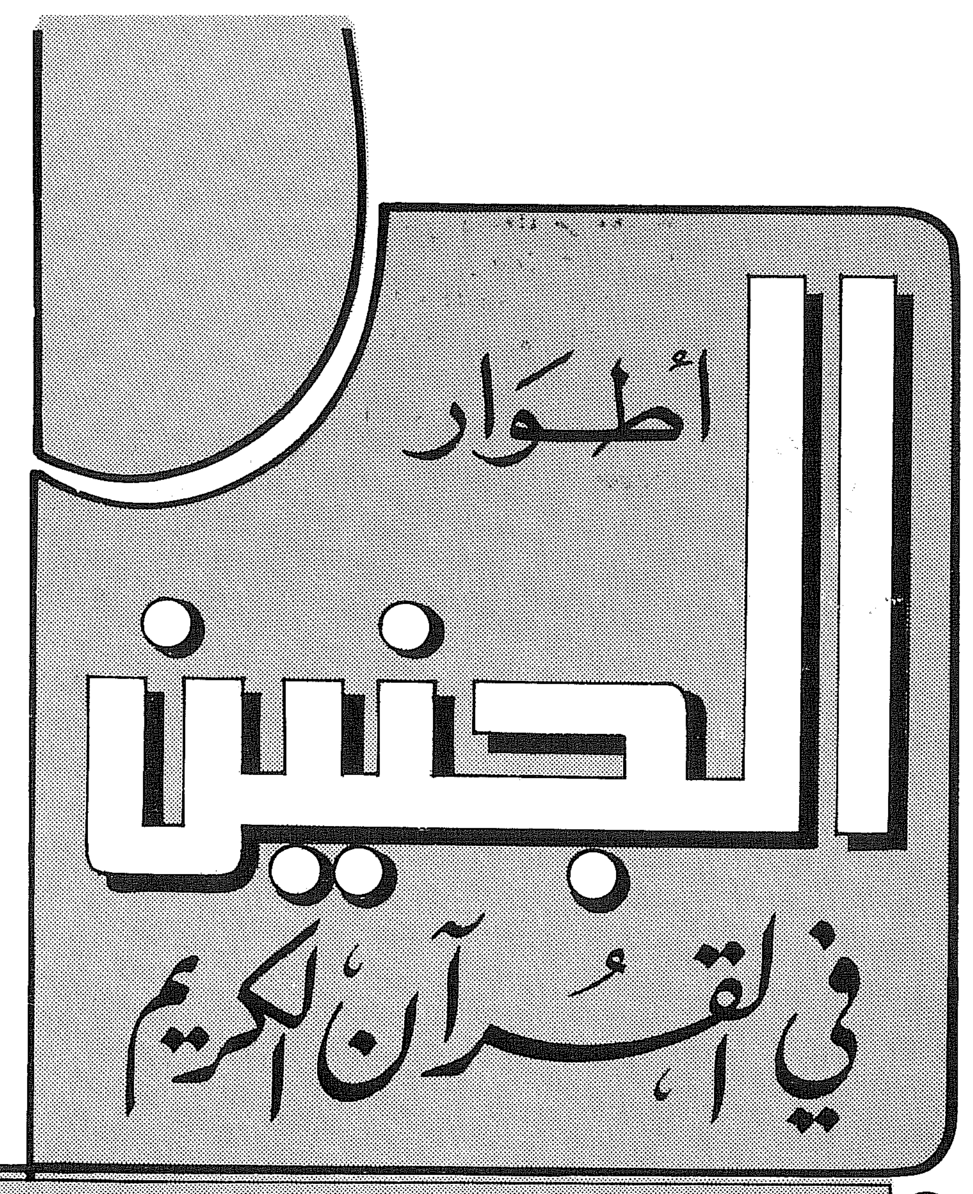
واذا كان هذا حال علمائهم فان امر عامتهم على العكس من ذلك . ان كثيرين من عامة الغرب لا يعرفون عن الاسلام الكثير ولا تكاد تعدو معرفتهم له الزواج بالعديد من النساء وقطع اليد والرجم والجلد ـ هكذا لقنوا الاسلام في مهدهم وبهذه الصورة تعلموه في مدارسهم . ومن ثم فانهم ينظرون اليه نظرة خوف منه كسيف مصلت وعقبة كئود في وجه شهواتهم . واكاد اعتقد ان هؤلاء العامة لو وقفوا على الاسلام في شكله الصحيح وقوامه المعتدل وعرفوا مبادئه بوصفها كلا لكانوا اكثر انصافا من علمائهم ولراجعوا انفسهم كثيرا ولدخل

كثيرون منهم في حوزته . لأن عامة هذا الشعب يعيش في فراغ ديني يعطي كل وقته لدنياه حتى ملها او كاد . ويبحث في المسيحية بوضعها الحالي فلا يجد فيها ما يسد فراغه ، او يشبع روحه ، او يعوضه عن المتعة الزائلة بمتعة حقيقية . لأن المسيحية كما هي موجودة بين هؤلاء القوم هزيلة ضعيفة ، لا تقيم اود انسان فاما ان يترهبن وذلك شاق على النفس ، واما ان يعيش كما هو يعيش الآن باستثناء واحد وهو الذهاب الى الكنيسة مرة او مرتين كل اسبوع . هذا كل ما تعطيه المسيحية لهؤلاء . اما الاسلام فغني بما يعطيه لمعتنقيه . يشبعهم من غير ان يشعرهم بالملل . يجذبهم الى حوزة الرحمن من غير ان يقطعهم عن غيرهم من الناس . يصعدهم الى السماء وهم على الارض يمشون ـ الاسلام عطاؤه كثير ومتجدد فالصلوات الخمس كل يوم ، والوضوء قبل كل صلاة ، او قراءة القرآن حينما يتيسر للمرء قراءته والصيام في رمضان وكيفية هذا الصيام (لاحظ ان الصيام في الاسلام فيه من الكيفية ما يجعل المرء طيلة صيامه متذكرا ربه مشدودا اليه بخلاف الصيام في المسيحية الذي تنعدم فيه هذه الكيفية) والحج وغير ذلك من معطيات الاسلام كالاغتسال عند الجنابة ، والتسمية وافشاء السلام ، وغض البصر عطاءات كثيرة كفيلة بأن تملأ فراغ هؤلاء اما المسيحية كما هي موجودة بينهم . ماذا فيها من طقوس ومن ملء فراغ الليل والنهار ؟ ان قراءة الانجيل ليست عبادة عندهم . وصلاتهم ليست فيها المعاني التي تشد الانسان الى ربه فأقصى ما فيها طأطأة الرأس .

فلم يبق امام هؤلاء الا الاسلام يحتضنهم ويحتضنونه وليس معنى ذلك ان نرسل المبشرين الى اوربا للتبشير بالاسلام ولكن يكفي ان يتحلى المسلمون بمبادىء دينهم . وان يبينوها لهؤلاء القوم على وجهها الصحيح .

واظهار الدين الاسلامي على وجهه الصحيح عملية مهمة جدا في مثل هذه البلاد ، لأنه على المستوى العام لا يعرفون عن الاسلام الا الحدود وتعدد الزوجات ، وعلى المستوى التعليمي نجد معرفتهم بالاسلام مشوهة وغير صحيحة لدرجة أنهم يخلطون بين الاسلاميين والبوذيين والهندوسيين فيعتبرون الجميع دينا واحدا . وشد ما دهشت لذلك عندما عرفت هذا الخلط عندهم وعبثا حاولت ان اقنع من كان يناقشني في هذه المسألة منهم بانجليزيتي العرجاء آنئذ اين يكون الاسلام من هذه الاديان . وان كنت اشك كثيرا في ان يكون هذا الخلط عن جهل لا عن مكر .

ايا ما يكن فان القوم وان كانوا يتظاهرون بالحرية الدينية واحترام الاديان الاخرى الا انهم متعصبون للدعوة للمسيحية شديدو الخوف والكراهية للاسلام لأنهم يعرفون أنه الدين الذي يحمل من المبادىء ما يغري بالدخول فيه وان في مبادئه من القوة ما يفوق كل دعاية لهم .



أطوار الجنين في القرآن الكريم

للدكتور/ محمد علي البار

يتحدث القرآن الكريم عن أطوار النمو الانساني في مواضع متعددة .. ويجعلها دليلا قاطعا على إعادة الله الخلق كما بدأكم تعودون .

وقد تحدثت الكثير من الآيات الكريمة عن هذه الأطوار مجملة ومفصلة : (**ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا**) نوح/١٣ و١٤ . قال ابن عباس وقتادة وعكرمة والسدى وابن زيد : معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار الانسان .

(**يا أيها ألناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى**

ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا) الحج/٥ .
(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون/١٢ ـ ١٤ .
(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة/٧ ـ ٩ .
(يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك) الانفطار/٦ ـ ٨ .
(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) آل عمران/٦ .

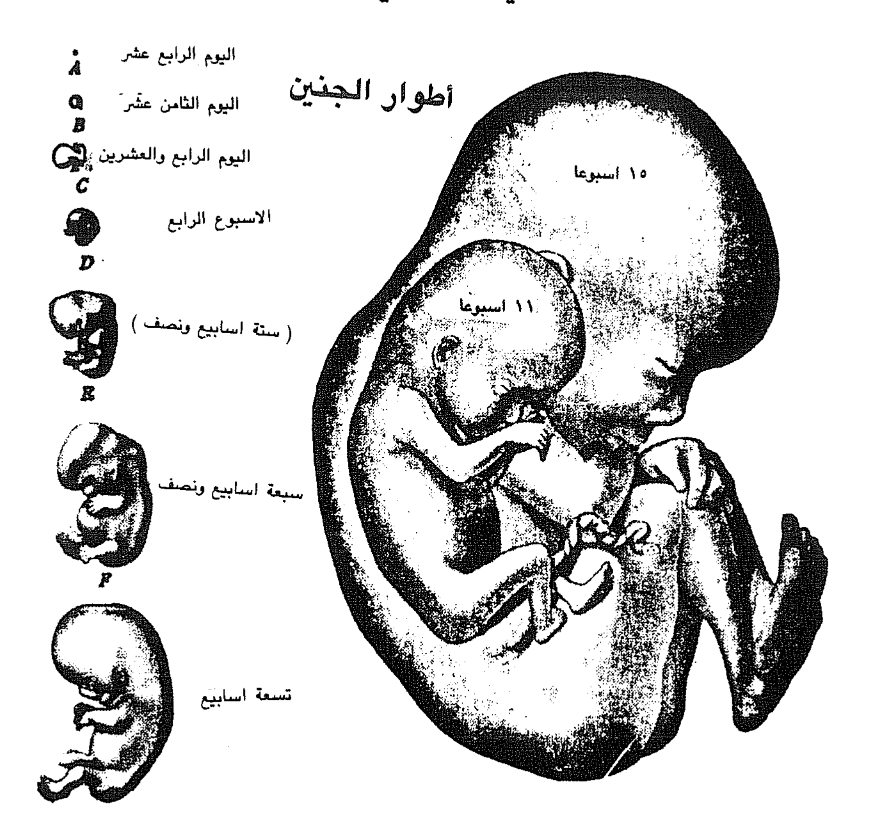
من هذه الآيات الكريمة نستطيع ان نحدد معالم أطوار الجنين الانساني وهي : ١ ـ نطفة ٢ ـ علقة ٣ ـ مضغة مخلقة وغير مخلقة ٤ ـ عظام ٥ ـ لحم يكسو العظام ٦ ـ التسوية والتصوير « خلق آخر » والتعديل ٧ ـ نفخ الروح « وروى عن الامام علي أنه رد على من قال أن العزل هو الموءودة الصغرى قائلا : لا تكون موءودة حتى تمر على التارات السبع : تكون سلالة من طين ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكون لحما ثم تكون خلقا آخر فقال عمر رضي الله عنه : صدقت أطال الله بقاءك » .

وكما عرفنا فان أول هذه الأطوار هو : طور النطفة .
والنطفة تطلق على ثلاثة أشياء هي :

(١) نطفة الذكر وهي الحيوانات المنوية
(٢) نطفة الأنثى وهي البويضة
(٣) النطفة الأمشاج وهي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة أي البويضة الملقحة ، والنطفة الأمشاج هي بداية مرحلة خلق الانسان ، حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم .. **(إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)** الانسان/٢ .
فاذا ما لقحت البويضة وصارت بويضة ملقحة ابتدأت انقسامات متعددة وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام والانشقاق وتتحول البويضة الملقحة « النطفة الأمشاج » إلى ما يشبه التوتة ، فتسمى عندئذ التوتة ثم تتنقل بعد ذلك فتصير مثل الكرة المجوفة ، وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية ويبقى قطر النطفة الأمشاج حتى بعد أن تصبح كرة جرثومية لا يزيد عن ١/٤ ميليمترا .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعا كاملا حتى تعلق هذه النطفة الأمشاج التي تحولت إلى كرة جرثومية لها خلايا آكلة وقاضمة تعلق بواسطتها وبواسطة حملات دقيقة بجدار الرحم .

وتتحول عندئذ إلى المرحلة التي تليها وهي العلقة .



صورة توضح مختلف مراحل الجنين مع ذكر عمره في هذه المراحل .

وتصوير حجمه الحقيقي ففي اليوم الرابع عشر والجنين في مرحلة العلقة لا يزيد حجمه عن نقطة ○ وفي اليوم الثامن عشر لا يزيد عن حرف وفي اليوم الرابع والعشرين وقد بدأ مرحلة المضغة ، اقل من حبة القمح او الأرز ، وفي الاسبوع الرابع وهو في قمة مرحلة المضغة لا يزيد حجمه عن حبة القمح . وفي الاسبوع السادس والنصف في أوج تكوين الاعضاء لا يزيد حجمه عن حبة فاصوليا بل أقل من ذلك . وفي الاسبوع السابع والنصف وقد تكاملت الأعضاء تقريبا لا يزيد حجمه عن حبة الفاصوليا او الفول .. وفي الاسبوع التاسع بعد انتهاء فترة الحميل ودخوله الى مرحلة الجنين لا يزيد حجم الجنين عن ثلاثة سنتيمترات (أي ما يزيد قليلا عن البوصة) . وفي الاسبوع الحادي عشر يكون الشكل الانساني مميزا لدرجة لا يمكن ان يخطئها احد .. وتبدأ في هذه الفترة الاعضاء التناسلية الخارجية في التمايز ..

وفي الاسبوع الخامس عشر تستطيع الام ان تحس حركة وليدها بكل وضوح .. وتكون الأعضاء التناسلية الخارجية واضحة جدا .

العلقة :

هي الطور الثاني الذي تنتقل إليه النطفة .. ويبدأ العلوق منذ اليوم السابع « منذ التلقيح » عندما تلتصق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .. وتمد الخلايا الخارجية الآكلة معاليق صغيرة متعددة لتلتقي بمثيلاتها الموجودة على الخلايا الطلائية في غشاء الرحم وتتشابك هذه المعاليق ثم تبدأ الخلايا الآكلة في الانغراز وفي قضم خلايا غشاء الرحم حتى تتمكن من الولوج إلى داخل الغشاء .. وتبدأ عندئذ تعلقها بواسطة الخلايا المخلاوية الآكلة التي تتحول إلى الحملات المشيمية وهي تمثل تعلق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .

ثم إن الكرة الجرثومية تنقسم إلى كتلة خلايا خارجية آكلة وظيفتها العلوق بجدار الرحموامتصاص الغذاء منه .. « وهي تشكل ٩٠ بالمائة من مجموع خلايا الكرة الجرثومية » وكتلة خلايا داخلية « تشكل ١٠ بالمائة من مجموع الكرة الجرثومية » .. وهذه الكتلة الداخلية يخلق الله منها الجنين .

ويتعلق الجنين بواسطة معلاق يربطه بالغشاء المشيمي « الكوريون » ..

فهناك اذن جملة تعلقات في هذه المرحلة تعلق أولي بواسطة الحملات الدقيقة ثم تعلق ثاني بواسطة الخلايا الآكلة ثم تعلق ثالث بواسطة الحملات المشيمية ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق ..

ولا شك أن أهم ما يميز هذه المرحلة هو هذا التعلق وأن وصف العلقة العالقة بجدار الرحم والمحاطة بالدم المتجمد « المتخثر » هو أدق وصف لهذه المرحلة .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تقريبا ، ينمو خلالها القرص الجنيني إلى لوح كمثري الشكل ذى ثلاث طبقات متمايزة :

أ - الطبقة الخارجية الاكتودرم
ب - الطبقة المتوسطة الميزودرم
جـ - الطبقة الداخلية الانتودرم

وفي نهاية هذه المرحلة تتكثف الطبقة المتوسطة القريبة من محور الجنين لتشكل الكتل البدنية ويبدأ ظهور أول كتلة بدنية في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح .. وعندئذ تكون العلقة قد تحولت إلى مضغة .

وفي هذه المرحلة نجد أن الكرة الجرثومية التي كانت قبيل العلوق لا تزيد عن ١/٢ ميليمتر قد أصبحت بعد العلوق بأسبوع واحد فقط ميليمترا ونصف .

وفي نهاية الأسبوع الثالث « منذ التلقيح » يصبح طول اللوح الجنيني « ومن الآن فصاعدا لا يحسب إلا طول الجنين الحقيقي فقط » ميليمترين ونصف .

والطور الثالث حسب التقسيم القرآني هو طور المضغة « الاسبوع الرابع »

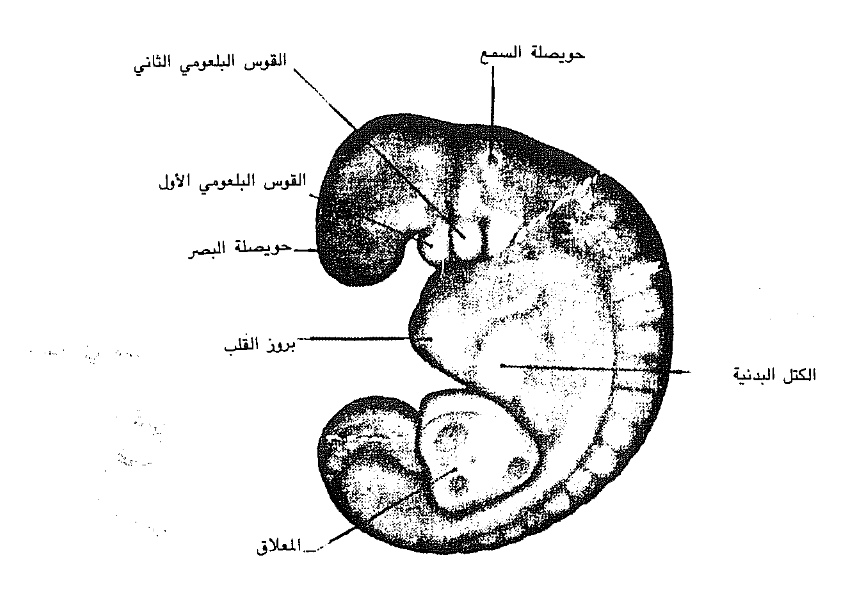
ويبدأ هذا الطور بظهور الكتل البدنية ويكون أول ظهورها في أعلى اللوح

الجنيني جهة الرأس ثم يتوالى ظهور هذه الكتل من الرأس إلى مؤخرة الجنين .. ويبدأ ظهورها في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح .. ثم تستمر في الظهور واحدة على كل جانب من محور الجنين حتى تبلغ ٤٢ إلى ٤٥ زوجا من الكتل البدنية ..

وهذه الكتل البدنية ليست إلا تكثفا لطبقة الميزودرم المتوسطة بجانب محور الجنين .. ويصحب ظهور هذه الكتل ظهور الأقواس البلعومية نتيجة لظهور شقوق وميازيب في الطبقة الخارجية « الاكتودرم » وبروز ونتوء في الطبقة المتوسطة « الميزودرم » .. وتتكون بذلك خمسة أزواج من الأقواس البلعومية في المنطقة العليا من الجنين « تحت قمة الرأس مباشرة » .

ويكون وصف المضغة أو القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان ولاكتها ثم قذفتها هو أصدق وصف وأدقه لهذه المرحلة ..

أنظر الصورة حيث ترى الاقواس البلعومية والكتل البدنية وهي تعطى الجنين شكل المضغة ..



صورة للمضغة « في الاسبوع الرابع منذ التلقيح » وتظهر الكتل البدنية بوضوح كما تظهر الاقواس البلعومية .. وفي أسفل الصورة على اليمين حجم الجنين الحقيقي في هذه المرحلة . والصورة توضح أن الجنين في هذه المرحلة يشبه قطعة لحم لاكتها الأسنان ثم قذفتها بعد مضغها . ووصف المضغة أصدق وصف لها .

مرحلة العظام واللحم :

(فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما)

وهي مرحلة تستغرق الاسبوع الخامس والسادس والسابع ..
وتتحول الكتل البدنية إلى جزئين :

١ - جزء أمامي وأنسي ويسمى القطعة الهيكلية وهي تكون عظام الفقرات .. كما أن انسياب خلاياه في المنطقة العنقية ٤ - ٨ يشكل عظام الأطراف العليا .. وانسياب خلاياه في المنطقة القطنية « ١ - ٥ » والعجزية « ١ - ٤ » يشكل عظام الأطراف السفلى .. كما تشكل الأربع كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس « الجزء المؤخري القاعدي » من الجمجمة .. وتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدرية « ١ - ١٢ » .

وبذلك يتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتل البدنية .. أما عظام الوجه والفكين وعظام الأذن الوسطى « المطرقة والسندان والركاب » فانها جميعا تشكل من القوس البلعومي الأول .. ويتكون العظم اللامي من القوس البلعومي الثاني ..

ولا يبقى إلا قحفة الجمجمة التي تتكون من الخلايا الميزودرمية « المتوسطة » المتكثفة في قمة الرأس .. والتي تتحول مباشرة من غشاء إلى عظم دون أن تتحول إلى غضاريف .. كما هو معهود في أغلب عظام الجسم .. وقد فصلنا في ذكر هذه المرحلة في فصل العظام والأطراف .

٢ - جزء خلفي وظهري ويسمى المقطع العضلي الآدمي الذي سرعان ما ينقسم بدوره إلى قسمين :

أ - آدمي وهو يشكل أدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة .
ب - عضلي وهو يشكل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك الموجودة في الجذع ، كما تنساب خلايا هذا القطاع العضلي في المنطقة العنقية « ٤ - ٨ » لتكون عضلات الطرف العلوي وفي المنطقة القطنية والعجزية لتكون عضلات الأطراف السفلية .. ولا يزال هناك من علماء الأجنة من يقول ان عضلات الأطراف تتكون في موضعها .. ويكون تكون العظام سابقا ولو ببضعة أيام لتكون العضلات .. وتأتي العضلات بعد ذلك لتكسو العظام .

ويقول الدكتور لانجمان في كتاب علم الأجنة الانساني :

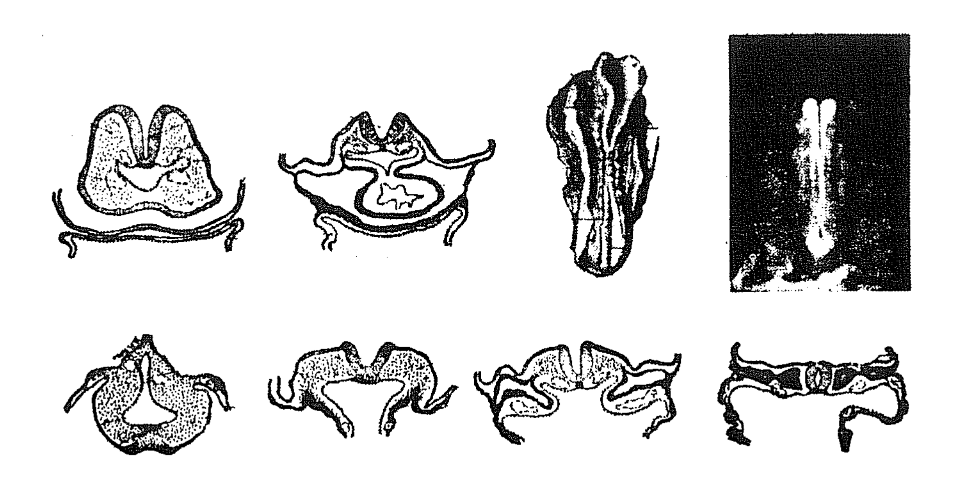
« وفي الاسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح .. وإن كان الطرف العلوي يسبق الطرف السفلي ببضعة أيام » .

وأول علامة على وجود عضلات الأطراف تظهر في الاسبوع السابع وعندما يتحدث عن الفقرات والعمود الفقري يقول :

« وبعد أن تتحرك خلايا القطع الهيكلية إلى الجهة الأنسية مكونة العمود الفقري تعرف الخلايا المتبقية من الكتلة البدنية باسم المقطع الآدمي والمقطع العضلي .

« ونتيجة لتكون جسم الفقرة من قطعتين هيكليتين متجاورتين فان ذلك الالتحام يؤدي إلى تحرك القطع العضلية لتغطيتها » .

ومعنى هذا أن العظام تسبق العضلات .. ثم تكسو العضلات العظام وصدق الله العظيم حيث يقول : (**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) .



صور للمضغة ومقاطع فيها توضح الكتل البدنية التي تتجمع حول الميزاب العصبي مكونة القطع الهيكلية التي يخلق الله منها الفقرات .. كما ان الجزء الخلفي من الكتل البدنية يشكل القطع العضلية التي تكسو العظام .

ثم أنشأناه خلقا آخر :

وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح ..
والآيات الدالة على التصوير كثيرة منها قوله تعالى :
(**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**)
(**ولقد خلقناكم ثم صورناكم**) الأعراف/١١
(**وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير**) التغابن/٣
(**يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك**)
ومن اسماء الله الحسنى المصور (**هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى**) الحشر/ ٢٤ .

وأما التسوية فهي تتم مع التصوير وقبله وبعده .. فهي تشمل جميع الأعضاء فالأطراف مثلا عند أول ظهورها تبدأ كبرعم صغير مكون من تكثف لخلايا الميزودرم « الطبقة المتوسطة » مغطى بغطاء من الطبقة الخارجية الاكتودرم .
ثم تتكون في الطبقة المكثفة من الميزودرم خلايا غضروفية وترسب النسيج الغضروفي في موضع النسيج الغشائي .. ثم ما تلبث الخلايا العظمية أن تظهر فتقوم بتفتيت النسيج الغضروفي كما تتكون خلايا آكلة فتأكل الغضاريف وخلاياها ، وتضع الغضاريف عظاما تكون مراكز للتمعظم وينتشر منها التمعظم في أجزاء الهيكل الغضروفي ..

إن عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل مستمرة في الجنين بشكل مثير .. إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديدا .. هذه أنبوبة القلب المستطيلة تتحول إلى شكل S ثم تتكون الغرف المتتالية الأذين العام والبطين العام وبصلة القلب والجيب الوريدي ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدي في الأذين الأيمن .. وتدخل بصلة القلب في البطين الأيمن والأيسر ومن بصلة القلب أيضا تنشأ جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوي .

ومن له ادنى المام بعلم الأجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء يعرف كيف أن أجهزة الجسم المختلفة تهدم ويعاد بناؤها باستمرار وتتجلى هذه التسوية والتعديل في أجلى صورها في الجنين .. ثم تقل نسبيا بعد الولادة .. ثم تقل كذلك بعد البلوغ ولكنها لا تتوقف حتى في الشيخوخة .
هناك جهاز واحد فقط لا يشمله التغيير والتبديل المستمر ألا وهو الجهاز العصبي .. فالجهاز العصبي الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب لا تتغير بعد

الولادة من حيث الهدم والبناء ولكنها تتغير من حيث اتصالات الخلايا العصبية ببعضها ..

أما قبل الولادة في الجنين وخاصة في الشهر الثاني من الحمل فان التغيير يكون فيها على أشده ..

ففي كل لحظة هناك تغيير في الشكل أو في الوظيفة أو في إزالة مجموعة من الخلايا قد أدت وظيفتها أو في بناء مجموعة أخرى ..

إن ما يحدث في الجنين شبيه إلى حد ما بما يحدث عند بناء عمارة فهناك السقالات والأعمدة التي تقام ثم تهدم وتزال بعد أداء وظيفتها .. وهناك بناء الأساس أولا ثم بناء الأعمدة والجدران ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الأبواب والنوافذ .. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التبليط والتزيين والتحسين « الديكور » .

ولا يمكن أن تقوم مرحلة التبليط قبل بناء الأعمدة والجدران ولا يمكن وضع الموزاييك والتحسينات قبل إقامة الأبواب والنوافذ .. وهكذا كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها ..

وكذلك في بناء جسم الانسان . كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها .. وما استخدم من أدوات في المرحلة السابقة ولم يعد له حاجة فلابد من إزالته حتى لا يعيق الطريق .

هذه باختصار هي التسوية والتعديل .. وهي عملية مستمرة في بناء جسم الانسان منذ أن كان جنينا إلى أن يصبح شيخا هرما .. ولكن هذه التسوية والتعديل أبرز ما تكون في الجنين .

ولا يمكن أن تتم التسوية والتعديل إلا بعد وضع الأسس .. والأسس لجميع الأعضاء توضع في الفترة ما بين الأسبوع الرابع والثامن .. ولهذا تعتبر هذه الفترة هي الفترة الحرجة التي تكون فيها الجينات أشد ما تكون قابلية للتغيير ولذا فان تأثير الأدوية والعقاقير أو الأشعة أو الحميات مثل الحصبة الألمانية تكون في أوج تأثيرها على الجنين في هذه الفترة .

ولذا ينبغي أن تجتنب الحامل التعرض لتأثيرات الأدوية والعقاقير والأشعة والأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية .. طوال فترة الحمل بصورة عامة وفي هذه الفترة الحرجة « الاسبوع الرابع حتى الثامن » على الخصوص .

هذا هو ملخص للتقسيم القرآني لنمو الجنين الانساني :

١ ـ نطفة « الاسبوع الأول منذ التلقيح »
٢ ـ علقة « الاسبوع الثاني والثالث »
٣ ـ مضغة « الاسبوع الرابع »
٤ ـ العظام والعضلات « الخامس والسادس والسابع »
٥ ـ التصوير « الاسبوع الخامس والسادس والسابع »
٦ ـ التسوية والتعديل

٧ ـ نفخ الروح

اما تقسيم جهابذة علم الأجنة فيتفق فيما يأتي :

(١) مرحلة البويضة الملقحة « النطفة الأمشاج » ويختلفون بعد ذلك فمنهم من يجعل من الاسبوع الثاني حتى الثامن مرحلة واحدة هي مرحلة الحميل ويقسم بعد ذلك ما يحدث في مرحلة الحميل الى (أ) الانغراز (العلقة) (ب) الجنين ذو الطبقتين (جـ) مرحلة الجنين ذى الثلاث طبقات (د) الكتل البدنية (هـ) تكون الأعضاء .

ومنهم من يقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام فقط :

أ) مرحلة العلوق : وتستمر حتى تظهر أغشية الجنين والدورة الدموية وتتمايز طبقات اللوح الجنيني إلى ثلاث طبقات . وتدعى أحيانا هذه المرحلة ما قبل الكتل البدنية وهذا التقسيم ينطبق تماما على مرحلة العلقة لأنها تبدأ بعد العلوق مباشرة وتنتهي بظهور الكتل البدنية « أي المضغة » .

ومدة هذه المرحلة أسبوعان فقط « أي منذ نهاية الأسبوع الأول للتلقيح وحتى نهاية الأسبوع الثالث للتلقيح » .

ب) مرحلة الكتل البدنية : ولا يختلف علماء علم الأجنة في هذه المرحلة .. وهي تبدأ من اليوم العشرين أو الواحد والعشرين وتنتهي باليوم الثلاثين وهذه المرحلة حسب التعريف القرآني هي مرحلة المضغة .

جـ) مرحلة تكون الأعضاء وتبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن وهي الفترة الحرجة بالنسبة للجينات لقابليتها الشديدة للتأثر بعوامل البيئة في هذه الفترة .

وفي هذه المرحلة نرى التقسيم القرآني يربط بين المضغة التي تتحول إلى عظام فيكسوها اللحم .. (**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) .

كما يربط التقسيم القرآني التصوير والتسوية والتعديل بما يحدث بعد المضغة (**ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) .

وتشرحها الأحاديث النبوية الشريفة :

« إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم قال يارب ذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتبه الملك » اخرجه مسلم .

ففي نهاية الاسبوع السادس تكون النطفة قد بلغت أوج نشاطها في تكوين هذه الأعضاء وهي قمة المرحلة الحرجة الممتدة من الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع الثامن .. فيوجهها التوجيه الذي أمر به .. ونحن نعلم أن المبيض والخصية لا يمكن التعرف عليهما قبل دخول الملك فاذا دخل الملك أمكن في الأسبوع السابع والثامن التعرف على الغدة التناسلية أخصية هي أم مبيض ؟ وفي حديث آخر رواه مسلم أيضا : « ان النطفة إذا استقرت في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك

فيقول يارب ذكر أم أنثى » ؟ وفي رواية « لبضع وأربعين ليلة » وفي رواية « لخمس وأربعين » .

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه :

« وكل الله بالرحم ملكا يقول : أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضي خلقا قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ أشقى أم سعيد فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه » .

وهكذا نرى من مجموع الآيات والأحاديث أن قمة تكوين الأعضاء وتحديد الذكورة والأنوثة أعلى مستوى الغدد التناسلية إنما يكون في الأربعين ..

وهذه هي الفترة التي تسمى فترة تكوين الأعضاء وهي تبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن .. وتكون في أوج نشاطها في الأسبوع السادس .

الاسبوع الخامس إلى الأسبوع الثامن :

وفي هذه الفترة يستطيل الحميل من ٥ ميليمترات إلى ٢٣ ميليمترا وتظهر عليه علامات خارجية كثيرة واضحة . وإن كان بعضها لم يكتمل في هذه الفترة . وأول مظاهر هذه الفترة :

١ ـ اعتدال ملحوظ في تقوس الجسم عامة

٢ ـ بدء تكوين الوجه

٣ ـ ظهور واضح لبدء العينين والأذنين والأنف

٤ ـ بدء ظهور أزرار الطرفين العلويين فالطرفين السفليين وربما أول تقسيمهما

٥ ـ صغر نسبي في الذيل

٦ ـ استطالة العنق البدني ليكون الحبل السري

٧ ـ انبعاج واضح للكبد والقلب يرى على سطح الجسم .

٨ ـ تحديد منطقة العنق وظهور الأقواس البلعومية على جانبيها .

٩ ـ أعضاء التناسل الظاهرة « الغدد التناسلية » وإن كانت غير مميزة الجنس « يمكن تمييزها في نهاية هذه الفترة » .

وفي نهاية الأسبوع الثامن تكاد تكون الأعضاء الداخلية كلها قد اتخذت مواضعها وإن بدت بشكل أولي . وتعتبر في نهاية الأسبوع الثامن اكتمال دورة الحميل وبدء دورة الجنين .

فاذا ما انتهت مرحلة تكوين الأعضاء فان مرحلة الحميل تكون قد انتهت . وبدأت مرحلة أخرى تعرف لدى علماء علم الأجنة بمرحلة الجنين وهي تبدأ من بداية الشهر الثالث وتنتهي بالولادة .

ولا يكون في هذه المرحلة إلا تخليق يسير .. وأبرز سمة في هذه المرحلة هي ظاهرة النمو المتصل السريع .. وتستمر هذه المرحلة حتى تنتهي بآلام الطلق والولادة .

ومما تقدم يبدو أن التقسيم القرآني لمراحل نمو الجنين الانساني أدق من وصف علم الأجنة .. وإن كان التقسيم القرآني يتفق مع كثير من هذه التقسيمات كالنطفة ـ المضغة ـ العظام ـ واللحم .. ولا يركز بعض علماء علم الأجنة على مرحلة العلقة كما يركز عليها التقسيم القرآني .. وكذلك مرحلة التصوير والتسوية والتعديل . أما نفخ الروح فهو لا يزال في طي الغيب الذي لا يعلمه : (**إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**) آل عمران/٧ .

وسنعرض بعجالة لما يحدث في فترة الجنين « أي منذ الشهر الثالث إلى الولادة »

الشهر الثالث « الشهر القمري يحسب ٢٨ يوما »

- تبدو العنق ظاهرة
- يلتصق الجفنان
- تتخذ الأطراف شكلا قريبا من شكلها عند الولادة ..
- بداية ظهور الأظافر في أطراف الأصابع
- يتميز غشاء المذرق إلى جزئيه : البولي التناسلي والشرجي بوضوح
- تبدو أجزاء القلب بوضوح ويكون له غشاء التامور
- تتميز أجسام الفقرات وتظهر بعض مراكز التمعظم
- ينمو الطحال والغدتان فوق الكليتين « الغدتان الكظريتان »
- يبلغ طول الجنين من الرأس إلى العقب ٩٠ ميليمترا

الشهر الرابع : يظهر على الرأس ثم الجسم وبر « أي شعر خفيف »

- ويكتمل تكوين المشيمة
- تتميز أعضاء التناسل الظاهرة فيبدو القضيب في الغلام والشفران والفرج في البنت
- تتراجع الأمعاء التي كانت بمنطقة الحبل السري إلى تجويف البطن .

الشهر الخامس :

- يغطي الزغب الرأس والجسم بأكمله وتحس الأم أول حركات الجنين وذلك في بداية هذا الشهر
- تدخل الأمعاء بأكملها من منطقة السرة إلى تجويف البطن
- يبدأ ظهور الشعر لفروة الرأس والحاجبين
- ينمو القلب والكبد

ـ يبدأ الرحم والمهبل نموهما .

الشهر السادس :

ـ يزداد السائل الامنيوسي « الرهل » وهو كيس السلى زيادة كبيرة
ـ تظهر طبقة دهنية تغطي بشرة الجنين
ـ ينمو الجنين في هذا الشهر أكثر من أي فترة أخرى ، إذ يصل طول الرأس العقبي ٣٥٠ ميليمترا ووزنه كيلو جراما كاملا .

الشهر السابع :

ـ يصل السائل الامنيوسي إلى غايته ويبلغ لترا ونصف ثم يقل في الأشهر التالية .
ـ يمتلىء الجسم بازدياد الطبقة الدهنية تحت الجلد .
ـ نمو كبير للجهاز العصبي والهضمي .. وتكتمل أجزاؤهما .

الشهر الثامن :

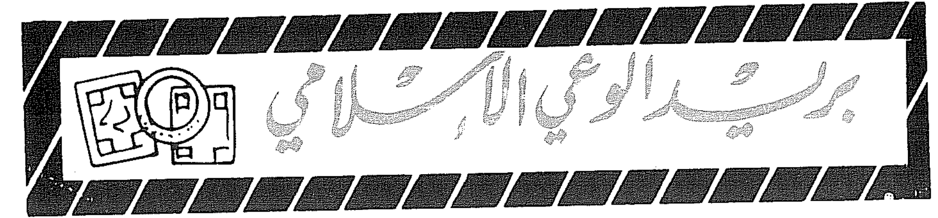
ـ تتخذ السرة موضعها المحدد في المولود
ـ يظهر الجسم مليئا .. ويزول الوبر « الزغب »
ـ يغزر شعر فروة الرأس
ـ يغطى جسم الجنين بطبقة دهنية متجبنة .
ـ تصل الأظافر إلى أطراف الأصابع .

الشهر التاسع : يزداد النمو واستدارة الجسم وإمتلاؤه . وينفتح الجفنان وتنزل الخصيتان إلى كيس الصفن خارج الجسم .

الشهر العاشر : يكتمل النمو .. وخاصة في الرئتين .. وتنمو الجيوب الهوائية وقد يستغرب القارىء ذكرنا عشرة أشهر للجنين والمقصود عشرة أشهر قمرية بالحساب هو ٢٨ يوما فقط .. فتكون الجملة ٢٨٠ يوما ويبدأ حسابها منذ بداية آخر حيضة حاضتها المرأة الحامل ..

وبذلك يكون العمر الحقيقي للجنين هو ٢٨٠ ـ ١٤ = ٢٦٦ يوما فقط .. وهذا هو العمر التقديري للجنين منذ لحظة التلقيح .

وبما أن الحساب منذ لحظة التلقيح أو حتى من الاتصال الجنسي الذي حصل بعده الحمل ـ عسير جدا .. فان الحساب في الغالب لا يكون منذ بداية آخر حيضة حاضتها الأم .



تشبه ملعون

من ولاية بوزيد - بالجمهورية التونسية .. كتب إلينا الأخ نور الدين عباس يسأل عن حكم تشبه الرجال بالنساء ، وتشبه النساء بالرجال .. وفي أي شيء يكون هذا التشبه ؟

المحرر : ونقول للأخ نور الدين - بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله الكريم .

إن الاسلام حريص على أن يبقى لكل نوع من الجنس البشري صفاته المميزة التي خلقه الله عليها .. فللرجل صفاته الخاصة التي منها خشونة الصوت ، وطريقة الكلام ، والمشي ، ونوعية الملابس ، وتحكيم العقل لضبط العاطفة ، إلى غير ذلك ..

وللمرأة صفاتها التي خلقها الله عليها ليجد الرجل عندها السكن والطمأنينة ، فهي رقيقة الحس ، ناعمة البشرة ، لها طريقتها في الكلام ، والمشي ، وبعدها عن العنف والقسوة ، وميلها إلى الهدوء وتغليب العاطفة .

فاذا ما حدثت انتكاسة في الطبيعة البشرية .. فمال بعض الرجال إلى التشبه بالنساء في الزينة والملابس والكلام والحركة إلى غير ذلك ، ومالت المرأة إلى الخشونة والقسوة ، وارتدت ملابس الرجال ، وحاكتهم في كلامهم وطريقة مشيهم .. إذا ما حدث ذلك فان الأمة في طريقها إلى ضياع شخصيتها ، وذهاب نخوتها ، وسوء عاقبتها .

اقرأ معي ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : « **لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال** » رواه البخاري .

وليس بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم مقال .. دعاؤنا أن يجنب الله أمة الاسلام أمراض العصر المنكود الذي نعايشه ، اللهم آمين .

النظر إلى الأجنبية

دار حوار بين صديقين يعملان في مجال به سيدات موظفات .. وكان أحد الصديقين يطيل النظر إلى زميلته في العمل - خاصة إذا كانت جميلة على حد قوله . فقال له صاحبه : غض بصرك فإن النظر إلى المرأة الأجنبية حرام .. فاستغرب الصديق قول صاحبه ، وأرسل يسألنا : هل النظر إلى الأجنبية حرام فعلا ؟ .. وماذا يفعل والمكاتب مشتركة ؟

حول هذا كتب لنا الصديق : محسن رشاد محمد فرغلي ـ من مصر .

ونقول للأخ محسن : هداك الله يأخي ، وأعانك على الخير ، وجنبك الزلل . واعلم أن الاسلام حريص على طهر المجتمع الاسلامي ، حريص على ما فيه صلاح الفرد والجماعة ، يدعو لكل فضيلة ، وينفر من كل رذيلة ، ويعمل على سد منافذ الشر ، حتى لا يتسرب الشيطان إلى داخل النفس البشرية دون أن يشعر بذلك صاحبها .. وكل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان إن لم يحسن استغلالها تنقلب إلى شر ، وتوقع صاحبها في الإثم ، أرأيت لو استخدمت الأرجل في السعي إلى حرام ألا يعاقب صاحبها ؟.. ولو سرقت اليد ألا تقطع ؟ ولو استرقت الأذن السمع الحرام ألا يحتمل صاحبها في الاثم ؟.. كذلك العينان .. منهما يطل الانسان على الوجود فيرى آيات الله ويطالع مظاهر قدرته ، ويقرأ في صفحات الكتاب ، ويبصر طريقه ، فيحمد الله أما إذا استغلهما في الاطلاع على عورات الناس ، وهتك الحرمات ، وإيذاء الناس فإنه مسؤول عن ذلك أمام الله .. وما كان بالمؤمن الحق ..

اقرأ معي قول الله تعالى في سورة النور : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** » .

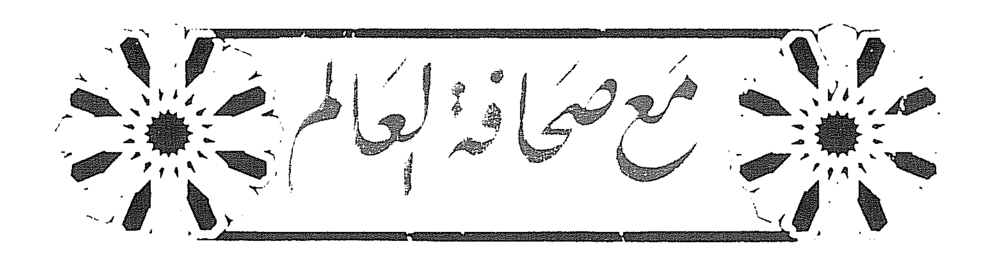
فلا فرق إذن بين المرأة والرجل في المطالبة بغض البصر ، حتى نقطع الطريق على وسوسة الشيطان الرجيم .

ويقول رسولنا ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ : « لو أن رجلا اطلع عليك بغير إذن ، فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح » فلا قيمة للعين الخائنة ،

ولقد سأل جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عن نظر الفجاءة ؟ فأمره الرسول الأعظم ان يصرف بصره .

فالنظرة العابرة .. غير القاصدة للإثم .. إذا ما وقعت فجأة على ما حرمه الله . فلا شيء على صاحبها إذا ما صرف بصره عن الحرام فورا ودون أن يطيل النظر أو يعاوده ، هكذا هو الأدب الاسلامي الرفيع ..

هذا .. ومن الأفضل أن تكون للسيدات مكاتب خاصة بهن ، وللرجال مكاتبهم الخاصة أيضا ، ويجب على المرأة أن تستر ما أوجب الاسلام ستره حيث أن جميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين .. وعلى كل حال فالنظرة الآثمة حرام .. وإذا التزمت المرأة بارتداء الزي الذي يوائم الشريعة الاسلامية فلا مانع من التعامل معها في حدود الاحترام ومع وجود الغير حتى يظل النقاء والطهر والعفاف والشرف هي سمات المجتمع المسلم ، والله الهادي والموفق .



الغزو التنصيري لمسلمي لبنان

جاء في التقرير الاسلامي رقم ١٥ بتاريخ ١٩٨١/١١/٢٧ الذي يصدره المركز الاسلامي للتربية في بيروت تحت هذا العنوان :

يعيش المجتمع الاسلامي في لبنان حاليا اسوأ مرحلة في تاريخه الحديث ، يتكالب عليه فيها مجموعة متنافرة من العوامل الهدامة ، بعضها من داخله ، والبعض الآخر من خارجه ، وهو في غفلة عما يحاك له ، سلبي الارادة ، مشتت الرأي في القضايا التي تعنيه مباشرة .

ذلك ، ان المجتمع الاسلامي في لبنان يواجه حاليا اخطارا منها :

اولا : ـ تفكك القيادة الاسلامية ، وتقاعسها عن أداء مهماتها .

- ـ غربة المناهج التربوية وبعدها عن الاسلام في المؤسسات التربوية والاسلامية .
- ـ نشاط اصحاب المؤهلات العلمية المتشرقين منهم والمتغربين .

ثانيا : ـ غياب السلطة الرسمية واهمالها لقضايا الوطن والمواطن عموما ، والمسلمين على وجه الخصوص .

- ـ اكتفاء اجهزتها بمراقبة النشاطات المعادية لجذور المجتمع اللبناني دون الحد من خطرها .
- ـ تضييقها على القلة المتحركة ، العاملة لحماية المجتمع الاسلامي في لبنان ، وسد السبل امام تطلعاتها .

ثالثا : نشاط البعثات التنصيرية وتغلغلها داخل المجتمع الاسلامي في لبنان عبر :

- ـ المؤسسات التعليمية .
- ـ المراكز والنوادي الثقافية والمكتبات العامة .
- ـ مراكز الخدمات الاجتماعية .

واذا كان تفاعل واثر الخطرين الاولين باديين للعيان وملموسين على ارض الواقع أولا بأول وخطوة خطوة ، فان الخطر الأدهى والأشد هو في نشاط البعثات التنصيرية وتغلغله في المجتمع الاسلامي ببطء شديد واصرار عنيد ، وفعالية اكيدة ، وكفاءة عالية .

وبالنظر الى كثافة تلك النشاطات وتعددها - على الرغم من ضيق المساحة الجغرافية التي تتم عليها - يتبين لنا حجم المأساة المتوقعة ، والكارثة الدهماء التي تنتظر المجتمع الاسلامي في مستقبله القريب .

وللدلالة على ما ذكرنا ، يكفي ان نأخذ بيروت الغربية كمثال حي على النشاط التنصيري القائم على قدم وساق ، لاعتبارات عدة اهمها :

- ان بيروت مركز الثقل في التواجد الاسلامي في لبنان .
- ان بيروت تستقطب اعدادا كبيرة من المسلمين من المحافظات الاخرى .
- ان بيروت بحكم موقعها ونظام الحكم في لبنان تستهوي اصحاب ودعاة جميع التيارات الفكرية الشرقية والغربية .
- كذلك فان بيروت كانت وما تزال مركز تصدير التيارات الفكرية الى مختلف ارجاء العالم العربي .

وللاعتبارات السابقة ، ومن الكشف اللاحق بأهم المدارس غير الاسلامية ؛ وأهم مراكز التنصير في بيروت الغربية تتحدد لنا الصورة القاتمة والنتيجة المريعة التي سيؤول اليها المجتمع الاسلامي في لبنان .

أهم المدارس غير الاسلامية في بيروت الغربية

رأس بيروت :

راهبات المحبة ، القديسة لويزا

سيدة الوردية (مارونية)

المدرسة الانجيلية الابتدائية

مار الياس المارونية

الثانوية الانجيلية الفرنسية (بروتستانت)

الانجيلية الوطنية للبنان ، ثانوية الانجيلية الوطنية للبنين

القديس منصور لراهبات المحبة .

القديس فرنسيس للآباء الكبوشيين

الراهبات الكرمليات ، القديس يوسف .

الليسيه الفرنسية اللبنانية الصغرى

القديسة حنة لراهبات البزنسون .

المزرعة :

مار مخايل (ارثوذكس)

زقاق البلاط :

راهبات مار يوسف الظهور

مدرسة بيروت الانجيلية للبنات البطريركية
الانجيلية اللبنانية بيروت للبنات ودار المعلمات
الليسيه الفرنسية اللبنانية للبنات .

المصيطبة

مار الياس المصيطبة المختلطة (ارثوذكس)
مار بطرس وبولس للسريان الارثوذكس
المدرسة المارونية
الادفنتست السبتية
ثانوية مار سويريوس للسريان الارثوذكس
سيدة المصيطبة للروم الكاثوليك
مار افرام للسريان الكاثوليك
مار الياس بطينا الثانوية
المعمدانية الانجيلية الثانوية

مجمع الكنائس للخدمة الاجتماعية في لبنان

اهم مراكز التنصير .. والخدمات في رأس بيروت

١ ـ مركز ريتا
٢ ـ مركز رأس بيروت
٣ ـ كلية اللاهوت للشرق الادنى
٤ ـ وجدتها « حياة لبنان » .
٥ ـ مركز الاتحاد الكنسي
٦ ـ المركز اللوثري
٧ ـ بيت الرعية « كنيسة الوردية »
٨ ـ المركز الجامعي المسيحي .
٩ ـ الكنيسة الجامعية المعمدانية .

ويبقى السؤال قائما .. بحماية من .. وبسبب تقصير من .. تنتشر هذه المراكز في المناطق الاسلامية ؟!



تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .



